

صَفِيحَةُ خَزَائِنِ الْبَيْتِ

مِنْ خَزَائِنِ مَنْ

كِتَابُ الرُّوضِ الْمُعْطَى

لِ

خَيْرِ الْأَقْطَارِ

لَا بُدَّ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ

دار البيل
بيروت - لبنان



0130889

Bibliotheca Alexandrina



1

2

3

4

5

6

7

8

9

10

11

12

13

14

15

16

17

18

19

20

21

22

23

24

25

26

27

28

29

30

31

32

33

34

35

36

37

38

39

40

41

42

43

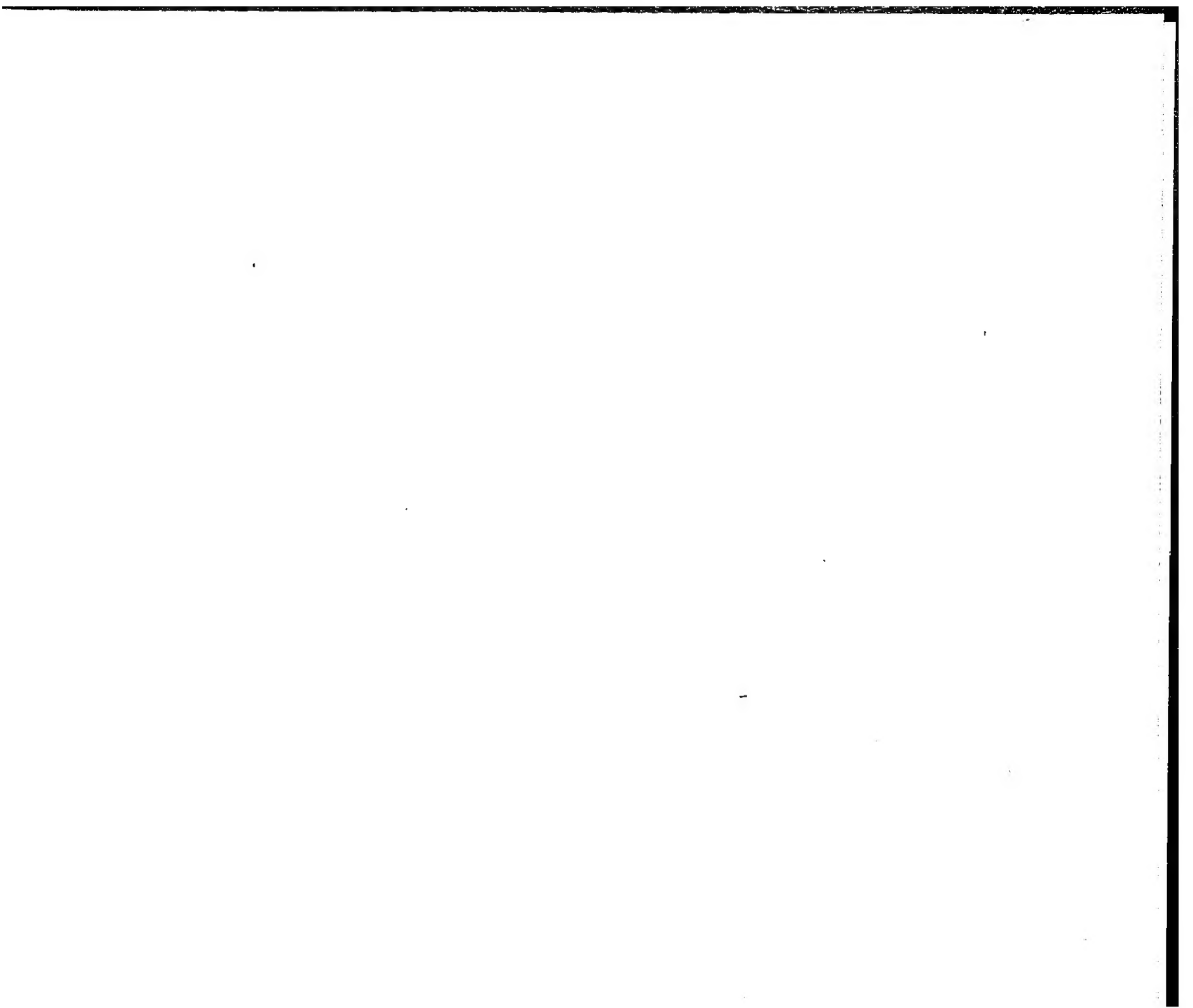
44

45

46

47

صَفِيحَةُ زَيْنِ الدِّينِ



المكتبة العامة لاسكندرية

11/11/75

914.68

رقم المكتبة: 8 914.68

رقم التصنيف: 2

رقم التسجيل: 18.64

صَفِيحَةُ خَزَائِنِ الْبَيْتِ

مِنْ خَزَائِنِ مَنْ

كِتَابُ الرُّؤُوسِ الْمُعْطَا

فِي

خَيْرِ الْأَقْطَارِ

وهو معجم جغرافي تأريخي

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري

جمعه سنة ٨٩٧ هـ

عني بنشرها وتصحيحها وتطبيق حواشيها

إ. لآفي بروقنصال

أستاذ تاريخ المغرب العربي

بجامعة الجزائر ، ومعهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس ٥

ومدير غري لعهد الأبحاث المغربية العليا بالرباط

دار الجليل

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

مقدمة كتاب الرّوض المعطار

قال أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله بن عبد المنعم الحنبل: الحمد لله الذي جعل الأرض قراراً، وفجر خلالها أنهاراً، وجعل لها رواسي^(١) ألزمها استقراراً، ومنعها اضطراباً وانتثاراً، جعلها قسيتين فيافي وبحاراً، وأودع فيها من بدائع الحكم وفنون المنافع ما بهر ظهوراً وانتشاراً، وأطلع في آفاقها شمساً وأقماراً؛ جعلها ذلولاً، وأوسعها عرضاً وطولاً، وأمتع بها شيباً وشباباً وكهولاً، وعاقب عليها غيوثاً وقبولا، وأغرى بالمشى في مناكبها تسويقاً للنعمة الطولى، وتتمياً لإحسانه الذي نرجوه في الآخرة والأولى، إن في ذلك لعلوة لمن صار له قلبٌ وسمعٌ وبصرٌ وفهمٌ منقولاً ومعتقلاً، إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفؤادَ كُلُّ أولئك كانَ عنه مَسْئُولاً^(٢)؛ أحمدُهُ على جزائل آلائِهِ التي والى أمدادَهَا، وأخصى أَعْدَادَهَا، وعمَّ بها البريةَ وبِلادَهَا؛ وصلى الله على نبيه الكريم الذي زُوِيَتْ له الأرضُ فرأى غايَتَهَا، وأبصرَ نهايَتَهَا؛ وأخبر أن مُلْكَ أُمَّتِهِ سِيْلُغَ مارآةً، وينتَهِى إلى حيث قَدَرَهُ الخالقُ وأنْهائِهِ.

وبعد فإني قصدتُ في هذا المجموع ذكرَ المواضع المشهورة عند الناس من العريّة والمجيمّة، والأصقاع التي تعلّقت بها قصّة، أو كان في ذكرها فائدة، أو كلام فيه حكمة، أو لها خبرٌ ظريف، أو معنى يُستملح أو يستغرب ويحسن إيرادُه، أمّا ما كان غريباً عند الناس، ولم يتعلّق بذكره فائدة، ولا له خبرٌ يحسُن إيرادُه، فلا أُلِمُّ بذكره، ولا أترصّ له غالباً استغناء عنه واستثقالاً لذكره؛ ولو ذهبتُ إلى إيراد المواضع والبقاع على

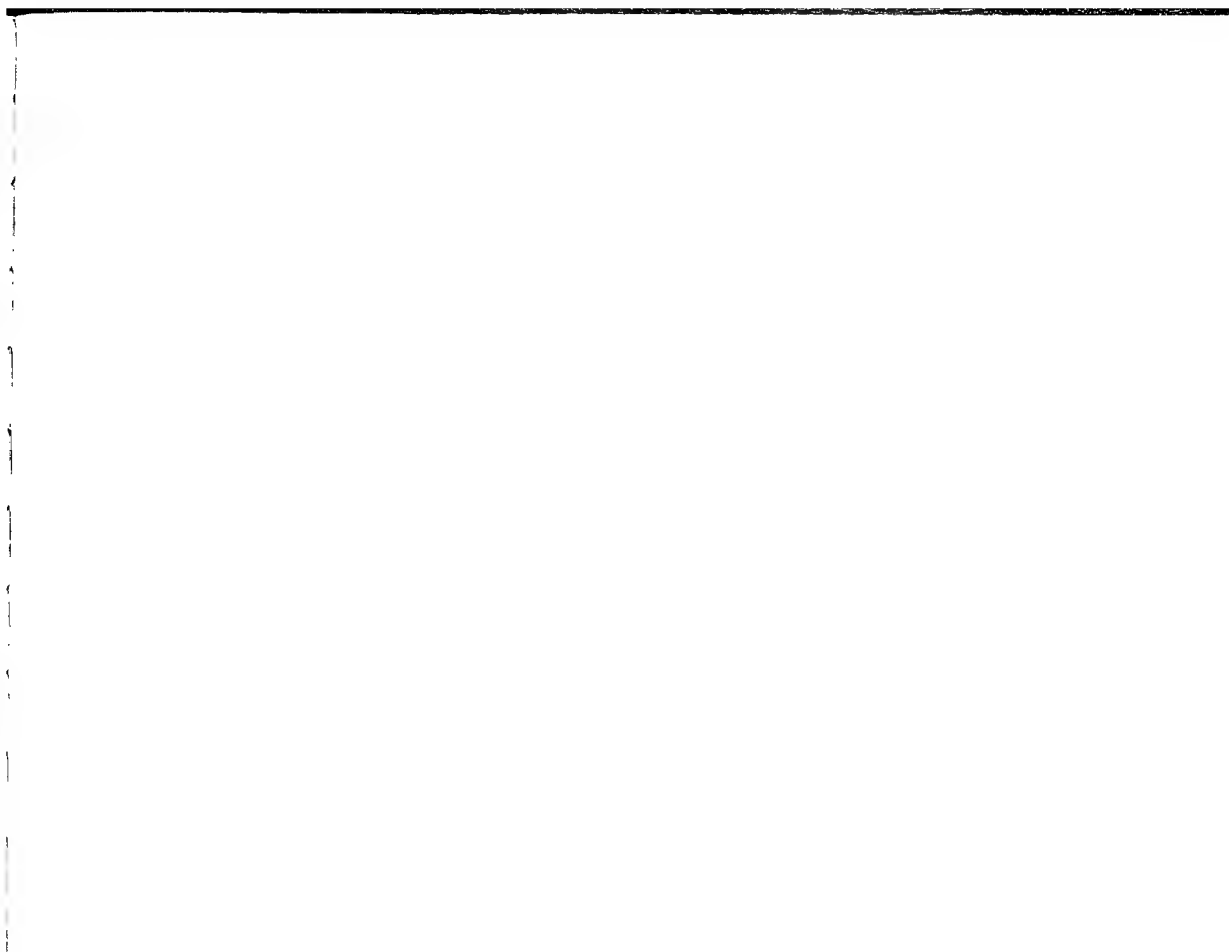
(١) قرآن (٢٧ - ٦٢) . (٢) قرآن (١٧ - ٢٨) .

الاستقصاء لطال الكتاب ، وقلَّ إمتاعه ؛ فاقْتَصَرْتُ لذلك على المشهور من البقاع وما في ذكره فائدة ونكتي عما سِوَى ذلك ، ورتَّبْتُه على حروف المُعْجَمِ لِمَا في ذلك من الإيجاز المرغوب فيه ، ولِمَا فيه من سُرْعَةِ هِجُومِ الطالب على اسم الموضوع الخاص من غير تكلفٍ عناء ولا تجشُّمٍ تعبٍ ؛ فقد صار هذا الكتاب محتوياً على فَنَيْنِ مختلفَيْنِ : أحدهما ذكرُ الأقطار والجُمُعات ، وما اشتملتُ عليه من النعوتِ والصفاتِ ؛ وثانيها الأخبارُ والوقائعُ والمعاني المختلفةُ بها ، الصادرةُ عن مُجْتَلِيهَا ؛ واختلستُ ذلك ساعاتَ زمانِي ، وجعلته فكاهةً نفسِي ؛ وأنصبتُ فيه فِكْرِي وبَدَنِي ؛ ورُضْتُه حتى انتقادَ للعمل ، وجاء حسب الأصل ، فأصبح طارِداً للهموم ، مُلقياً ^(١) للغموم ، وشاهداً بقدرة التَّيُوم ؛ مُنْياً عن مؤانسة الصَّحْبِ ، مُنْهَياً على حكمةِ الرَّبِّ ؛ باعِثاً على الاعتبار ، مُسْتَحْضِراً لخصائص الأقطار ؛ مشيراً لآثار الأُمِّ وأحداثها ، مشيراً ^(٢) إلى وقائع الأخبار وأنبائها ؛ ثُمَّ إِنِّي قَسَيْتُهُ بِالكتابِ الأخبارِيّ الْمُسَمَّى بِزُهَةِ الْمُشْتَقِ فَوَجَدْتُهُ أَعْظَمَ فائِدَةٍ وَأَكْثَرَ أَخْبَاراً وَأَوْسَعَ فِي فَنُونِ التَّوَارِيخِ وَصُنُوفِ الْأَحْدَاثِ تَجَالاً حَتَّى فِي وَصْفِ الْبِلَادِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا ذَكَرَ نَبْذَةً مِنْهَا وَشَيْئاً قَلِيلاً فِي مَوَاضِعٍ مَخْصُوصَةٍ مَعْدُودَةٍ ، بَلْ إِنَّمَا عَظُمَ حَجْمُهُ بِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ : « مِنْ فَلَانَةٍ إِلَى فَلَانَةٍ خَمْسُونَ مِثْلًا أَوْ عَشْرُونَ قَرَسَخًا ، وَمِنْ فَلَانَةٍ إِلَى فَلَانَةٍ كَذَا وَكَذَا » ، أَمَّا الْخَبْرُ عَنِ الْأَصْقَاعِ مِمَّا يَحْسُنُ إِبْرَادُهُ ، وَيَلْذُ سَمَاعُهُ ، مِنْ خَبَرِ ظَرِيفٍ ، أَوْ وَصْفٍ يَسْتَرْبُ أَوْ يَسْتَمْلَحُ ، فَإِنَّمَا يُوجَدُ فِيهِ فِي مَوَاضِعٍ قَلِيلَةٍ مَعْدُودَةٍ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عُسْرِ وَجْدَانِ النَّاضِلِ فِيهِ بِمَطْلُوبِهِ بِأَوَّلِ وَهْلَةٍ بَلْ بَعْدَ الْبَحْثِ وَالتَّفْتِيْشِ .

وجعلتُ الإيجازَ في هذا الكتابِ قَصْدِي ، وَحَرَصْتُ عَلَى الْإِخْتِصَارِ جَهْدِي ؛

(١) ف : « ملقياً » . (٢) كذا في ف و م .

حتى جاء نسيج وحده، مليحاً في فنه، غريباً في معناه، مبهجاً للنفوس المتشوقة، ومذهباً
 للأفكار المخترقة؛ مؤنساً لمن استولى عليه الانفراد ورغب عن معاشره الناس، ومع
 هذا فقد لُمتُ نفسي على التشاغل بهذا الوضع الصاد عن الاشتغال بما لا يغني عن أمر
 الآخرة والمهم عن العلم المزلف عند الله تعالى وقلت: هذا من شأن البطالين وشغل
 من لا يهّمه وقته، ثم رأيت ذلك من قبيل ما فيه ترويح لهذه النفوس، ومن حسن
 تعليلها بالمباح لمن ينشط إلى ما هي به أغنى؛ ثم هو مبع يسلكه الناس، واعتنى به طائفة
 من العلماء، وقيده جماعة من أهل التحصيل؛ فلا حرج في الاقتداء بهم بل أقول: أعوذ
 بالله من علم لا ينفع، وأستغفره وأستقيله، وأسأله التجاوز عن الحقوات، والصفح عن
 الاشتغال بما لا يفيد في الآخرة، فيارب عفواً عن اقتراف ما لا رضى لك فيه فأنت على
 كل شيء قدير!



حلّ الرموز

المستعملة في التعليقات

* = ابتداء الإيراد .

ز = زائد .

هـ = ناقص .

ت = نسخة مخطوطة من كتاب الروض المبطّر ، كاملة في مجلّدين ، انتسخت بمدينة مراکش سنة ١٠٤٩ هـ ، ووُجِدَتْ بمدينة تَنْبُكْتُ بالسودان ، وهي الآن ملك الأستاذ مارتينو بياريز .

س = نسخة مخطوطة أخرى ، مبتورة الأوّل والآخر ، في أوراق مختلطة ، وهي محفوظة في مكتبة السيّد محمد بن عليّ الذكّاليّ ، بمدينة سلا بالمغرب الأقصى .

ف = نسخة مخطوطة بغير تأريخ ، فيها أوّل نصّفي الكتاب ، وهي محفوظة بعاصمة فاس ، في خزّانة الشريف المحدث السيّد محمد عبد الحّيّ بن عبد الكبير الكتّاني الإدريسيّ .

م = مخطوطة أخرى من النّصف الأوّل ، بغير تأريخ النسخ ، محفوظة في مكتبة الشريف النقيب المؤرّخ المولى عبد الرحمن بن زيدان العلويّ ، بحضرة مكناس (المغرب الأقصى) .

- ا = « صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق تأليف الشريف الإدريسي » أصدرها ر . دوزي م . ج . دوخويّة (لَيْدَن ١٨٦٤ م) .
- ا رس = « جغرافيا اسبانيا للإدريسي » تأليف باللغة الاسبانية لإدوارد سافيدرا (مجريط ١٨٨١ م) أصدر فيه نصّ جزء من نزهة المشتاق للإدريسي في صفة اسبانيا الجنوبيّة .
- م = « كتاب نفع الطيب للمقرّي » (القسم الأوّل) أصدره ر . دوزي م . ج . دوقا ل . كرهل م . و . وريت (لَيْدَن ١٨٥٥ - ١٨٦٠ م في مجلّدين) .
- ب = مخطوطة جزء من « كتاب الممالك والمسالك ، لأبي عبيد البكري » فيه بعض فصول في صفة الأندلس ، وهي محفوظة في خزانة جامع القرويين بعاصمة فاس (رقم ٣٩٠ ح ل ٨٠) .

حرف الألف

١ - الأندلس

هذه الجزيرة في آخر الإقليم الرابع إلى المغرب ، هذا قول الرازي ، وقال صاعد
ابن أحمد في تأليفه في طبقات الحكماء : مُعْظَمُ الأَنْدَلُسِ في الإقليم ^(١) الخامس وجانب
منها في الرابع كإشبيلية ومالقة وقرطبة وغرناطة والمريّة ومُرْسِيّة .

واسم الأندلس في اللغة اليونانية إشبانيا ^(٢) ، والأندلس مُقْعَةٌ كَرِيْعَةٌ طَيِّبَةٌ
كثيرةُ الفواكه ، والخيرات فيها داعة ، وبها المدن الكثيرة والقواعد العظيمة ، وفيها
مَعَادِنُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالزُّبَيْقِ وَاللَّازُورْدِ وَالشَّبِّ وَالتُّوتِيَا
وَالزَّاجِ وَالطَّفَلِ .

- والأندلس آخر الممُور في المغرب لأنها مُتَّصِلَةٌ بِبَحْرِ أَقْيَانُس ^(٣) الْأَعْظَمِ الَّذِي لَا عِمَارَةَ
وَرَاءَهُ ، وَيُقَالُ : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ أَخْطَطَ الْأَنْدَلُسَ بنو طوبال بن يافت بن نوح ، سكنوا
الأندلس في أول الزمان ، ومُلُوكُهُمْ مائة وخمسون مَلِكًا ، وَيُقَالُ إِنَّ الْأَنْدَلُسَ خَرِبَتْ
وَأَقْفَرَتْ وَانْجَلَى عَنْهَا أَهْلُهَا لِمَحَلِّ أَصَابَهُمْ فَبَقِيَ خَالِيَةً مائة سنة ، ثم وقع بيلاد
إفريقية محل شديد ومجاعة عظيمة فَرَقَّتْ أَهْلَهَا ، فَلَمَّا رَأَى مَلِكُ إفريقية ما وقع بيلاده
اتَّخَذَ مَرَاكِبَ وَشَحَنَهَا بِالرِّجَالِ ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ إفريقية وَوَجَّهَهُمْ ، فَرَمَى بِهِمْ
البحر إلى حائط إفرنجة وهم ^(٤) يومئذ مجوس ، فوجههم صاحب إفرنجة إلى الأندلس .

(١) ف : « الأقاليم » . (٢) ت وف : « اشبانيا » . (٣) ت وف : « اقنايس » .

(٤) ت وف : « ومو » .

* وقيل اسمها في القديم : إِبَارِيَّة ، ثم سُمِّيَتْ بعد ذلك : بِأَطَقَة ، ثم سُمِّيَتْ : إِشْبَانِيَا من اسم رَجُلٍ مَلِكهَا في القديم كان اسمه إِشْبَان ، وقيل سُمِّيَتْ بِالْإِشْبَان الذين سَكَنُوهَا في الأوَّل من الزَّمان ، وسُمِّيَتْ بعد ذلك بِالْأَنْدَلُس من أسماء الأندليش الذين سَكَنُوهَا ^(١) .

* وسُمِّيَتْ جزيرة الأندلس بِجزيرةٍ لَأَنَّهَا شَكَلٌ مُثَلَّثٌ وَتَضِيقُ من ناحية شرق الأندلس حتَّى تكون بين البحر الشَّامِيّ والبحر المُظَلَّم المُحِيط بِالْأَنْدَلُس خمسة أَيَّام ، ورَأْسُهَا العَرِيض نحوُ من سبعة عشر يومًا ، وهذا الرَّأْسُ هو في أَقْصَى المَغْرِبِ في نهاية اتِّهَاءِ المَعْمُور من الأرض محصور في البحر المُظَلَّم ، ولا يعلم أَحَدٌ ما خلف هذا البحر المُظَلَّم ، ولا وقف منه بَشَرٌ على خبرٍ صَحِيحٍ لصُعُوبَةِ عبوره وإِظْلَامِهِ ، وتَعَاظُمِ مَوْجِهِ وكَثَرَةِ أَهْوَالِهِ ، وَتَسَلُّطِ دَوَابِّهِ وَهَيَجَانِ رِيَّاحِهِ ^(٢) ، حسبما يَرُدُّ ذلك في موضِعِهِ اللَّائِقِ بهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وبلادُ الأندلسِ مُثَلَّثُ الشَّكْلِ كما قُلْنَا .

* ويحيطُ بها البحرُ من جميع جهاتها الثلاث ؛ فَجَنُوبُهَا يُحِيطُ بهِ البحرُ الشَّامِيّ ، وجُوفُهَا ^(٣) يحيطُ بهِ البحرُ المُظَلَّم ، وشَمَالُهَا يحيطُ بهِ بحرُ الأَنْتِلِيشِيَّين ^(٤) من الروم ، وطولُ الأندلسِ من كنيسةِ الغُرَابِ التي على البحرِ المُظَلَّمِ إلى الجبلِ المسمَّى بِهَيْكَلِ الزَّهْرَةِ أَلْفُ مِيلٍ ومائةُ مِيلٍ ، وعَرْضُهَا سِتِّمِائَةِ مِيلٍ ^(٥) .

والأندلسُ أَقَالِيمُ عِدَّةٌ وَرَسَائِقُ جَمَلَةٌ ، وفي كُلِّ إِقْلِيمٍ منها عِدَّةٌ مُدُنٍ ، والركنُ الواحدُ من أركانها الثلاثة هو الموضع الذي فيه صَمٌّ قَادِسٌ بين المَغْرِبِ والقِبْلَةِ ، والركنُ الثاني شرقَ الأندلسِ بين مدينةِ نَرْبُونَةِ ^(٦) ومدينةِ بَرْذِيلٍ بِإِزاءِ جَزِيرَتَيْ مَيُورَقَةِ

(١) ب ب م ص ٢٣٩ — ٢٤٠ . (٢) ا د ص ١٦٥ . (٣) ا د : « وغربها » .

(٤) ت و ف : « ضيق » . (٥) ا د ص ١٧٣ . (٦) ت و ف : « قرونة » .

ومنورقة ، والركن الثالث حيث يتعطف البحر من الجوف إلى المغرب حيث المنارة في الجبل الموفى على البحر ، وفيه الصَّمُّ العالى المشبه بصَّمِّ قَادِس ، وهو في البلد الطالع على بلد برطانية .

* والاندلس شامية في طيها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، أهوازية في عظم جبايتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في ٥ منافع سواحلها ؛ وفيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملى الفلسفة ، وكان من ملوكهم الذين أثاروا الآثار بالاندلس هرقلس^(١) ، وله الأثر في الصَّمِّ بجزيرة قَادِس ، وصَّمِّ جليقية ، والأثر في مدينة طر كونة الذى لا نظير له^(٢) .

وفي غربي شتيرين على مقدار خمسين ميلا فيما بين أشبونة وشتيرة ، في جبل هناك كان حصنا فيما مضى ، يوجد^(٣) الحجر اليهودي ، وهو على شكل البلوط سواه ، ومن ١٠ خاصيته تفتت الحصى التى تكون فى الثمالة والكليسة ويقع فى الأكحال ، وفى جوفى بطليوس على قدر أربعين ميلا معدن المهي .

والاندلس دار جهاد وموطن رباط ، وقد أحاط بشرقيها وشماليتها وبعض غربيها أصناف أهل الكفر ؛ ورؤى عن عثمان رضى الله عنه أنه كتب إلى من انتدب إلى غزو الاندلس : أما بعد فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الاندلس ، وإنكم إن فتحتموها ١٥ كنتم شركاء من يفتحها فى الأخير والسلام ؛ وعن كعب الأحبار^(٤) أنه قال : يعبر البحر إلى الاندلس أقوام يفتحونها يعرفون بنورهم يوم القيامة . ودخل الاندلس رجل واحد من أصحاب النبي (صلم) ، قال عبد الملك بن حبيب : اسمه المنذر الإفريقي ، وإنه

(١) توف : « هو قلس » . (٢) ب و ه ص ٢٤٠ . راجع موه ج ١ ص ٨٢ .

(٣) ز ف ت و ف : « فيه » . (٤) راجع موه ج ٢ ص ٢ .

يَرَوِي عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ قَالَ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا إِلَى آخِرِهَا فَأَنَا الزَّعِيمُ لَا أَخْذَنْ يَدَهُ وَأَدْخِلُهُ الْجَنَّةَ ١ ودخلها من التابعين حَفْشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّنَعَانِيُّ وَهُوَ الَّذِي أَسَّسَ جَامِعَ سَرْقِطَةَ وَكَانَ مَعَ عَلِيٍّ (رضه) بالكوفة ، فلما قُتِلَ عَلِيٌّ (رضه) انتقل إلى مِصْرَ وقبره بسرْقِطَةَ مَعْرُوفٌ ، ومنهم عَلِيُّ بْنُ رَبَاحٍ اللَّخْمِيُّ ، وعمر بن العاصي ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَامِرٍ ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجُبَلِيُّ الْأَنْصَارِيُّ ، وَعِيَّاضُ بْنُ عُقْبَةَ الْفَهْرِيُّ ، وَمُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ ، يقال بَكْرِيٌّ ويقال لَخْمِيٌّ ؛ ويقال إِنَّ نُصَيْرًا مِنْ سَبِي عَيْنِ الثَّمَرِ أَعْتَقَهُ صَبِيحٌ مَوْلَى أَبِي الْعَاصِي بْنِ أُمَيَّةَ ، يقال أَصَابَهُ خَالِدٌ فِي عُلُوجِ عَيْنِ الثَّمَرِ وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ مِنْ بَكْرٍ بْنِ وَائِلٍ ، فَصَارَ نُصَيْرٌ وَصِيفًا لِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ وَأَعْتَقَهُ فِيهِ أَجَلٌ هَذَا يُخْتَلَفُ فِي نَسَبِهِ ؛ وَعَقَدَ الْوَلِيدُ لِمُوسَى عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ سَنَةَ ٨٣ ، وَكَانَ مَوْلَاهُ مُوسَى ١٠ سَنَةَ ١٩ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ (رضه) ، وَكَانَ مَعَاوِيَةَ (رضه) قَدْ جَعَلَ نُصَيْرًا أَبَا مُوسَى عَلَى حَرَسِهِ ، فَلَمْ يُقَاتِلْ مَعَهُ عَلِيًّا (رضه) ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ (رضه) : مَا مَنَعَكَ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى عَلِيٍّ وَلَمْ تُكَافِ يَدِي عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ : لَمْ يُمَكِّنِي أَنْ أَشْكُرَكَ بِكَفَرٍ مِنْ هُوَ أَوْلَى بِشُكْرِي مِنْكَ ، فَقَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ١

وَمَسَافَةٌ مَا يَمْلِكُهُ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ثَلَاثُمِائَةِ فَرَسَاجٍ طَوِيلًا فِي ثَمَانِينَ فَرَسَخًا ١٥ عَرَضًا ؛ وَالَّذِي يَمْلِكُ مِنْهَا النَّصَارَى مِثْلُ مَا يَمْلِكُهُ الْمُسْلِمُونَ أَوْ نَيْفًا ، ثُمَّ حَدَّثَ فِيهَا مِنْ تَغْلُبِ الثَّوَارِ مَا أَضَاعَ ثَمُورَهُمْ وَأَذْهَبَ أَكْثَرَ بِلَادِهِمْ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْأَقْلُ . وَبِهَا الْجِبَالُ الْمَشْهُورَةُ وَالْحَمَامَاتُ الْكَثِيرَةُ .

قَالَ الرَّازِيُّ : أَوَّلُ مَنْ سَكَنَ الْأَنْدَلُسَ بَعْدَ الطُّوفَانِ عَلَى مَا يَذْكُرُهُ عُلَمَاءُ عَجَبِيهَا قَوْمٌ يُعْرَفُونَ بِالْأَنْدَلُسِ (بَشِينَ مَعْجَمَةٍ) بِهِمْ سُمِّيَ الْبَلَدُ ثُمَّ عُرِّبَ ، وَكَانُوا أَهْلَ تَمَجُّسٍ

فَجَبَسَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ الْمَطَرَ حَتَّى غَارَتْ عَيُونُهَا وَبَيَسَتْ أَنْهَارُهَا ، فَهَلَكَ أَكْثَرُهُمْ وَفَرَّ
 مِنْ قَدَرٍ عَلَى الْفِرَارِ مِنْهُمْ فَأَقْفَرَتِ الْأَنْدَلُسُ وَبَقِيَتْ خَالِيَةً مِائَةَ عَامٍ ، وَمَلَكَهَا إِشْبَانُ
 ابْنُ طَلِيطُسَ ، وَهُوَ الَّذِي غَزَا الْأَفَارِقَةَ وَحَاصَرَ مَلِكَهُمْ بِطَالِقَةَ^(١) ، وَنَقَلَ رِغَامَهَا إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ
 وَبِهِ سُمِّيَتْ ، فَاتَّخَذَهَا دَارَ مَمْلَكَتِهِ وَكَثُرَتْ جَمْعُهُ فَعَمَلَا فِي الْأَرْضِ وَغَزَا مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ
 إِلَى بِلْيَاءَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ مِنْ مَمْلَكَتِهِ ، خَرَجَ إِلَيْهَا فِي السُّفْنِ وَهَدَمَهَا ، وَقَتَلَ مِنَ الْيَهُودِ مِائَةَ أَلْفٍ
 وَاسْتَرْقَى مِائَةَ أَلْفٍ ، وَفَرَّقَ فِي الْبِلَادِ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَانْتَقَلَ رِغَامُ بِلْيَاءَ وَآلَتِهَا إِلَى
 الْأَنْدَلُسِ ؛ وَالْغَرَائِبُ الَّتِي أُصِيبَتْ فِي مَغَانِمِ الْأَنْدَلُسِ كَمَا نَدَّ سُلَيْمَانُ الَّتِي أَلْفَاهَا طَارِقُ
 ابْنُ زِيَادٍ بِكَنِيسَةِ طَلِيطَلَةَ ، وَقُلَيْلَةُ الدَّرِّ الَّتِي أَلْفَاهَا مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ بِكَنِيسَةِ مَارِدَةَ ،
 وَغَيْرُهُمَا مِنَ الذِّخَائِرِ ، إِنَّمَا كَانَتْ تِمَّا حَازَهُ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ مِنْ غَنِيمَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ إِذْ
 خَضَرَ فَتَحَهَا مَعَ بُنْحَتٍ نَصَرَ .

١٠

وَذَكَرُوا أَنَّ الْخَضَرَ وَقَفَ بِإِشْبَانَ هَذَا وَهُوَ يَحْرُثُ الْأَرْضَ بِفَدَّانٍ لَهُ أَيَّامَ حُدَامَتِهِ^(٢)
 فَقَالَ : يَا إِشْبَانَ ، إِنَّكَ لَدَوَّ شَانٍ ، وَسَوْفَ يُحْظِيكَ زَمَانٌ ، وَيَمْلِكُ سُلْطَانٌ ، فَإِذَا أَنْتَ
 تَعَلَّيْتَ عَلَى إِبِلْيَاءَ ، فَارْفُقْ بِوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ !

فَقَالَ لَهُ إِشْبَانُ : أَسَاحِرُ أَنْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ أُنِّي يَكُونُ هَذَا ، وَأَنَا ضَعِيفٌ مِهِنْ حَقِيرٌ ؟
 فَقَالَ : قَدَّرَ ذَلِكَ مِنْ قَدَرٍ فِي عَصَاكَ الْيَابِسَةِ مَا تَرَاهُ ! فَنَظَرَ إِشْبَانُ إِلَى عَصَاهُ فَرَأَاهَا قَدْ
 أَوْرَقَتْ ، فَرِيعٌ لَهَا رَأَى وَذَهَبَ الْخَضَرُ عَنْهُ ؛ وَقَدْ وَقَرَ ذَلِكَ الْكَلَامُ فِي نَفْسِهِ وَالثِّقَةِ
 بِكُونِهِ ، فَتَرَكَ الْإِمْتِهَانَ وَدَاخَلَ النَّاسَ ، وَصَحِبَ أَجَلَ النَّاسِ وَسَمَا بِهِ جَدُّهُ فَارْتَقَى فِي
 طَلَبِ السُّلْطَانِ حَتَّى نَالَ مِنْهُ عَظِيمًا ، وَكَانَ مَمْلُكُهُ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَاتَّصَلَتْ مَمْلَكَتُهُ

(١) ف : بطارقة . . (٢) ف : حراته . .

الإشبان بعده إلى أن ملك منهم الأندلس خمسة وخمسون ملكاً ، ثم دخل عليهم من عجم^(١) رومة أمة أخرى تعرف بالشبوتقات ، وذلك زمان مبعث المسيح عليه السلام ، فلكوا الأندلس وإفرنجة معها واتخذوا دار مملكتهم مدينة ماردة واتصلت مملكتهم إلى أن ملك منهم أربعة وعشرون ملكاً ، ويقال إن منهم كان ذو القرنين .

ثم دخل على هؤلاء الشبوتقات أمة القوط فغلبوا على الأندلس واقتطموها من يومئذ عن صاحب رومة وانفردوا بسطانهم واتخذوا مدينة طليطلة دار سلطانهم ؛ ودخشوش^(٢) ملك القوط هو أول من تنصر من هؤلاء ، فعدا الخواريين ودعا قومه إلى النصرانية ، وكان أعذل ملوكهم وأحسنهم سيرة ، وهو الذي أصل النصرانية ؛ والإنجيلات أو المصاحف الأربعة من انتساخه وجمعه وتثقيفه ؛ فتأفست ملوك القوط بالأندلس بعده حتى غلبهم عليها العرب ؛ وعدد من ملك منهم إلى آخرهم وهو لذريق ستة وثلاثون ملكاً .

ولذريق لم يكن من أبناء الملوك ولا بصحيح النسب في القوط ، وإنما نال الملك من طريق الغصب والتسور عند ما مات غيظشة الملك وكان أميراً لديه^(٣) فاستنصر أولاده واستمال طائفة من الرجال مالوا إليه فانتزع الملك من ولد غيظشة ، وغيظشة آخر ملوك القوط بالأندلس ، ولي سنة ٧٧ من الهجرة فلك خمس عشرة سنة .

وكانت طليطلة دار المملكة بالأندلس حينئذ ، وكان بها بيت معلق متحامي الفتح يلزمه من ثقات القوط قوم قد وكلوا به لئلا يفتح ، قد عهد الأول في ذلك إلى الآخر ، كلما ملك منهم ملك زاد على البيت قفلاً ، فلما ولي لذريق عزم على فتح الباب

(١) توف : « حبر » . (٢) توف : « خنوش » .

(٣) توف : « أمير الدية » .

والاطَّلَاج على ما في البيت ، فأعْظَمَ ذلك أَكْبَرُهُمْ ، وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ فِي الْكَفِّ فَأَبَى ، وَظَنَّ أَنَّهُ يَنْتُ مَالٌ ، فَقَضَى الْأَقْفَالَ عَنْهُ وَدَخَلَهُ فَأَصَابَهُ فَارِغًا لَشَيْءٍ فِيهِ إِلَّا تَأَبُّوْتَا عَلَيْهِ قِفْلٌ ، فَأَمَرَ بَفْتَحَهُ فَأَلْفَاهُ أَيْضًا فَارِغًا لَيْسَ فِيهِ إِلَّا شَقَّةٌ مُدْرَجَةٌ قَدْ صُوِّرَتْ فِيهَا صُورُ الْعَرَبِ عَلَى الْخِيُولِ وَعَلَيْهِمُ الْعِمَامُ ، مُتَقَلِّدِي السِّيُوفِ ، مُتَنَكِّبِي الْقِسِيِّ ، رَافِعِي الرِّيَابِ عَلَى الرِّمَاحِ ، وَفِي أَعْلَاهَا كِتَابَةٌ بِالْمَجْمِيَّةِ فَقُرِئَتْ فَإِذَا هِيَ : إِذَا كُسِرَتْ هَذِهِ الْأَقْفَالُ ٥ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ وَفُتِحَ هَذَا التَّابُوتُ فَظَهَرَ مَا فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصُّورِ فَإِنَّ الْأُمَّةَ الْمُصَوَّرَةَ فِيهِ تَغْلِبُ عَلَى الْأَنْدَلُسِ وَتَمْلِكُهَا ، فَوْجٌ لُذْرِيْقٌ وَعَظْمُ غَمُّهُ وَغَمُّ الْعَجَمِ وَأَتَرَ بَرْدُ الْأَقْفَالِ وَإِقْرَارِ الْحُرَّاسِ عَلَى حَالِهِمْ .

وكان من سِرِّ الأعاجم بالأندلس أن يبعث أكابرهم بأولادهم إلى بساط الملك ليتأدَّبُوا بِأَدَبِهِ ، وَيَسَالُوا مِنْ كَرَامَاتِهِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا أَنْكَحَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا اسْتِثْلَافًا ١٠ لَأَبَائِهِمْ ، وَحَمَلَ صَدَقَاتِهِمْ وَتَوَلَّى تَجْهِيْزَ إِنَائِهِمْ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ ؛ فَاتَّفَقَ أَنْ فَعَلَ ذَلِكَ يَلْيَانَ عَامِلٌ لُذْرِيْقٌ عَلَى سَبْتَةٍ ، وَجَّهَ ابْنَةً لَهُ بَارِعَةَ الْجَمَالِ تَكْرُمُ عَلَيْهِ ، فَوَقَعَتْ عَيْنُ^(١) لُذْرِيْقٍ عَلَيْهَا فَأَعْجَبَتْهُ فَاسْتَكْرَهَهَا عَلَى نَفْسِهَا وَاحْتَالَتْ حَتَّى أَعْلَمَتْ أَبَاهَا بِذَلِكَ سِرًّا بِمَكَاتِبَةِ خَفِيَّةٍ ، فَأَحْفَظَهُ شَأْنُهَا وَقَالَ : وَدَيْنَ الْمَسِيحِ لَا زِلْنَ سُلْطَانَهُ ! وَكَانَ امْتِعَاضُهُ مِنْ فَاخِشَةِ ابْنَتِهِ السَّبَبَ لَفْشَجِ الْأَنْدَلُسِ بِالَّذِي سَبَقَ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ؛ ثُمَّ إِنَّ يَلْيَانَ رَكِبَ بَحْرَ الزُّنْقَاقِ ١٥ مِنْ سَبْتَةٍ فِي أَصْنَبِ الْأَوْقَاتِ فِي شَهْرِ يَنْبَرٍ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى احْتَلَّ بِطُلَيْطُلَةَ حَضْرَةِ لُذْرِيْقٍ ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ مَجِيئَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ وَسَأَلَهُ عَنِ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّ زَوْجَتَهُ اشْتَدَّ شَوْقُهَا إِلَى ابْنَتِهَا الَّتِي عَنْدهُ ، وَتَمَنَّتْ لِقَاءَهَا قَبْلَ الْمَوْتِ ، وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ فِي إِحْضَارِهَا ،

(١) ف : « فُلَاعِينَ » .

وَأَحَبَّ إِسْتَعَاْفَهَا بِهَا ، وَسَأَلَ الْمَلِكَ إِخْرَاجَهَا إِلَيْهِ وَتَعْجِيلَ إِطْلَاقِهِ لِلْمَبَادَرَةِ بِهَا ؛ ففعل
 وَأَجَازَ الْجَارِيَةَ ، وَتَوَثَّقَ مِنْهَا بِالْكِمَانِ عَلَيْهِ ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهَا وَعَلَى أَيْيَهَا وَانْقَابَ عَنْهُ .
 وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ لُذْرِيْقُ : إِذَا أَنْتَ قَدَمْتَ عَلَيْنَا فَاسْتَفِرْ لَنَا
 مِنَ الشُّذَانِقَاتِ ! فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَالْمَسِيحُ لَأَدْخِلَنَّ عَلَيْكَ شُذَانِقَاتٍ مَا دُخِلَ
 عَلَيْكَ بِمِثْلِهَا قَطُّ ! يَرْضُ لَهْ بِمَا أَضْمَرَهُ مِنَ السَّمَى فِي إِدْخَالِ رِجَالِ الْعَرَبِ الْأَنْدَلُسِ
 عَلَيْهِ ، وَهُوَ لَا يَقْطُرُ ؛ فَلَمْ يَنْهَنْهُ يَلِيَانُ إِذْ وَصَلَ سَبْتَهُ أَنْ تَهَيَّأَ لِلْمَسِيرِ نَحْوَ مُوسَى بْنِ
 نُصَيْرٍ ، فَأَتَاهُ بِإِفْرِيقِيَّةٍ ، فخرَّضَهُ عَلَى غَزْوِ الْأَنْدَلُسِ وَوَصَفَ لَهُ حُسْنَهَا وَفَوَائِدَهَا وَفَضْلَهَا ،
 وَهَوَّنَ عَلَيْهِ حَالَ رِجَالِهَا ، فَعَاقَدَهُ مُوسَى عَلَى الْإِنْخِرَافِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَسَامَهُ مَكَاشِفَةَ أَهْلِ
 مِلَّتِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، ففعل يَلِيَانُ ذَلِكَ وَحَلَ بِسَاحِلِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ، فَقَتَلَ وَسَبَى
 وَغَنِمَ وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا يَشْنُ الْغَارَاتِ ، وَشَاعَ الْخَبَرُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَنْسَوْا يَلِيَانَ ، وَذَلِكَ
 عَقَبَ سَنَةِ ٩٠ .

وَكَتَبَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ إِلَى الْوَلِيدِ يُعَلِّمُهُ بِمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ يَلِيَانُ وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي افْتِتَاحِ
 الْأَنْدَلُسِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ أَنَّ خُضْعَهَا بِالسَّرَايَا حَتَّى تَخْتَبِرَ ^(١) شَأْنَهَا وَلَا تُفَرِّزَ ^(٢)
 بِالْمُسْلِمِينَ فِي بَحْرِ شَدِيدِ الْأَهْوَالِ ، فَرَاغَهُ أَنَّه لَيْسَ بِبَحْرٍ وَإِنَّمَا هُوَ خَلِيجٌ يَنْبِيْنُ لِلنَّاضِرِ
 مَا وَرَاءَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : وَإِنْ كَانَ فَلَا بُدَّ مِنْ اخْتِبَارِهِ بِالسَّرَايَا ! فَبَعَثَ مُوسَى عِنْدَ ذَلِكَ
 رَجُلًا مِنْ مَوَالِيهِ مِنَ الْبَرْبَرِ اسْمُهُ طَرِيفُ بْنُ مَلُوكِ الْمَعَاْفِرِيِّ يُكْنَى أَبَا زُرْعَةَ فِي أَرْبَعِمِائَةِ
 رَجُلٍ فَعَبَّرَ بِهِمْ وَنَزَلَ فِي الْجَزِيرَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَيْهِ ؛ ثُمَّ أَغَارَ عَلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَنَوَاحِيهَا
 فَأَصَابَ سَبْيًا لَمْ يَرَّ مُوسَى فِيهَا أَصَابَهُ مِثْلُهُ حُسْنًا ، وَأَصَابَ مَالًا جَسِيمًا وَأَمْتَةً ، وَذَلِكَ فِي
 شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٩١ .

(٢) ت وف : « يفرز » .

(١) ت وم : « يختبر » .

فلما رأى ذلك الناسُ أَسْرَعُوا إلى الدخول ، فدعا موسى مؤلَّى له كان على مُقَدِّمَاتِهِ
يسمى طارق بن زياد ، قيل هو فارسي ^(١) وقيل هو من الصَّدَفِ ^(٢) وقيل ليس بمؤلَّى ، وقيل
هو بَرَبْرِيٌّ من نَفَرَةٍ ، فَعَقَدَ له وَبَعَثَهُ في سبعة آلاف من البربر ^(٣) والموالي ، ليس فيهم عَرَبِيٌّ
إِلَّا القليل . فَهَيَّأَ له يَلِيَّانِ المراكب وحلَّ بِجبل طارق يوم سبت في شعبان من سنة ٩٢ ،
وهو من شهور العَجَم شهر أَغُسْتُ ، وقيل في رجب من السنة ، في اثني عشر ألفاً غير
ستة عشر رجلاً لم يكن فيهم من العرب إِلَّا القليل .

وأصاب طارق عَجُوزاً من أهل الجزيرة فقالت له : كان لي زوجٌ عالمٌ بالحدثان ،
وكان يُحَدِّثُ عن أميرٍ يدخل بلدنا هذا وَيَصِفُهُ صَنَمَ الهامة وأنت كذلك ! ومنها أَنَّ
بكِتْفِهِ الأيسر شامةً عليها شعرٌ ، فَإِنْ كَانَتْ بك هذه الشامةُ فَأَنْتَ هو ، فكشف
طارق ثوبَهُ فَإِذَا بالشامةِ على كتفه كما ذَكَرَتِ العجوزُ ، فاستبشر بذلك هو ومن معه . ١٠
وذكرَ عن طارق أَنَّهُ كان نائماً في المركب فرأى في منامه النبيَّ (صلم) والخلفاء
الأربعة يمشون على الماء حتى مرُّوا به ، فبشَّره النبيُّ (صلم) بالفتح وأمره بالرفق على
المسلمين والوفاء بالمعهد ؛ وفي حكايةٍ إِنَّهُ لما ركب البحرَ غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فرأى النبيَّ (صلم)
وحَوَّلَهُ المَهاجِرُونَ والأنصارُ قد تَقَلَّدُوا السيوفَ ، وتكَبَّوا القسيَّ ، فيقول له النبيُّ :
يا طارق تَقَدَّمْ لِسَائِكَ ! ونظر إليه وإلى أصحابه قد دخلوا الأندلس قدَّامه فهبَّ من نومه ١٥
مُسْتَبْشِراً وبشَّرَ أصحابه ولم يشكَّ في الظفر ، فنزل بالجبل شائناً للغارات في البَسَائِطِ ،
ولذريق يومئذٍ غائبٌ في غزاةٍ له ، واتَّصل به الخبر فمظم عليه أمره ، وفهم الخبر الذي أَتَى
منه مع يَلِيَّانِ ، وأقبل مبادراً في جموعه حتى احتلَّ بقرطبة أياماً والجنودُ تتوافى عليه ،

(٢) ت وف : « الصدق » .

(١) ت وف : « فارس » .

(٣) ت وف : « الأوس » .

وكان في وجهته ولَّى شِشْبوت^(١) بن الملك غِطِشَة مِيمَتَه وأخاه مِيسَرَتَه ، وهما الولدانِ
الَّذَانِ سَلِبَهُمَا مُلْكُ أَبِيهِمَا ، فَبَعَثَا إِلَى طَارِقٍ يَسْأَلَانِهِ الْأَمَانَ إِذَا مَالَآ إِلَيْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ بَيْنَ
مَعَهُمَا ، وَعَلَى أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِمَا ضِيَاعَ وَالدِّهْمَا غِطِشَة إِنْ ظَفَرَ ، فَأَجَابَهُمَا طَارِقٌ إِلَى ذَلِكَ ،
وَعَاقَدَهُمَا عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا التَقَى الْجَمْعَانِ انْحَازَ هَذَانِ الْغُلَامَانِ إِلَى طَارِقٍ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ
الْفَتْحِ ، وَكَانَ الطَّاعِيَةُ لُذْرِيْقٍ فِي سِتْمَاةِ أَلْفِ فَارِسٍ .

وَقَدْ خَرَجْتُ عَنْ حَكْمِ الْاِخْتِصَارِ الَّذِي التَزَمْتُ فِي هَذَا الْوَضْعِ فَلَنَقْصُرُ عَلَى هَذَا
الْقَدْرِ ، وَأَمَّا ذِكْرُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ فَتَأْتِي فِي مَوَاضِعِهَا اللَّائِقَةُ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَاِفْتَتَحَتْ الْأَنْدَلُسُ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَكَانَ فَتْحُهَا مِنْ أَكْثَرِ الْفَتْوحِ
الذَّاهِبَةِ بِالصِّيتِ فِي ظُهُورِ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ ؛ وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مُعْتَنِيًا بِهَا ، مَهْمًا
بِشَأْنِهَا ، وَهُوَ الَّذِي قَطَعَهَا عَنْ نَظَرِ وَالِي إِفْرِيْقِيَّةِ وَجَرَّدَ لَهَا عَامِلًا مِنْ قَبْلِهِ .

٢ - أَبَال

حَصْنٌ بِالْأَنْدَلُسِ فِي شِمَالِ قَرْطَبَةِ وَعَلَى مَرَحَلَةٍ مِنْهَا ، وَهُوَ الْحَصْنُ الَّذِي فِيهِ
مَعْدِنُ الزَّئْبِقِ .

* وَفِيهِ يَعْمَلُ الزَّئْبِقُفُورُ^(٢) وَمِنْهُ يَتَجَهَّزُ بِالزَّئْبِقِ وَالزَّئْبِقُفُورُ إِلَى جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ ،
وَيَخْدُمُ هَذَا الْمَعْدِنَ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ ، فَقَوْمٌ لِلنُّزُولِ وَقَطْعِ الْحَجَرِ ، وَقَوْمٌ لِنَقْلِ
الْحَطَبِ لِحَرْقِ الْمَعْدِنِ ، وَقَوْمٌ لِعَمَلِ أَوَانِي السَّبْكِ وَالتَّصْفِيَةِ^(٣) ، وَقَوْمٌ لِبَيْتَانِ^(٤) الْأَفْرَانِ
وَالْحَرْقِ ، وَمِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَى أَسْفَلِهِ فِيمَا حُكِيَ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ قَامَةٍ^(٥) .

(١) توفى وم : « ششوب » . (٢) م في ا د . (٣) ا د : « وتصعيده » .

(٤) ا د ص ٢١٣ - ٢١٤ .

(٥) ا د : « لئان » .

٣ - أبذة

مدينة بالأندلس .

* بينها وبين يّاسة سبعة أميال ، وهي مدينة صغيرة وعلى مقربة من النهر الكبير ، ولها مزارع وغلات ، قمح وشعير ، كثيرة جدًا ^(١) .

وفي سنة ٦٠٩ مالت عليها جموع النصرانية بعد كائنة العقاب ، وكان أهلها قد أنفوا من إخلانها ^(٢) كما فعل جيرانها أهل يّاسة ، ولم ترفع تلك الجموع يدًا عن قتالها حتى ملكتها بالسيف ، وقتل فيها كثير ، وأسروا كثيرًا ، ووقع على ما كان فيها بين أجناس النصارى خصام آل إلى الشحنة والافتراق ، وكفى الله المسلمين بذلك شرًا كثيرًا ، وكان بعضهم قد طلب أبذة فتناقصوا فيها ولم يأخذها أحد منهم وخرّبوا أسوارها .

٤ - ابطير ^(٣)

حصن بالأندلس بمقربة من بطليوس ، من بناء محمد بن أبي عامر من جليل الصخر ، داخله عين ماء خرازة ، وهو اليوم خال .

وعلى مقربة منه ، بنحو ثلاث غلاء ، قبر في نشز من الأرض . قد نُحت في حجر وقد نُضد عليه صفائح الحجارة ، ويُعرف بقبر الشهيد ، ولا يعلم له وقت لقدمه ، يُرفع عنه بعض تلك الصفائح فيرى صحيح الجسم لم يتغير ، نابت الشعر .

٥ - أربونة

مدينة هي آخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما إلى بلاد

(١) ارس ٢٠٣ . (٢) م : « إجلانها » . (٣) م : « ابير » .

الإفريقية ، وقد خرجت من أيدي المسلمين سنة ٣٣٠ مع غيرها مما كان في أيدي المسلمين من المدن والحصون .

٦ - أَرْجُونَة

مدينة أو قلعة بالأندلس ، إليها يُنسب محمد بن يوسف بن الأحمر الأزجوني من متأخري سلاطين الأندلس .

٧ - أَرْشُدُونَة

بالأندلس وهي قاعدة كورة ، ومنزل الولاية والممالك ، وهي بقلي قرطبة ، تسقى أرضها وتطرد في نواحيها عيون غزار ، وأنهار كبار ، وهي برية بحرية ، سهلها واسع وجبلها مانع ، وسورها الآن مهدوم ، ولها حصن فوق المدينة ، ولها مدن كثيرة ، وبها آثار قديمة ، ومن مدنها مالقة ، بينهما ثمانية وعشرون ميلاً .

٨ - أَرْغُون

هو اسم بلاد غرسيّة بن شانجة تشتمل على بلاد ومنازل وأعمال .

٩ - الْأَرْك

هو حصن منيع بمقربة من قلعة رباح أول حصون إذ فونش بالأندلس ، وهناك كانت وقعة الأرك على صاحب قشتالة وجموع النصارى على يد المنصور يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ملك المغرب في سنة ٥٩١ هـ ؛ وكان بلغ المنصور يعقوب

أَنَّ صَاحِبَ قِشَالَةِ شَنْ الْغَارَاتِ عَلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْدَلُسِ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ،
وَعَمَّ ذَلِكَ جِهَةً إِشْبِيلِيَّةً وَنَوَاحِيهَا ، فَامْتَعَضَ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ تَحَرَّكَ مِنْ حَضْرَتِهِ مَرَّكَشَ إِلَى
الْأَنْدَلُسِ وَاسْتَقَرَّ بِإِشْبِيلِيَّةٍ فَأَعْرَضَ ^(١) الْجُنْدَ وَأَعْطَى الْبَرَكَاتِ ، ثُمَّ نَهَضَ فِي الْحَادِي عَشَرَ
مِنْ جُمَادَى الْآخِرَى وَوَصَلَ قَرْطَبَةَ فَرَوَّحَ بِهَا فَالتَقَى الْجَمْعَانِ بِجِسْرِ الْأَرْكِ وَالتَحَمَّ الْقِتَالُ
فَانْهَزَمَ الْعَدُوُّ وَرَكِبَهُمُ بِالسَّيْفِ مِنْ ضُحَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ تَاسِعِ شَعْبَانَ إِلَى الزَّوَالِ وَانْتَهَبَ
مَحَلَّةَ الرُّومِ وَقَتَلَ مِنْهُمْ زُهَاءً ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَاسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ دُونَ الْخَمْسِمِائَةِ ، وَأَقْلَتَ
إِذْ فَوْنُسُ وَاجْتَاذَ عَلَى طَلِيطَلَةَ لَا يُعْرَجُ عَلَى شَيْءٍ فِي عَشْرِينَ فَارِسًا ، وَحَصَرَ الْمُسْلِمُونَ
فَلَهُمْ بِمَحْصَنِ الْأَرْكِ وَكَانُوا خَمْسَةَ آلَافٍ فَصَالَحُوا بِقَدْرِهِمْ مِنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ .

وَسَمِعْتُ مَنْ يُحَدِّثُ أَنَّ هَذَا الْفَتْحَ كَانَ اتِّفَاقِيًّا بِسَبَبِ إِحْرَازِ الرُّومِ بَعْضَ رَايَاتِ
الْمُسْلِمِينَ وَذَهَابِهِمْ بِهَا قَائِمَةً مُتَنَصِّبَةً وَانْبِعَاطَ حِفَافِظٍ بَعْضَ الْقِبَائِلِ لَمَّا عَايَنُوا رَايَةً
إِخْوَانِهِمْ مُتَقَدِّمَةً عَلَى الْعَدُوِّ ، وَإِذْ ظَنُّوا أَنَّ أَصْحَابَهُمْ حَمَلُوا عَلَى الْعَدُوِّ فَأَوْغَلُوا وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
الْحَالَ ، وَكَيْفَمَا كَانَ فَهُوَ فَتْحٌ مُبِينٌ وَنَصْرٌ مُؤَزَّرٌ .

ثُمَّ رَجَعَ الْمَنْصُورُ إِلَى إِشْبِيلِيَّةٍ ظَافِرًا فَأَقَامَ مُدَّةً ثُمَّ غَزَا بِلَادَ الْجُوفِ فَحَاصَرَ تَرْجَالَه
وَنَزَلَ عَلَى بَلَنْسِيَّةٍ فَفَتَحَهَا عَنُودًا ، وَقَبِضَ عَلَى قَائِدِهَا يَوْمَئِذٍ مَعَ مِائَةِ وَخَمْسِينَ مِنْ أَعْيَانِ
كُفَّارِهَا ، وَوَجَّهَهُمْ إِلَى خِدْمَةِ بِنَاءِ الْجَامِعِ الْكَبِيرِ بِسَلَامٍ مَعَ أَسَارَى الْأَرْكِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ ^(٢)
إِلَى طَلِيطَرَةٍ وَمَكَادَةِ نَخْرَبَهْمَا ، ثُمَّ بَرَزَ عَلَى طَلِيطَلَةَ فَشَنَّ عَلَيْهَا الْغَارَاتِ ، ثُمَّ نَازَلَ بِمَجْرِي طِ
وَشَرَعَ فِي الْقُفُولِ ، فَأَخَذَ عَلَى جَيَّانٍ إِلَى قَرْطَبَةَ إِلَى إِسْتِجَابَةِ إِلَى قَرْمُونَةَ ، وَوَصَلَ إِلَى
إِشْبِيلِيَّةٍ فِي رَمَضَانَ .

(٢) س : « انطلق » .

(١) ف : « تعرض » .

١٠- أَرْكُش

حصنٌ بالأندلس على وادي لكه وهو مدينة أزيلَّة قد خربت مَرَارًا ومُحَرَّتٌ ،
وعندها زيتون كثير .

١١- أَرْنِيط

مدينة بالأندلس أوَّلِيَّة بينها وبين تطيلة^(١) ثلاثون ميلاً ، وحواليها بطاح طَيِّبَةٌ
المزارع ، وهى قلعة عظيمة منيعة من أجلِّ القلاع ، وفيها بُرٌّ عذبة لا تنزح ، قد
أُنبطت^(٢) فى الحَجَرِ الصلد ؛ وهذه القلعة مُطَلَّة على أرض العدو ، وبينها وبين تطيلة
ثلاثون ميلاً .

١٢- إِسْتِجَّة

بين القبلة والغرب من قرطبة بينهما مرحلة كاملة ، وهى مدينة قَدِيمَةٌ لم يزل أهلها
١٠ فى جاهليَّة وإسلام على انحرافٍ وخروجٍ عن الطاعة . ومعنى هذا الاسم عندم « جمعت
الفوائد » ؛ وفى أخبار الحداث إنَّه كان يقال : « إِسْتِجَّةُ البُغى ، مذكورةٌ باللعنة والخزى ،
ويذهب خيارها ، ويبقى شرارها » .

وكانت هيئتها التى ألفاها عليها طارق بن زياد أن سورها كان قد عُقدَ بسورين
أحدهما صخرٌ أبيض والثانى صخرٌ أحمر بأجل صنعةٍ وأحكم بناء ، ورُدِمَ وسوى^(٣)

(١) ت : « قُطِيلة » ، ف و م : « نَطِيلة » . (٢) ف : « أُنِبت » . (٣) هـ فى م .

وَوُضِعَ فِي مَوَاضِعِ الشَّرَفَاتِ مِنَ الْمَرْمَرِ صُورُ بَنِي آدَمَ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ تُوجُهُ الْقَاصِدَ نَحْوَهَا فَلَا يَشْكُ النَّاضِرُ أَنَّهَا رِجَالٌ وَقُوفٌ، وَكَانَ لَهَا مِنَ الْأَبْوَابِ بَابُ الْقَنْطَرَةِ شَرْقِيٌّ، بَابُ أَشُونَةَ^(١) قِبْلِيٌّ، بَابُ رِزْقِ غَرْبِيٌّ، [بَابُ] السُّوَيْقَةِ جُوفِيٌّ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالْمَدِينَةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الرَّصِيفِ الْأَعْظَمِ الْمَسْلُوكِ عَلَيْهِ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ.

- وَكَانَتْ إِسْتِجَّةٌ وَاسِعَةٌ الْأَرْبَاضِ ذَاتِ أَسْوَاقٍ عَامِرَةٍ وَفَنَادِقَ جَمَّةٍ، وَجَامِعُهَا فِي رَبَضِهَا مَبْنِيٌّ بِالصَّخْرِ لَهُ خَمْسُ بِلَاطَاتٍ عَلَى أَعْمَدَةٍ رَخَائِمَ، وَتَجَاوَرُهُ كَنِيسَةٌ لِلنَّصَارَى؛ وَبِإِسْتِجَّةٍ آثَارُ كَثِيرَةٍ وَرَسُومٌ تَحْتَ الْأَرْضِ مَوْجُودَةٌ وَهِيَ^(٢) مَنَسَحَةُ الْخَطَّةِ، عَذْبَةُ الْأَرْضِ، زَكِيَّةُ الرِّيعِ، كَثِيرَةُ الثَّمَارِ وَالْبَسَاتِينِ، نَضِيرَةُ الْفَوَاكِهِ وَالزَّرْعِ، وَلَهَا أَقَالِيمُ خَمْسَةٌ. وَكَانَ أَهْلُ إِسْتِجَّةٍ يَمْنَنُ خَلْعَ وَخَالَفَ، فَافْتَتَحَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَى يَدِ بَذْرِ الْحَاجِبِ سَنَةِ ٣٠٠، فَهَدَمَ سُورَهَا وَوَضَعَ بِالْأَرْضِ قَوَاعِدَهَا، وَأَلْحَقَ أَعَالِيَهَا بِأَسَافِلِهَا، ١٠ وَهَدَمَ قَنْطَرَةَ نَهْرِهَا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ [طَوِيلٌ].

- أَلَا إِنَّهُ فَتَحَ يَقْرَأُ لَهُ الْفَتْحُ فَأَوَّلُهُ سَعْدٌ وَآخِرُهُ نَجْحُ
سَرَى الْقَاعِدُ الْمَيْمُونُ خَيْرٌ سَرِيَّةً تَقَدَّمَا نَصْرٌ وَتَابَعَهَا فَتْحُ
أَلَمْ تَرَهُ أُرْدَى بِإِسْتِجَّةِ الْمِنْدَا فَلَقُوا عَذَابًا كَانَ مَوْعِدَهُ الصَّبْحُ
فَلَا عَهْدَ لِلْمَرَاءِ مِنْ بَعْدِ هَذِهِ يَتِمُّ لَهُ عِنْدَ الْإِمَامِ وَلَا صَلَاحُ ١٥
فَوَلَّوْا عِبَادِيدًا بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ وَقَدْ مَسَّاهُمْ قِدْحٌ^(٣) وَمَا مَسَّنَا قِدْحٌ^(٣)
وَبَيْنَ إِسْتِجَّةٍ وَمَرْشَانَةَ عَشْرُونَ مَيْلًا، وَكَذَلِكَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قَرْمُونَةَ.

(١) سِي وَت وَم: «أَشُونَةُ». (٢) هَذَا فِي سِي وَت. (٣) ت وَم: «قِرْم».

١٣ - أَشْبُونَة

بالأندلس من كُور بَاجَة المُختلطة بها ، وهى مدينة الاشبونة ، والأشبونة بَغْرَبِيّ
 بَاجَة ، وهى مدينة قَدِيمَة على سيف البحر تَنكسر أمواجه فى سورها ، واسمها قودية ،
 وسورها رائق البنيان ، بديع الشأن ، وبابها الغربى قد عُقِدَتْ عليه حنايا^(١) فوق
 حنايا على مُحمّد من رخام مثبتة على حجارة من رخام وهو أكبر أبوابها ، ولها باب
 غَربى أيضاً يُعرف بباب الخوخة^(٢) مُشرف على سَرَج فسيح يشقه جَدولاً ماء يصُبّان
 فى البحر ، ولها باب قَبْلَى يُسمّى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مدّه وترتفع
 فى سورة ثلاث قِيم ، وباب شَرْقى يُعرف بباب الحمة ، والحمة على مقربة منه ومن
 البحر دِيَماسُ ماء حارّ وماء بارِد ، فإذا مدّ البحر وَاَرَاهُمَا ؛ وباب شَرْقى أيضاً يُعرف
 بباب المقبرة . ١٠

* والمدينة فى ذاتها حسنة ممتدة مع النهر ، لها سور وقَصَبَة منيعة ؛ والأشبونة
 على نحر البحر المظلم ؛ وعلى صَفَة البحر^(٣) من جنوبه قِبالة مدينة الأشبونة حصن المَعْدِن ؛
 ويُسمّى بذلك لِأَنّ عند هَيْجَان البحر يَقْدِفُ بالذَّهَبِ التَّبرِ هُنَاكَ ؛ فإذا كان الشتاء قصد
 إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المَعْدِن الذى به إلى انقضاء الشتاء ، وهو من
 عجائب الأرض . ١٥

ومن مدينة الأشبونة كان خروجُ المَغْرُوبِينَ^(٤) فى ركوب بحر الظلمات ليعرفوا
 ما فيه وإلى أين انتهأؤهُ ، وَلَهُمْ بِأشبونة مَوْضِعٌ بقرب الحمة منسوبٌ إليهم يُعرفُ

(١) س و ث و م و ف : « خبايا » . (٢) ف : « الحرة » .

(٣) ا و : « النهر » . (٤) ف و م : « المغروبين » .

بَدَرَبِ الْمَغْرُورِينَ ، وَذَلِكَ أَنَّ ثَمَانِيَةَ رِجَالٍ ، كُلُّهُمْ أَبْنَاءُ نَعْمَ ، اجْتَمَعُوا فَايْتَنُوا مَرَكَبًا
وَأَدْخَلُوا فِيهِ مِنَ الْمَاءِ وَالزَّادِ مَا يَكْفِيهِمْ لِأَشْهُرٍ ، ثُمَّ دَخَلُوا الْبَحْرَ فِي أَوَّلِ طَارُوسِ الرِّيحِ
الْشَّرْقِيَّةِ ، فَجَرَوْا بِهَا نَحْوًا مِنْ إِحْدَى عَشْرَ يَوْمًا ؛ فَوَصَلُوا إِلَى بَحْرِ غَلِيظِ الْمَوْجِ ، كَثِيرِ
الرَّوَامِحِ ، كَثِيرِ التُّرُوشِ ^(١) ، قَلِيلِ الضَّوْءِ ، فَأَيَقَنُوا بِالْتَّلَفِ ، فَرَدُّوا قَلَمَهُمْ فِي الْيَدِ الْآخَرَى ،
وَجَرَوْا فِي الْبَحْرِ فِي نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ اثْنَيْ عَشْرَ يَوْمًا ؛ فَخَرَجُوا إِلَى جَزِيرَةِ النَّعْمِ ، وَفِيهَا مِنْ
النَّعْمِ مَا لَا يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ وَلَا تَحْصِيلٌ ، وَهِيَ سَلْرَحَةٌ لَا نَظِيرَ لَهَا وَلَا رَاجَ ، فَقَصَدُوا الْجَزِيرَةَ
وَنَزَلُوهَا فَوَجَدُوا عَيْنَ مَاءٍ جَارِيَةٍ ، عَلَيْهَا شَجَرَةٌ تَيْنِ بَرِّيٍّ ، فَأَخَذُوا مِنْ تِلْكَ النَّعْمِ
فَذَبَحُوهَا فَوَجَدُوا لَحْمَهَا مَرَّةً لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى أَكْلِهَا ، فَأَخَذُوا مِنْ جُلُودِهَا وَسَارَوْا مَعَ
الْجَنُوبِ اثْنَيْ عَشْرَ يَوْمًا إِلَى أَنْ لَاحَتْ لَهُمْ جَزِيرَةٌ ، فَنَظَرُوا فِيهَا إِلَى عِمَارَةٍ وَحَرْتٍ ،
فَقَصَدُوا إِلَيْهَا لِيَرَوْا مَا فِيهَا ، فَمَا كَانَ إِلَّا غَيْرَ بَعِيدٍ حَتَّى أُحِيطَ بِهِمْ فِي زَوَارِقٍ ، فَأَخَذُوا ١٠
وَحْمِلًا إِلَى مَدِينَةٍ عَلَى صَفَةِ الْبَحْرِ ، فَأَنزَلُوا بِهَا فِي دَارٍ ، فَأَرَأَوْا بِهَا رِجَالًا شُغْرَاءَ زُغْرًا ،
شَعُورُهُمْ سَبْطَةٌ ، وَهُمْ طَوَالُ الْقُدُودِ ، وَلِنَسَائِهِمْ جَمَالٌ عَجِيبٌ ، فَاعْتَقَلُوا فِي بَيْتٍ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ رَجُلٌ يَتَكَلَّمُ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ ،
وَفِيمَ جَاءُوا ، وَأَيْنَ بِلَادِهِمْ ، فَأَخْبَرُوهُ بِكُلِّ خَبَرِهِمْ فَوَعَدَهُمْ خَيْرًا ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ تَرْجَمَانٌ ؛
فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ أُخْضِرُوا بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ ، فَسَأَلَهُمْ عَمَّا سَأَلَهُمْ عَنْهُ ١٥
التَّرْجَمَانُ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَخْبَرُوا بِهِ التَّرْجَمَانُ بِالْأَمْسِ ، وَأَنَّهُمْ اقْتَحَمُوا الْبَحْرَ لِيَرَوْا مَا فِيهِ
مِنَ الْعَجَائِبِ ، وَلِيَقْفُوا عَلَى نَهَايَتِهِ ، فَلَمَّا عَلِمَ الْمَلِكُ ذَلِكَ ضَحَكَ وَقَالَ لِلتَّرْجَمَانِ : أَخْبِرْ
الْقَوْمَ أَنَّ أَبِي أَمَرَ قَوْمًا مِنْ عِبِيدِهِ بِرُكُوبِ هَذَا الْبَحْرِ ، وَأَنَّهُمْ جَرَوْا فِي عَرَضِهِ شَهْرًا

إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير^(١) فائدة تُجدي^(٢)، ثمَّ وعدم خيراً،
وصُرفوا إلى موضع حبسهم، إلى أن بدأ جرى الريح الغريية؛ فعمرَ بهم زورقٌ،
وعُصِّبَتْ عيونهم وجرىَ بهم في البحر بُرْهةً من الدهر.

قال القوم: قدَرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيامٍ بلياليها، حتى جىء بنا إلى البرِّ، فأخرجنا
وَكُنَّا إلى خلفٍ، وثُرِ كُنَّا بالساحل إلى أن تضاحى النهارُ، وطلعت الشمسُ، ونحنُ في
ضنكٍ وسوء حالٍ من شدة الكتاف، حتى سمعنا ضوضاءً وأصواتَ ناسٍ فصَحَّحْنَا بِحِمْلَتِنَا،
فأقبل القومُ إلينا فوجدونا بتلك الحال السيئة؛ فخلوا أو ناقنا وسألونا فأخبرناهم بخبرنا،
وكانوا بَرَّابِرَ، فقال لنا أحدُهم: أتململون كمَ يَنُتكم ويَنُ بَدِكم؟ فقلنا: لا، فقال:
مسيرة شهرين! فقال زعيمُ القوم: وا أسفَى! فسُئِلَ المكانُ إلى اليوم أسفَى، وهو
المرسى الذي في أقصى المغرب^(٣).

١٤ - إشبيلية

مدينة بالأندلس جليَّةٌ بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيامٍ، ومن الأميال ثمانون.
* وهي مدينة قديمة أزليَّةٌ، يذكر أهل العلم باللسان اللطيف أن أصلَ تسميتها
إشبالي معناه «المدينة المنبسطة»، ويقال إن الذي بناها يُولِش القيصَر، وإنَّه أوَّل من
تسمَّى قيصَر، وكان سببُ بنائه إياها أنه لما دخل الأندلس ووصل إلى مكانها أعجبه
كرمُ ساحته، وطيبُ أرضه، وجبله المعروف بالشَّرَف. فقدم على النهر الأكبر مكاناً،
وأقام فيه المدينة وأخذَقَ عليها بأسوارٍ من صَخَرٍ، وبني في وسط المدينة قَصَبَتَيْنِ

(١) زُفَى لَر: «حاجة ولا». (٢) مَت: «تجرى». (٣) لَر م ١٨٤ - ١٨٥.

مُتَقَنَّتَيْنِ عَجِيبَتَيِ الشَّانِ ، تُعَرَّفَانِ بِالْأَخَوَيْنِ ، وَجَعَلَهَا أُمُّ قَوَاعِدِ الْأَنْدَلُسِ ، وَاشْتَقَّ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِهِ وَمِنْ اسْمِ رُومِيَةٍ فَسَمَّاها رُومِيَّةً يُوْلِيْشُ ؛ وَيُقَالُ إِنَّ إِيْشْبَانِيَا اسْمٌ خَاصٌّ يُبْلَغُ إِشْبِيلِيَّةُ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُهُ إِشْبَانُ بْنُ طِيطُشٍ وَبِاسْمِهِ سُمِّيَتِ الْأَنْدَلُسُ إِشْبَانِيَا ، وَلَمْ تَزَلْ مُعْظَمَةً عِنْدَ الْعَجَمِ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْهَا رِجَالٌ ^(١) وَلَوْ قِيَادَةَ الْعَجَمِ الْمُعْظَمَى وَالْمَمْلُوكَةَ بِمَدِينَةِ رُومِيَّةٍ ، وَرَوَى ابْنُ وَضَّاحٍ ^(٢) أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي قَتَلَتْ يَحْيَى بْنَ زَكْرِيَاءَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ إِشْبِيلِيَّةٍ مِنْ قَرْيَةٍ طَالِقَةٍ ^(٣) .

* وَهِيَ كَبِيرَةٌ عَامِرَةٌ لَهَا أَسْوَارٌ حَصِينَةٌ ، وَأَسْوَاقُهَا عَامِرَةٌ ، وَخَلْقُهَا كَثِيرٌ ، وَأَهْلُهَا مِيَّاسِيرٌ ، وَجَلُّ تِجَارَتِهِمُ الزَّيْتَ يَتَجَهَّزُونَ بِهِ ^(٤) إِلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ^(٥) بَرًّا وَبَحْرًا ، فَيَجْتَمِعُ ^(٦) هَذَا الزَّيْتُ مِنَ الشَّرَفِ ، وَهُوَ مَسَافَةٌ أَرْبَعِينَ مِيلًا كُلُّهَا فِي ظِلِّ شَجَرِ الزَّيْتُونِ وَالتِّينِ ، أَوَّلُهُ مَدِينَةُ إِشْبِيلِيَّةٍ ، وَآخِرُهُ مَدِينَةُ لَبْلَةٍ ، وَسَعَتُهُ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا ، وَفِيهِ ثَمَانِيَةٌ ١٠ آلَافٍ قَرْيَةٌ عَامِرَةٌ بِالْحَمَّامَاتِ وَالْدِّيَّارِ الْحَسَنَةِ ، وَبَيْنَ الشَّرَفِ وَإِشْبِيلِيَّةٍ ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ ^(٧) .

* وَمَدِينَةُ إِشْبِيلِيَّةٍ مُؤَفِيَةٌ عَلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ ، وَهُوَ فِي غَرْبِهَا ؛ وَيُذَكِّرُ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّ إِشْبَانَ بْنَ طِيطُشٍ مِنْ ذُرِّيَّةِ طَوِيلِ بْنِ يَافِثِ بْنِ نُوحٍ كَانَ أَحَدَ أَمْلَاقِ الْإِشْبَانِيِّينَ ، وَخَصَّ بِمُلْكِهِ أَكْثَرَ الدُّنْيَا ، وَأَنَّ بَدْءَ ظُهُورِهِ كَانَ مِنْ إِشْبِيلِيَّةٍ فَعَلَّظَ أَمْرَهُ ، وَبَعْدَ صَيْتِهِ ، وَتَمَكَّنَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ سُلْطَانُهُ ؛ فَلَمَّا مَلَكَ نَوَاحِيَ الْأَنْدَلُسِ ، وَطَاعَتْ لَهُ ١٥ أَقْصَى الْبِلَادِ خَرَجَ فِي السُّقْنِ مِنْ إِشْبِيلِيَّةٍ إِلَى إِيْلِيَاءَ ؛ فَفَنَّمَهَا وَهَدَمَهَا وَقَتَلَ بِهَا مِنَ الْيَهُودِ

(١) تَوْسُوفٌ : « فِيهَا » . (٢) نَهْدَفِي تَوْسُوفٌ .

(٣) بَدْوَةٌ ص ٢٥٩ ، رَاجِعْ مَوْجِدَ ص ٩٩ . (٤) أَوْ : « يَجْهَازُ بِهِ مِنْهَا » .

(٥) أَوْ : « إِلَى أَقْصَى الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ » . (٦) أَوْ : « يُجَيِّمُ » . (٧) أَوْ ص ١٧٨ .

مائة ألف ، وسبى مائة ألف ، وفرّق في الأرض مائة ألف ، وانتقل رخامها إلى إشبيلية وماردة وباجة^(١) ؛ وإنه صاحب المائدة التي أُلقيت بطليطة ، وصاحب الحجر الذي وُجد بماردة ، وصاحب قليلة الجوهر التي كانت بماردة أيضاً على حسب ما ذكر في فتح الأندلس ، فإنه حضر خراب بيت المقدس الأول مع بُحْت نَصْر ، وحضر الخراب الذي كان مع قَيْصَرِ شَيْشِيَان^(٢) ؛ وأذريان قَيْصَرِيْدُ كَرُّ أنه من طالقة إشبيلية ، وفي ستة عشر من دولته أنفق بينان إيلياء ، وكان من مضى من ملوك الأعاجم يتداولون بمسكنهم أربعة من المدن الأندلسية : إشبيلية ، وماردة ، وقرطبة ، وطليطة ؛ ويقسمون أزماتهم على الكثبونة .

وكان سور إشبيلية من بناء الإمام عبد الرحمن بن الحكم ، بناه بعد غلبة المَجُوس عليها بالحجر وأحكم بناءها ، وكذلك جامعها من بنائه ، وهو من عجيب البنيان وجليه ، وصومعته بديعة الصناعة ، غريبة العمل ، أركانها الأربعة عمود فوق عمود إلى أعلاها ، في كل ركن ثلاثة أعمدة ؛ فلما مات عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج في محرم سنة ٣٠١ قَدَّمَ أهلها أحمد بن مسلمة ، وكان من أهل البأس والنجدة فأظهر العناد ، وجاهر بالخلاف ، فأخرج إليه عبد الرحمن بن محمد قائداً من قواده بعد قائد ، حتى افتتحها على يد الحاجب يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ٣٠١^(٣) .

واستعمل عليها سعيد بن المنذر المعروف بابن السليم ، فهدم سورها ، وألحق أعاليه بأسافله ، وبنى القصر القديم المعروف بدار الإمارة ، وحصنه بسور صخر^(٤)

(١) ت. وسى : « يشيشيان » .

(٢) ت. وسى : « يشيشيان » .

(٣) ت. وسى : « قَدَّمَ أهلها » . (٤) ت. وسى : « حبر » .

رَفِيع ، وأبراج^(١) منيعة ، ومُنَى سورُ المدينة في الفتنة بالتراب^(٢) .

وإشبيلية آثارٌ للأول كبيرةٌ ، وبها أساطينُ عِظَامٌ تَدُلُّ على هَيْكَلٍ كَانَتْ بِهَا ؛
وإشبيلية من الكُورِ الْمُجَنَّدَةِ نَزَلَهَا جُنْدٌ حَصٌّ ، وَلَوْ أَوْثَمُ فِي التَّيْمَنَةِ بِمَدِينَةِ جُنْدِ دِمَشْقَ ،
وهي من أمصار الأندلس الجليّة الكثرية النافع ، العظيمة الفوائد ، وَيُظَلُّ على إشبيلية
جَبَلُ الشَّرَفِ ، وهو شريفُ البقعة ، كريمُ التُّربة ، دائمُ الخضرة ، فَرَسِيخٌ فِي فَرَسِيخٍ طَوِيلًا •
وَعَرَضًا ، لَا تَكَادُ تَشْمِسُ مِنْهُ بَقْعَةٌ لَا تَتَفَافِ زَيْتُونُهُ وَاشْتَبَاكَ غُصُونُهُ ، وَزَيْتُهُ مِنْ أَطْيَبِ
الزيتون كثيرة الرفع^(٣) عند العصر ، لَا يَتَغَيَّرُ على طول الدهر ، ومن هناك يُتَجَهَّزُ به إلى
الآفاق بَرًّا وَبَحْرًا ، وكلُّ ما اسْتَوْدِعَ أرضُ إشبيلية نَمَى وَزَكَى وَجَلَّ^(٤) ؛ والقطنُ يوجدُ
بأرضها فيمُ بِلَادِ الأندلس وَيَتَجَهَّزُ به التُّجَّارُ إلى إفريقية وسجلماسة وما والآها ،
وكذلك العُصْفَرُ بها يَفْضُلُ عُصْفَرُ الآفاقِ ؛ وبِقُبَلِ مدينة إشبيلية بساتين تُعرَفُ بِحَنَاتِ ١٠
المصلّى وبها قَصَبُ السكر ، وفي آخر نهر إشبيلية من كِلْتَا جَانِبَيْهِ جَزَائِرٌ كَثِيرَةٌ
يُحِيطُ بها الماء ، كَلَّاهَا قَائِمٌ لَا يَصَوِّحُ لدولم ندوتها ، ورطوبة أرضها ، ويصلح نتائجها
وتدومُ ألبانها ويمتنع ما فيها من الحوافِرِ والظِّلْفِ على العدو فلا يصل إليه أحدٌ ، وهذه
الجزائرُ تُعرَفُ بِالْمَدَائِنِ وبعضُها بقرب من البحر^(٥) .

وفي سنة ٥٩٧ ، في مجادها الأخير ، كان السيلُ العظيمُ الجارفُ على إشبيلية المُرْبِي ١٥
على كلِّ سيلٍ ، وهو مذكورٌ في الثاني من « جَلِي الفِكر » في أوَّل ورقة منه سنة ٥٩٧
فانقله من هناك .

(١) ت و س و ف : « أبواب » . (٢) ه و ف ت و س و ف أوله : « في الفتنة » .

(٣) م : « الدفع » . (٤) راجع ترجمة الشرف أسفله . (٥) ب و ه و س ٢٦٠ .

وفي سنة ٦٤٦ ، تغلب العدو على مدينة إشبيلية في شعبان منها ، بعد أن حوصرت أشهراً حتى ساءت أحوال أهلها ، وخافوا وأيسوا من الإعانة ، فأصفق رأيهم على إسلامها للعدو والخروج عنها ؛ فكان ذلك ، وأجلهم الفئس ريئسا يستوفون احتمال ما استطاعوا تحمله من أموالهم ، ثم خرجوا عنها وأقامت خالية ثلاثة أيام وسرح معهم الطاغية خيلاً توصلهم إلى مائتهم ، وكان صاحب أناة وسياسة ، ويقال إنه لما مات دُفن في قبلة جامعها الأعظم .

١٥ - أشتبين

حصن بالأندلس على يسار الطريق ، تحت أصل جبلٍ ممتنع ، لا يدركه مقاتل طمع ، بنى عليه بعض الملوك حصوناً كثيرة ، وحوصر مدة سنة ٣١٣ . وبعد لأي ما افتتح وذلك في عقب سنة ٣١٣ .

١٦ - أشكوني

بالأندلس من كور تدمير معروف ، ومن الغرائب أن من أراد أن يتخذ فيه جناناً صرف إلى الموضع العناية بالتدمين^(١) والجمارة والسقي من النهر ، فتنبت الأرض هناك بطبعها شجر التفاح والكمثرى والتين والرمان وضروب الفواكه حاشاً شجر التوت من غير غراسة ولا اعتمال .

(١) ف : « بالدين » ، م : « بالتدبير » .

١٧ — أَشُونَة

من كُورِ إِسْتِجَّةَ بالأندلس بينهما نصفُ يومٍ، وحصنُ أشونة مُمدَّنٌ، كثيرُ الساكنين^(١).

١٨ — إِصْطَبَة^(٢)

مدينة بالأندلس على خمسة وعشرين ميلاً من قلشانة، ومن قلشانة، وهي قاعدة شذونة، إلى قرطبة أربعة أيام، ومن الأميال مائة ميلٍ وعشرة أميالٍ.

١٩ — إِغْرَنَاطَة

مدينة بالأندلس، بينها وبين وادي آش أربعون ميلاً، وهي من مُدُنِ البيرة. * وهي مُحَدَثَةٌ من أيام الثوار بالأندلس، وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة؛ نفلت وانتقل أهلها منها إلى إِغْرَنَاطَة، ومدَّنها وحصَّن أسوارها، وبني قصبَتها حُبُوسٌ الصَّنْهَاجِيُّ، ثم خلفه ابنه باديس بن حُبُوس؛ فكمَلَتْ في أيامه، وعمرت إلى الآن، ويشقُّها نَهْرٌ يسمَّى حَدْرُهُ^(٣)، وبينها وبين البيرة ستة أميال، وتُعرف بإِغْرَنَاطَة الْيَهُودِ لأنَّ نازليها كانوا يهودَ، وهي اليوم مدينةٌ كبيرةٌ قد لحقتْ بِأَمْصَارِ الْأَنْدَالُسِ المشهورة، وقصبَتها بجوفيتها، وهي من القِصَابِ الحَصِينَةِ، وجُلِبِ الماء إلى داخلها من عَيْنٍ عَذْبَةٍ تجاورها، والنَّهْرُ المعروفُ بِنَهْرِ فُلُومٍ ينقسم عند مدینتها قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ يَجْرِي فِي أَسْفَلِ المدينة، وقِسْمٌ يَجْرِي فِي أَعْلَاهَا، يَشْقُهَا شَقًّا، فيجری فی بعض حَمَامَاتِهَا، وتطحن

(١) ارم ٢٠٦.

(٢) في جيم النسخ: «إصبة».

(٣) ارم ٢٠٣.

الأرحاء عليه خِلَالَ منازلها ، ومخرجُه من جبلٍ هناك ، وتُلْقَطُ في جَزِيَةِ مائِهِ بُرَادَةُ
 الذَّهَبِ الخَالِصِ ، ويُعرف بالذَّهَبِ المَدَقِّي ، ومَقْبَرَةٌ لِغُرَنَّاظَةٍ بُرِيَّتِهَا عِنْدَ بَابِ البَيْرَةِ .
 وَقَحْصُ البَيْرَةِ أَزِيدُ من مسافة يومٍ في مثله يصرفون فيه مِائَةَ الأَنهَارِ كيف
 شَاؤُوا كُلُّ أَوَانٍ ، من جميع الأَزمان ، وهو أَطيب البقاع نَفْعَةً ، وأَكْرَمُ الأَرْضِينَ تَرْبَةً ،
 ولا يَعدَلُ به مَكَانٌ غَيْرُ غُوطَةِ دِمَشْقَ وشَارِحَةِ القَيْثُومِ ، ولا تَعْلَمُ شَجَرَةٌ تَسْتَعْمَلُ وتَسْتَغْلُ
 إِلَّا وهى أَنجَبُ شَيْءٍ في هذا الفَحْصِ ، وما من فَاكِهَةٍ تُوصَفُ وتُسْتَظَرَفُ إِلَّا وما هناك
 من الفَاكِهَةِ فَوْقَهَا ، ويَجُودُ فيها من ذلك ما لا يَجُودُ إِلَّا بِالسَّاحِلِ من اللُّوزِ وقَصَبِ
 السَّكَّرِ وما أَشَبَّهُمَا . وحَرِيرُ فَحْصِ البَيْرَةِ هو الذى يَنْتَشِرُ في البِلَادِ ، وَيَعْمُ الآفَاقَ ،
 وَكَثَّانَ هذا الفَحْصِ يَرْبُو جَيْدُهُ على كَثَّانِ النِّيلِ ، ويَكْثُرُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى أَقْصَى بِلَادِ
 المُسْلِمِينَ ، وبِالبَيْرَةِ مَعَادِينُ جَوْهَرِيَّةٌ من الذَّهَبِ والفضَّةِ والصُّفْرِ والحديدِ والرصاصِ
 ١٠ والتوتوتيا ، وجبل الثلج هو جبل يُشْرِفُ على جبلِ البَيْرَةِ .

٢٠ - إِقْرَاعَةُ

مَدِينَةُ بَقَرِيَّةٍ لَارِدَةٍ مِنَ الأَنْدَلُسِ ، بَيْنَهُمَا ثَمَانِيَةُ عَشَرَ مِيلاً ، وهى على نَهْرِ الزَّيْتُونِ ،
 حَسَنَةُ البِنَاءِ ، لَهَا حِصْنٌ مُنِيعٌ لَا يَرَامُ وَبَسَاتِينُ كَثِيرَةٌ لَا نَظِيرَ لَهَا ^(١) .

١٥ وَحَاصَرَهَا المَدَوِيُّ فِي جَمِيعِ كَثِيفِهِ ، وَآلِي زُعَيْمُهُمُ ابْنُ رُذَمِيرٍ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَبْرَحَ حَتَّى
 يَأْخُذَهَا عَنُوتٌ ، وَذَلِكَ سَنَةِ ٥٢٥ ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا ، فَهَدَّ إِلَيْهِ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بِعِزْمَةِ
 سَادِقَةٍ وَنِيَّةٍ صَحِيحَةٍ فِي جُوعِهِ ؛ فَلَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِرَكَتِهَا ، وَأَجْنَاهُ ثَمَرَتِهَا ، وَهَزَمَهُ بَعْدَ

أَنْ قَتَلَ أَكْثَرَ رِجَالِهِ ، وَالْجُمْلَةَ الَّتِي بِهَا كَانَ يَصُولُ مِنْ أَبْطَالِهِ ، وَفَرَّ اللَّعِينُ وَسِوْفُ
الْمُجَاهِدِينَ تَأْخُذُ^(١) مِنْهُ ، وَعَزِيَّتُهُمْ لَا تَقْلَعُ عَنْهُ ، إِلَى أَنْ أَوَى^(٢) إِلَى حِصْنٍ خَرِبٍ فِي
رَأْسِ جَبَلٍ شَاهِقٍ مَعَ الْفَلِّ الَّذِي بَقِيَ مَعَهُ بَعْدَ الْإِمْسَاءِ ، وَأَخَذَ الْمَسَامُونَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ
بِذَلِكَ الْحِصْنِ يَرْقُبُونَهُ ؛ وَلَمَّا أَيقَنَ أَنَّهُ سَيَصْطَلِمُ إِنْ أَقَامَ هُنَاكَ تَسَلَّلَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مِنْ
ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَاتَّخَذَ اللَّيْلَ جَمَلًا ، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا .

وَانصَرَفَ الْمَسَامُونَ مُغْتَبِطِينَ بِغَنِيْمَتِهِمْ وَأَجْرَمَ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِبَقَائِهَا بِأَيْدِي
الْمَسَامِينَ ، إِلَى أَنْ يَنْقَضِيَ أَجَلُ الْكِتَابِ .

فَفِي صِفَةِ الْحَالِ ، يَقُولُ شَاعِرُ الشَّرْقِ فِي وَقْعَةِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ هَذِهِ ، أَبُو جَمْفَرِ بْنِ وَضَّاحٍ

الْمَرْبُوعِيُّ ، مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُهَا بِهَا [بَسِيطٌ] :

١٠	وَشَبَّ مِنْكَ الْأَعَادَى نَارَ غِيَاثٍ	ثَمَرَتْ بُرْدِيكَ لَمَّا أَسْبَلَ الْوَانِي
	كَالْمَنِ يَهْفُو عَلَيْهَا وَطَفُ أُجْفَانٍ ^(٣)	دَلَفَتْ فِي غَابَةِ الْخَطَى نَحْوَهُمْ
	كَأَنَّمَا شَرَبُوا مِنْهَا بِغُدْرَانٍ	عَقَرَتْهُمْ بِسِوْفِ الْهِنْدِ مُصَلَّتَةً
	مَنْ يَكْسِرُ التَّبْعَ لَمْ يَعْجِزْ عَنِ الْبَانِ	هُوَ نَ عَلَيْهِ سِوَى نَفْسٍ قَتَلَتْهُمْ
	مِقَادِرُ أَعْمَدَتِ أَسْيَافِ شَجَمَانٍ	أَوْدَى الصِّمِيمُ وَعَاقَتْ عَنْ هَيْتِهِمْ
١٥	إِلَّا فَرَائِدَ أَشْيَاحٍ وَشَبَّانٍ	وَقَفَتْ وَالْجَيْشُ عَقْدٌ مِنْكَ مَنشَرًا
	كَأَنَّ تَضَاهَا تَرْجِيعُ أَلْحَانٍ	وَالْخَيْلُ تَنْحَطُّ مِنْ وَقْعِ الرَّمَاحِ بِهَا

فِي آيَاتٍ غَيْرِ هَذِهِ .

(١) ف : « يَأْخُذُونَ » . (٢) ف : « أَرَى » . (٣) لم يقع هذا البيت في م .

٢١ - إفرنجة

* في وسط الإقليم الخامس ، هواؤها غليظة لشدّة برّدها ، ومصيفها مُعتدلٌ ، وهي بلادٌ كثيرةُ الفاكهة ، غزيرةُ الأنهار المنبثة من ذوّب الثلج ، ومدائنُها متقنةُ الأسوار ، محكمةُ البناء ، وآخرُ حدودِها البحرُ الشّامِيُّ بقبليّتها ، والبحرُ المُحيطُ بجوفيّتها ، وتتّصل ببلاد رومة أيضاً من ناحية القبلة ، وتتّصل أيضاً من ناحية الجوف ببلاد الصّقاليّة ، بينهما شعراءٌ مُلتقّةٌ مسيرةُ الأيام الكثيرة ، وتتّصل في الشرق بالصقالبة أيضاً ، وتتّصل في الغرب بالبشكنش^(١) ، وتمادى أعمال إفرنجة في الطول والعرض مسيرةَ شهرين في شهرين ، ويحجز بين بلاد إفرنجة وبلاد الصّقاليّة من الجوف والشرق الجبلُ المعترضُ بين البحرَين ، فيتمادى بلاد الإفرنج مع ساحل البحر الشّاميّ حتّى يلزق بجزيرة رومة وبلاد لُنقبرذية ، ويتمادى مع الجبل المعترض في الجوف إلى البحر المُحيط ، وتتّصل بالصقالبة بلادُ المَجُوس المعروفين بالأتقاش ؛ وسيوفُ إفرنجة تفوق سيوفَ الهند^(٢) ، ومنها يرُدُّ الرقيقُ من بلاد الصّقاليّة ، ولا يكاد يُرى ببلاد إفرنجة زَمَنٌ ولا ذو عاهة ، والزنى في غير ذوات الأزواج عند الإفرنج غيرُ مُنكرٍ ، وإذا حلف أميرُهم أو كبيرُهم حائثاً استهانوه ، ولم يزالوا يُعيّرونه بذلك ، وأبناءُ الأشراف عندهم يسترضعون في الأبعد ، ولا يعرف الابنُ أبوينه حتّى يعقل ، وإذا عقل رُدَّ إليهما ، فيراهما كالسيّدين ويكونُ لهما كالعبد .

وكانت مملكتهم مجتمعةً ، وأمرُهم مُلتصمًا حتّى نار على^(٣) رجلٍ من ملوكهم

(١) ت : « البشكنش » . (٢) ب و هـ ص : ٢٤٤ . (٣) ف : « عليهم » .

يَسْمَى قَارِئُهُ قَوْمِسُ مَعَ مَلِكٍ يَقَالُ لَهُ رُذَيْرْتُ ، وَذَلِكَ فِي عَهْدِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَخَشِدَ لَهُ قَارِئُهُ ، وَزَحَفَ بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ فَقَتَلَهُ قَارِئُهُ ، وَأَسْرَ أَصْحَابُ رُذَيْرْتُ قَارِئُهُ فَكَثَّ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا أَرْبَعَةَ أَغْوَامٍ ثُمَّ هَلَكَ بِأَيْدِيهِمْ ، فَافْتَرَقَ مُلْكُهُمْ وَاقْتَسَمَ ؛ وَالْإِفْرَنْجَةُ مِنْ وَلَدِ يَافِثٍ هُمُ وَالْجَلَالَةُ وَالصَّقَالِبَةُ وَاللُّوَاكِبَرْدُ^(١) ، وَالْإِشْبَانُ وَالتُّرْكُ وَالْخَزَرُ وَبُرْجَانُ وَالْآنَ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ؛ وَالْإِفْرَنْجَةُ تَدِينُ بَدِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَبِرَأْيِ الْمَلِكِيَّةِ مِنْهُمْ ، وَدَارُ مَلِكِهِمْ الْآنَ لُودُونُ^(٢) وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَلَهُمْ مِنَ الْمَدَائِنِ نَحْوُ مِنْ خَمْسِينَ وَمِائَةً مَدِينَةً ، وَقَدْ كَانَتْ مَمْلَكَتُهُمْ قَبْلَ ظَهْوَرِ الْإِسْلَامِ بِإِفْرِيقِيَّةٍ وَجَزِيرَةِ صَقْلِيَّةٍ وَجَزِيرَةِ إِفْرِيطِشْ ؛ وَالْإِفْرَنْجَةُ أَكْثَرُ هَذِهِ الْأُمَمِ عِدَّةً وَأَحْسَنُهُمْ اتِّقَادًا لِلْمُلُوكِ وَأَكْثَرُهُمْ مَدَدًا ، وَأَوَّلُ مَلُوكِهِمْ قَلُودِيَّةُ^(٣) ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ وَكَانُوا مَجُوسًا ، فَنَصَّرَتْهُ امْرَأَتُهُ وَأَسْمَاهَا قَلُوطِلْدُ^(٤) .

- وَيُحْكِي أَنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ لَمَّا غَزَا الْأَنْدَلُسَ أَرَادَ أَنْ يَخْرُقَ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِ ١٠
إِفْرَنْجَةَ ، وَفَتَحَ الْأَرْضَ الْكَبِيرَةَ حَتَّى يَتَّصِلَ بِالنَّاسِ إِلَى الشَّامِ مُؤْمَلًّا أَنْ يَتَّخِذَ مَغْرَقَةً
تِلْكَ الْأَرْضَ طَرِيقًا مَبِينًا يَسْلُكُهُ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فِي مَسِيرِهِمْ وَحَيْثِهِمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَيْهِ
عَلَى الْبَرِّ لَا يَرْكَبُونَ بَحْرًا ، وَأَنَّهُ أَوْغَلَ فِي بِلَادِ إِفْرَنْجَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَفَازَةٍ كَبِيرَةٍ
وَأَرْضٍ سَهْلَةٍ ذَاتِ آثَارٍ ، فَأَصَابَ فِيهَا صَنَمًا عَظِيمًا قَائِمًا كَالسَّارِيَةِ مَكْتُوبَةٌ فِيهِ بِالنَّقْرِ
كِتَابَةٌ عَرَبِيَّةٌ قُرِئَتْ فَإِذَا هِيَ : يَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ أَنْتَهِيْتُمْ فَارْجِعُوا ! فَهَالَهُ ذَلِكَ وَقَالَ : ١٥
مَا كُتِبَ هَذَا إِلَّا لِمَعْنَى ! وَشَاوَرُ أَصْحَابَهُ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْهُ وَجَوَّازِهِ إِلَى مَا وَرَاءَهُ ، فَاخْتَلَفُوا
عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ بِرَأْيِ جُمْهُورِهِمْ وَانْصَرَفَ بِالنَّاسِ وَقَدْ أَشْرَفُوا عَلَى قَطْعِ الْبِلَادِ وَتَقَصَّى الْغَايَةَ .

(١) ت و ف : « التواكرد » . (٢) ف : « نوبه » . (٣) ت و ف : « تلوريه » .

(٤) ت و ف : « عراطة » .

٢٢ - أقش

مدينة هي كانت قاعدة الجليقيين ، بينها وبين ليوزدال ثلاثون ميلاً ، وكانت أقش قبل هذا منسوبة إلى غرسية بن لب ، وهي مبنية بالصخر المربع الكبير ، وهي على نهر كبير يدخل منه المجوس بمرأ كيهم إليهم ، وفي المدينة حمة غزيرة الماء ، واسعة الفضاء ، يستحم أهلها في جنباتها على بُعد من عُصْرَها لشدة سخونته . ٥

٢٣ - أقليش

مدينة لها حصن في ثغر الأندلس ، وهي قاعدة كور شنتبرية ، وهي محدثة ، بناها الفتح بن موسى بن ذى النون ، وفيها كانت ثورته وظهوره في سنة ١٦٠ ، ثم اختار أقليش داراً وقراراً ، فبناها ومدنها ، وهي على نهر منبعث من عين عالية على رأس المدينة ، فيم جميعها ، ومنه ماء حماها ؛ ومن العجائب البلاط الأوسط من مسجد جامع أقليش ، فإن طول كل جائزة من جوائزه مائة شبر وإحدى عشر شبراً ، وهي مربعة منحوتة مستوية الأطراف . ١٠

٢٤ - أقيانس

هو اسم لبحر الظلمات ، ويقال له البحر الأخضر ، والمحيط الذي لا يدرك له غاية ، ولا يحاط بمقداره ، ولا فيه حيوان ، وهو الذي يخرج منه البحر الرومي الذي هو بحر الشام ومصر والغرب والأندلس ، فإنه خليج يخرج من هذا البحر ، وقد خاطر بنفسه خشخاش من الأندلس ، وكان من فتیان قرطبة ، في جماعة من ١٥

أخذائها ، فركبوا مراكب استعدوها ، ودخلوا هذا البحر ، وغابوا فيه مُدَّةً ، ثمَّ
أتوا بفنائيم واسعة وأخبار مشهورة .

ولمَّا يَزْكَبُ من هذا البحر ميَّالي المغرب والشمال ، وذلك من أقاصي بلاد
السودان إلى برطانية ، وهي الجزيرة المُطْمِئِ التي في أقصى الشمال ، وفيه ست جزائر
تقابل بلاد السودان تُسمَّى الخالدات ، ثمَّ لا يعرف أحدٌ ما بعد ذلك ، وستأتي إن شاء
الله تعالى حكاية أخرى عَمَّنْ دخل هذا البحر أطول من هذه في موضعها في
ذكر الأشبونة^(١).

٢٥ - البيرة

من كُور الأندلس ، جليلة القدر ، نزلها جند دمشق من العرب ، وكثير من
موالي الإمام عبد الرحمن بن معاوية ، وهو الذي أسسها وأسكنها مواليه ، ثمَّ خالطتهم
العرب بعد ذلك ؛ وجامعها بناء الإمام محمد ، على تأسيس حاش العنعماني ، وحوَّلها أنهار
كثيرة ، وكانت حاضرة البيرة من قواعد الأندلس الجليلة ، والأمصار النبيلة ، فخربت
في الفتنة وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة ، فهي اليوم قاعدة كُورها ، وبين البيرة
وغرناطة ستة أميال .

ومن الغرائب أنَّه كان بناحية مدينة البيرة فرسٌ قد نُحِتَ من حَجَرٍ صَليدٍ قديمٍ
هناك لا يُنَلَّمُ واضِعُهُ ، فكان الغلمان يركبونه ويتلاعبون حَوْلَهُ ، إلى أن انكسر منه
عُضْوٌ ، فزعم أهل البيرة أنَّ في تلك السنة التي حَدَثَ فيها كَسْرُهُ تَغَلَّبَ البربرُ على مدينة
البيرة فكان أول خرابها .

ومدينة البيرة بين القبله والشرق من قرطبة ، ومنها إبراهيم بن خالد ، سمع من يحيى
وسعيد بن حسان ، وسمع من سُخْنُون ، وهو أحد السبعة الذين اجتمعوا في البيرة في
وقت واحد من رواة سُخْنُون ، ومنها أبو إسحق بن مسعود الإليري صاحب القصيدة
الزهدية التي أولها [وافر] :

تَفْتُ فَوَادَكَ الْإِيَّامُ فَتًا وَتَنَحَّتْ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا
وهي طويلة جدًا ، وهو القائل [كامل] :

مَنْ لَيْسَ بِالْبَاكِ وَلَا الْمَتَّبَاكِ لِقَبِيحٍ مَا يَأْتِي. فَلَيْسَ يَرَاكِ
القصيدة بطولها ، وهو القائل [سريع] :

مَا أَمِيلَ النَّفْسَ إِلَى الْبَاطِلِ وَأَهْوَنَ الدُّنْيَا عَلَى الْعَاقِلِ
آهٍ لِسِرِّ صُنَّتِهِ^(١) لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَهُ قَطُّ مَسْتَاهِلِ
هَلْ يَقِظُ يَسْأَلُنِي ، عَلَّانِي أَكْشَفُهُ لِلْيَقِظِ السَّائِلِ
لَوْ شُغِلَ الْمَرْءُ بِتَرْكِيبِهِ كَانَ بِهِ فِي شُغْلٍ شَاغِلِ
وَعَيْنَ الْحِكْمَةِ بِمَجْمُوعَةٍ مَائِلَةً فِي هَيْكَلٍ مَائِلِ
يَا أَيُّهَا الْغَافِلُ عَنْ نَفْسِهِ وَيَحْكُ فِقْ مِنْ سِنَةِ الْغَافِلِ

وساحل البيرة كان به نزول الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك
الداخل إلى الأندلس حين عبوره إليها .

٣٦ - ألش

بالأندلس إقليم ألش من كُور تَدْمِير ، بينه وبين أريولة خمسة عشر ميلاً .
 * وألش مدينة في مستوٍ من الأرض ، يَشُقُّها خَلِيجٌ يَأْتِي إليها من نَهْرِها ، يدخلُ
 من تحت السور ويجرى في سَاحِلِها ، ويشقُّ أسواقها وطُرُقها وهو مِلْحٌ سَبِخِي^(١) .
 ومن ألش إلى لَقَنْت^(٢) خمسة عشر ميلاً ، ومن الفرائب أن بساحل ألش بَرَسِي^٥
 يُعْرَفُ بِشَنْتَ بُولَ حَجَرًا يُعْرَفُ بِحَجَرِ الذَّنْبِ . إذا وُضِعَ على ذَنْبٍ أَوْ سَبْعٍ لم يَكُنْ له
 عُدْوَانٌ ، وفارق طَبْعَهُ من الفساد .

٣٧ - أندة

مدينة من كُور بلنسية .

٣٨ - أندارة

مدينة عظيمة في شرق الأندلس خَرَبَتْها البَرَبَرُ .

٣٩ - أندرش

مدينة من أعمال المَرِيَّة ؛ هي من أَزْرِهِ الْبُلْدَانُ ، وفيها يقول أبو الحجاج بن عَتَبَةَ
 الإِشْبِيلِيُّ الطَّيِّبُ الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ ، وقد مرَّ عليها [كامل] :
 اللَّهُ أَنْدَرَشٌ لَقَدْ حَازَتْ عَلَى حُسْنٍ تَتِيءُ بِهِ عَلَى الْبُلْدَانِ^{١٥}

(١) ادم ١٩٣ . (٢) ف : « انشا » .

النَّهْرُ مُنْسَابٌ سَرَتْ^(١) خِلْجَانُهُ فِي الرُّوضِ بَيْنَ أَزَاهِرِ الْكَثَّانِ
فَكَأَنَّمَا انْسَابَتْ هُنَاكَ أَرَاغِمُ قَدْ عُدْنَ رَاجِعَةً عَنِ الشَّعْبَانِ

٣٠ - أَنْيَشَة = أَنْيَجَة

(بالشين المعجمة والجيم معاً) موضعٌ على مقربة من بلنسية وبالقرب من بَنِي شَكْلَة .
* وَعَقَبَةُ أَنْيَشَة ؛ جبلٌ معترضٌ عالٍ على البحر والطريق عليه ، ولا بدّ من السلوك
على رأسه ، وهو صعبٌ جدّاً^(٢) .

وفيه كانت الواقعة بين المسلمين من أهل بلنسية وبين النصاري ، واستشهد فيها
الأديبُ المحدثُ العلامةُ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكَلَاعِيُّ مُصَنِّفُ « كتاب
الاكتفاء في سير النبي (صلم) والثلاثة الخلفاء » ؛ وكانت هذه الواقعة في سنة ٦٣٤ ؛
١٠ وكان خطيباً راويةً ناظماً ناثراً ، ورثاهُ الكاتبُ أبو عبد الله بن الأَبَّارِ الْقُضَاعِيُّ بقصيدةٍ
طويلةٍ أوَّلَهَا [طويل]

أَلِمَّا بِأَسْلَاءِ الثَّلَى وَالْمَكَارِمِ تُقَدُّ بِأَطْرَافِ الْقَنَا وَالصَّوَارِمِ
أَحْسَنَ فِيهَا مَا شَاءَ ، وَفِيهَا :

سَقَى اللَّهُ أَشْلَاءَ بَسْفَحِ أَنْيَشَة سَوَافِحَ تَزْجِيهَا ثِقَالُ الْغَنَامِ
١٥ وَفِيهَا : أَضَاعَهُمْ يَوْمَ الْحَمِيسِ حِفَاطُهُمْ وَكَرَّهُمُ فِي الْمَازِقِ الْمَتَلَحِمِ
وَفِيهَا : سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَلُحْ بِهَا مُحْيَا سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى بْنِ سَالِمِ

(١) م : مَضَتْ . (٢) ارم ١٩١ .

ورثاه أيضاً الفقيه الكاتب أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي ،

فقال من قصيدة [متقارب] :

- | | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| وأَعْظَمُ مَيِّتٍ فُجِعْنَا بِهِ | حليفُ التدي الما جد الواهبُ |
| وذاك سليمان لا غائبُ | إذا الأمرُ جدَّ ولا لائبُ |
| فله من حقِّه جانبُ | وللصَّحْب من أنسِه جانبُ |
| فأى امرئٍ صار نحو الردى | كما صمَّ الصارمُ القاضِبُ |
| وأى مناقبٍ ملء الزمان | يُلمُّ بها بعد النادِبُ |
| فيا نورَ علمٍ تبتدى لنا | شهابٌ لنا ظرء ثاقِبُ |
| ويا طودَ حلمٍ هوى سائِخا | وفو على حاله راسِبُ |
| ألا في سبيل هُدَاة السبيل | مضاوِك حين نبا الهائبُ |
| هربت إلى الله في موطنٍ | على عاره حصَّل الهاربُ |
| وغودرت نهب عفاة العلى | فتال الذى شاءه النَّاهِبُ |
| إذا كان للدود ميتُ القبور | فللذئبُ أكرَمُ والنَّاعِبُ |
| تلقاك ربِّي برضوانه | وجادك منه الحيا الساكِبُ |
| وإن الذى نلت من قربهِ | لأفضل ما يطلب الطالبُ |
| عليك السلام إلى غاية | من الموتِ كُلُّ لها ذاهِبُ |

٣١ - أُورِيْط

مدينة قديمة بالأندلس ، كانت عظمى مذكورة مع طليطلة ، وهى معها فى حديث واحد من قسمة قسطنطين ، وإنما عُمِّرت قلعة رباح وكر كى بخراب أُورِيْط .

٣٣ - أُورِيُولَة

حصنٌ بالأندلس ، وهو من كُور تُمْمِير ، وأحدُ المواضع السبعة التي صالحَ عليها
تُمْمِيرُ بْنُ عَبْدِوس عبدُ العزيز بن موسى بن نُصَيْر ، حين هزمه عبدُ العزيز ووضع
المسلمون السيفَ فيه ، فصالحَهُ على هذه المعاقِل وعلى أداء الجزية ، وكان حصنُ أُورِيُولَة
قاعدةً تُمْمِيرٍ ، وذِكْرُهُ مشروحٌ في ذكر قرطاجنة .

وبين أُورِيُولَة وألش ثمانية وعشرون ميلاً ، ومدينةُ أُورِيُولَة قديمةٌ أزليّةٌ . كانت
قاعدةً للعجم وموضعَ مملكتهم ، وتفسيرُها باللطيني « الذَّهْيِيَّة » .

* ولها قصبةٌ في نهايةٍ من الامتناع على قنّة جبلٍ ، ولها بساتينٌ وجنّاتٌ فيها فواكه
كثيرة ، وفيها رَخاءٌ شاملٌ وأسواقٌ وضياعٌ ، وبينها وبين مرسية اثنا عشر ميلاً ،
وبينها وبين قرطاجنة خمسة وأربعون ميلاً^(١) .

وَلِي قَضَاءُهَا أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي .

٣٣ - أُوْلِيَة السَّهْلَة

بالأندلس قريةٌ من قرطبة ، تُعرَفُ بالرَّمْلَة ، وهي أمُّ الأقاليم ، كثيرةُ الأهل ،
واسعةُ الخطّة ، مشرقةُ الأرضين ، بها ديارٌ للعجم متقنةُ البنيان ، في إحداها أربعُ سَوَارٍ
مجزّعةٌ من نفيسِ الرخام في نهايةِ العظم والطول ، عليها الناقوسُ .

٣٤ - أونبة

مِنْ مُدُنْ جَبَلِ الثُّيُونِ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ مُمْتَنِعَةٌ بَيْنَ جِبَالٍ ضَيِّقَةِ الْمَسَالِكِ ،
 وَهِيَ قَدِيمَةٌ ، لَهَا آثَارٌ لِلأَوَّلِ ، فِيهَا مَاءٌ مَجْلُوبٌ فِي أَقْبَاءٍ وَاسِعَةٍ قَدْ خُرِقَ بِهَا الْجِبَالُ
 الشَّامِخَةُ حَتَّى وَصَلَ الْمَاءُ إِلَى أَسْفَلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ ، فَيَسْقِي بَعْضَ بَسَاتِينِهَا ، وَلَا يُدْرَى مِنْ
 أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الْمَاءِ ، وَشَرْقُ الْمَدِينَةِ كَنِيسَةٌ كَبِيرَةٌ مُعَظَّمَةٌ عِنْدَهُمْ ؛ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَحَدَ
 الْحَوَارِيِّينَ بِهَا ، وَمَا أَكْثَرَ مَا يَوْجَدُ فِي حَفَائِرِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ مِنْ آثَارٍ عَجِيبَةٍ .
 وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ بَرِّيَّةٌ بَحْرِيَّةٌ ، يَنْتَهَا وَيَتَوَسَّلُ الْبَحْرُ نَحْوَ مِيلٍ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ لَبْلَةِ
 سِتَّةَ فَرَاسِيخَ .

حرف الباء

٣٥ - بَاجَةٌ

وأما بَاجَةُ الأندلسِ فهي من أقدم مدائنِها ، بُنِيَتْ في أَيَّامِ الأَقَاصِرَةِ ، بينها وبين قرطبة مائة فرسخ ، وهي مِنَ الكُورِ المُجَنَّدَةِ ، نزلها جُنْدٌ مِصْرَ وكان لِوَأَوَّلِهِم في المِيسِرَةِ بعد جُنْدِ فِلَسْطِينَ ، ومِ النَّازِلُونَ بِشَدُونَةِ ، فَعَمِلَ الأَمِيرُ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ معاويةَ لِوَأَوَّلِهِم ، وَأَسْقَطَ جُنْدَهُم ، وَأَتَمَّلَ ذِكْرَهُمْ ؛ وكان سببُ ذلك أَنَّ العَلَاءَ بنَ مُغِيثِ اليَحْصِييِّ كانَ رَئِيسَ جُنْدِ بَاجَةِ ، فَثَارَ بِهَا ، وَقَامَ بِهَا بِدَعْوَةِ بَنِي العَبَّاسِ ، وَلَبِسَ السَّوَادَ ، وَرَفَعَ رَايَةً سَوْدَاءَ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ قِيَّامٌ مِنَ النَّاسِ ؛ فَقَاتَلَهُ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ معاويةَ في قَرْيَةٍ مِنَ قُرَى إِسْبِيلِيَّةٍ تُدْرِكُ بِالكَرَمِ ، حَتَّى هَزَمَهُ الإِمَامُ وَقَتَلَهُ .

١٠ ومدينةُ بَاجَةِ أَقْدَمُ مُدُنِ الأندلسِ بِنَائِهَا ، وَأَوَّلُهَا اخْتِطَاطًا ، وَلِأَنَّهَا انْتَهَى يُولِيسُ القَيْصَرُ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ قَيْصَرَ ، وَهُوَ الَّذِي سَمَّاها بِبَاجَةِ ، وَتَفْسِيرُ بَاجَةِ في كَلَامِ المَعْجَمِ « الصِّلَحُ » ، وَحَوْزُ بَاجَةِ وَخِطَّتُهَا وَاسِعَةٌ ، وَلَهَا مَعَاقِلُ مَوْصُوفَةٌ بِالْمَنَةِ وَالْحِصَانَةِ .

ومنها الإِمَامُ القَاضِي أَبُو الوَلِيدِ البَاجِيُّ ، سَلِيَمَانُ بنُ خَلْفٍ ، شَارِحُ المَوْطَأِ ، الفَقِيهُ الأَدِيبُ ، العَالِمُ المُتَكَلِّمُ ، رَحَلَ إِلَى الحِجَازِ والعِرَاقِ ، وَلَقِيَ العُلَمَاءَ ، وَتَجَوَّلَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا ، وَصَنَّفَ في الأُصُولِ والفُرُوعِ .

وله [مقارب] :

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا بَأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَةٌ
فَلِمَ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَةٍ

ذكر ابن عسّاكِر في تاريخه أَنَّهُ تَوَفَّى في سنة ٧٤٤هـ بالمرية، وقبره في الرباط، على حاشية البحر.

٣٦ - ببشر

- بالأندلس، حصنٌ منيعٌ بينه وبين قرطبة ثمانون ميلاً، وهو حصنٌ تزلُّ عنه الأبصارُ، فكيف الأقدامُ، على صخرةٍ صماءٍ منقطعةٍ، لها بأكُن يتوصل إلى أعلاهما من شعب يسلكه الرجلُ الخفيفُ، وطريقه عند الطلوع والهبوط على التهر، وأعلى الصخرةِ سهلةٌ مربعةٌ ذاتُ مياهٍ كثيرةٍ تقطع الحَجَر، فينبعث الماء العذب، ويُنبط فيها الآبارُ بأيسرِ عملٍ وكَدٍ.
- وحصنٌ ببشَرُ كان قاعدةَ العجم، كثيرُ الديارات والكنائس والدواميس، ولهذا الحصنِ قُرَى كثيرةٌ، وحصونٌ خطيرةٌ، وما حوله كثيرُ المياه، والأشجار، والثمار، والكروم، وشجر التين، وأصناف الفواكه، والزيتون؛ وما بها الآن إلا نبذٌ مما كان، فإن فتنة ابن حَفْصُون أَتَتْ على أَكْثَرِ ذلك.

٣٧ - بجانة

- (بفتح الباء بعدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألفٌ وبعد الألفِ نون.)
- مدينةٌ بالأندلس، كانت في قديم الدهر من أشرفِ قُرَى أرضِ اليَمَن، وإنما سُمِّيَ الإقليمُ أرضَ اليَمَنِ لأنَّ بني أُمَيَّةَ لما دخلوا الأندلسَ أنزلوا بني سِرَاجَ القُضَاعِيَّين في هذا الإقليم، وجعلوا إليهم حراسةَ ما يليهم من البحر وحفظَ الساحل، فكان ما ضَمُّوا من مَرَسَى كَذَا إلى مَرَسَى كَذَا يُسَمَّى أرضَ اليَمَن، أي عَطِيَّتُهُمْ ونَحْلَتُهُمْ.

وبقرب بَجَانة كان جامعُ الإقليم الأعظمُ ، إلا أنها كانت حارات مفترقةً حتَّى نزَلها
 البَحْرِيُونُ وتغلَّبوا على ما كان فيها من العَرَب وصار الأمرُ لهم فجمعوها وبنَوْا سورَها ،
 وامتثلُوا في ذلك بَيْنِيَّةَ قرطبة وترَتَّبَها ، وجعلُوا على أَحَدِ أَبْوَابِهَا صُورَةً تُشَاكِِلُ الصُّورَةَ
 الَّتِي عَلَى بَابِ القَنْطَرَةِ ، فَأَمَّتْهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَانجَفَلُوا إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَارَيْنَ
 مِنْ الْفَتَنِ الَّتِي كَانَتْ إِذْ ذَاكَ شَامِلَةً ، فَكَانَتْ أَمْنًا لِمَنْ قَصَدَهَا ، وَحَرَمًا لِمَنْ لَجَأَ إِلَيْهَا ،
 وَكَانَتْ الْمِرَّةُ تُجَلِّبُ إِلَيْهَا مِنَ الْعُدُوِّ ، وَضُرُوبُ الْمَرَاقِي وَالتَّجَارَاتِ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ أَيْضًا
 مِنَ الْأَسْبَابِ الدَّاعِيَةِ إِلَى قَصْدِهَا وَاسْتِطْلَاقِهَا ، وَصَارَ حَوْلَهَا أَرْبَاضٌ كَثِيرَةٌ . وَيَدْخُلُهَا
 مِنَ النَّهْرِ جَدُولَانِ ، أَحَدُهُمَا بِأَعْلَى الْمَدِينَةِ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ وَيَسْقِي بِسَاتِنِهَا كُلَّهَا ،
 وَالثَّانِي يَشُقُّ الْأَرْبَاضَ الْجَوْفِيَّةَ ، وَيَخْرُجُ عَنْهَا إِلَى الْأَرْبَاضِ الْقَبْلِيَّةِ ، حَتَّى يَقَعَ فِي النَّهْرِ
 هُنَاكَ ؛ وَجَامِعُهَا دَاخِلَ الْمَدِينَةِ ، بَنَاهُ عَمْرُ بْنُ أَسْوَدَ ، وَفِيهِ قَبُورٌ عَلَى قُبَّةٍ فِيهَا إِحْدَى عَشَرَ
 حَنِيَّةً ، مَنْصُوبَةٌ عَلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ عَمُودًا ، فَتُقَشُّ أَعَالِيهِ بِنُقُوشٍ عَجِيبَةٍ . وَبِغَرْبِ الْقَبْرِ
 ثَلَاثُ بَلَاطَاتٍ أَوْسَعُ مِنَ الشَّرْقِيَّةِ عَلَى عُمُدٍ صَخْرٍ ، وَفِي الصَّخْرِ بَيْتٌ عَذْبَةٌ ؛ وَكَانَ بِمَدِينَةِ
 بَجَانَةِ إِحْدَى عَشَرَ حَمَامًا ، وَطُرُزٌ حَرِيرٍ ، وَمَتَاكِزٌ رَاجِحَةٌ ، وَكَانَ يُذْهِبُ الْوَادِي الْآتِي
 مِنْ شَرْقِهَا كَثِيرًا مِنْ أَرْبَاضِهَا وَأَسْوَاقِهَا عِنْدَ حَمَلِهِ .

وَبَشَرْقِ بَجَانَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ جِبَلٌ شَامِخٌ فِيهِ مَعَادِنُ غَرِيبَةٌ ، وَفِيهِ الْحُمَةُ الْعَجِيبَةُ
 الشَّانُ ، لَيْسَ لَهَا نَظِيرٌ فِي الْأَنْدَلُسِ ، فِي طَلِيبِ مَائِهَا وَعَذُوبَتِهِ وَصَفَائِهِ وَبَذَرَتِهِ ^(١)
 وَنَفْعِهِ وَعَمُومِ بَرَكَتِهِ ، يَقْصِدُهَا أَهْلُ الْأَسْقَامِ وَالْعَاهَاتِ مِنْ جَمِيعِ النُّوَاحِي ، فَلَا يَكَادُ
 يَخْطِئُهُمْ نَفْعُهَا ، وَعَلَيْهَا مِنْ بِنَاءِ الْأَوَّلِ صَهْرِيحٌ إِلَى جَانِبِ الْعَيْنِ مَرِيعٌ وَاسِعٌ كَانُوا قَدْ

بنوا على شريقه قيوين^(١) ، فأعلامها هناك ظاهر إلى اليوم ، والجدر الباقية حواله ،
واتخذوا على ذلك الماء قرية كثيرة الزيتون والأشجار وضروب الثمار ، يُسقى جميعها
من هذا الماء ، تُعرف بقرية الحمة ، وما فضل عن سقى هذه القرية يجتمع أسفلها في
صهريج عظيم من بناء الأول أيضاً ، فإذا تكامل فيه الماء سُرِب إلى قرية متخذة
تسمى آبله ، فسُقيت بذلك الماء .

ويحوى مدينة بجانة حمة أخرى أغزر من الحمة الأولى ، أنجم في الأسقام ،
وأصلح للأبدان ، ومهم يزعمون أن جرى الأولى على الكبريت ، وجرى هذه على
التحاس ؛ وتذكر الأعاجم أن ملك تدمير وملك ريه في غابر الدهر خطبا ابنة ملك
أرض اليمن وما يليه ، فشرطت ابنة الملك أن من بلغ ماء إحدى الحمتين حتى يدخله
في دار سكنى أيها (وكان في موضع مدينة بجانة اليوم) أنه أحق بيضها ؛ فجدد^{١٠}
كل واحد منهما في ذلك وجه جهده ، وبنيا قننى^(٢) يجلبون الماء فيها ، فاعترض
صاحب الحمة الجوفية خندق ، ولم يكن بُد من بناء قناطر عليه ، فشغله ذلك حتى بلغ
صاحب الحمة الشرقية ماءه ، فزوجه الملك ابنته ؛ وأثر ما حاولاه من ذلك باق في الجانبين
إلى اليوم ؛ وبين بجانة والمرية خمسة أميال أو ستة أميال .

٣٨ - برشتر

١٥

* هي مدينة من بلاد برطانية^(٣) بالاندلس ، وهي حصن على نهر نخرجه من
عين قرية منها ، وبرشتر من أمهات مدن الثغر الفاتحة في الحصانة والامتناع ، وقد

(١) ت : « قيرين » . (٢) ت : « قينا » . (٣) ت : « قوما » : « برطانية » .

غزاهَا على غِرَقٍ ، وَقِلَّةٍ عَدَدٍ مِنْ أَهْلِهَا ، وَغُدَّةٍ ، أَهْلُ غَالِيَشِ وَالرُّوْذَمَانُونَ ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ
رَئِيسٌ يُسَمَّى الْبَيْطُشُ ^(١) ، وَكَانَ فِي عَسْكَرِهِ نَحْوُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ فَارِسٍ ، فَخَصَرَهَا أَرْبَعِينَ
يَوْمًا حَتَّى افْتَتَحَهَا ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٤٥٦ ، فَقَتَلُوا عَامَّةَ رِجَالِهَا ، وَسَبَّوْا فِيهَا مِنْ ذُرَارِي
الْمُسْلِمِينَ وَنِسَائِهِمْ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً ؛ وَيُذَكَّرُ أَنَّهُمْ اخْتَارُوا مِنْ أَبْكَارِ جَوَارِي الْمُسْلِمِينَ
وَأَهْلِ الْحُسَيْنِ مِنْهُمْ خَمْسَةَ آلَافٍ جَارِيَةٍ ، فَأَهْدَوْهُمْ إِلَى صَاحِبِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَأَصَابُوا
فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْتَعَةِ مَا بَعِزَ عَنْ وَصْفِهِ ^(٢) ، وَتَخَلَّفُوا فِيهَا مِنْ جَلَّةِ رِجَالِهِمْ وَأَهْلِ
الْبَاسِ مِنْهُمْ ^(٣) مَنْ وَثِقُوا بِضَبْطِهِ لَهَا ، وَمَنْعَهُ إِيَّاهَا ، وَاسْتَوَطَنُوهَا بِالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ
وَجَعَلُوهَا ثَقَرًا مِنْ ثَعُورِهِمْ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهَا .

وفى ذلك يقول الفقيه الزاهد ابن المسال من قصيدة [كامل] :

وَلَقَدْ رَمَانَا الْمَشْرُكُونَ بِأَنَّهُمْ	لَمْ تُخْطِ لَكِنْ شَأْنَهَا الصَّمَاءُ	١٠
هَتَكُوا بِحَيْلِهِمْ قُصُورَ حَرِيمِهَا	لَمْ يَنْقُ لَا جَبَلٌ وَلَا بَطْحَاءُ	
جَاسُوا خِلَالَ دِيَارِهِمْ فَلَهَمَّ بِهَا	فِي كُلِّ يَوْمٍ غَارَةٌ شَفَرَاءُ	
بَاتَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ بِرَعِيهِمْ	فَمَا تَنَا فِي حَرَبِهِمْ جُبْنَاءُ	
كَمْ مَوْضِعٍ غَنَمُوهُ لَمْ يُزَحْمَ بِهِ	طِفْلٌ وَلَا شَيْخٌ وَلَا عِذْرَاءُ	
وَلَكَمْ رَضِيعٌ فَرَّقُوا مِنْ أُمِّهِ	فَلَهُ إِلَيْهَا ضَجَّةٌ وَبِفَاءُ	١٥
وَلَرُبَّ مَوْلُودٍ أَبْوَهُ مُجَدَّلٍ	فَوْقَ الثَّرَابِ وَفَرَشُهُ الْبَيْدَاءُ	
وَمَصُونَةٍ فِي خِدْرِهَا مَحْجُوبَةٍ	قَدْ أَبْرَزُوهَا مَا لَهَا اسْتِخْفَاءُ	

(١) ف و م : « البطش » ، ب و ه : « البيطين » . (٢) ب و ه م : ٢٥٥ .

(٣) ه و ف ف أوله : « وأصابوا » .

- وعزير قوم صار في أيديهم فعليه بعد العزة استخذاه
لولا ذنوب المسلمين وأنهم ركبوا الكبار ما لهن خفاء
ما كان ينصر للنصارى فارس أبدا عليهم فالذنوب الداء
فسراهم لا يخفون بشرهم وصالح منحل الصلاح رياء
* ثم تداعت لأخذها ممالك الأندلس ، وجمع أحمد بن سليمان بن هود صاحب
سرقسطة وجهاتها أهل الثغور ، ونهد إليها في جمع كفيف ، ذوى جدٍ وحدي ، ففتحها
الله عز وجل على يديه عنوة ، فقتل المقاتلة وسبي النساء والذرية ، ودخل منها سرقسطة
نحو خمسة آلاف سبية مختارة ، ونحو ألف فرس^(١) وألف درع^(٢) ، وأموال كثيرة ،
وثياب جليلة ، وعدة وسلاح ؛ وكان افتتاحها لها لثمان خلون من جمادى الأولى
سنة ٤٥٧ هـ ، ولذلك تسمى بالمقتدر بالله ، وكانت مدة ملك النصارى لها تسعة أشهر^(٣) . ١٠

٣٩ - برذال

مدينة من إقليم برغش ، كاملة شاملة بضروب النعم كثيرة الفواكه ، بينها وبين
البحر اثنا عشر ميلاً .

٤٠ - برذيل

- ١٥ في بلاد جليقية ، وإقليم برذيل من أشرف أقاليم تلك الناحية ، وهو كثير الكروم
والفاكهة والحبوب ، وهى مدينة كبيرة مبنية بالكلس والرمل ، وهى على نهر عجاج
يسمى جرؤنة ، وربما عطبت مراكب المجوس فيه عند الأهوال لاتساعه وانحراجه ،
وبين هذه المدينة وموقع نهرها فى البحر مائة وخمسون ميلاً ؛ وأهل برذيل فى

(١) م : « فرس » . (٢) م : « درع » . (٣) ب د هـ ص ٢٠٠ .

أخلاقهم ولباسهم على أخلاقِ الجَلِيقِيِّينَ ؛ وبجوفِ مدينةِ برزيلِ بِنْيَانٌ مُنِيفٌ على سوارِ ساميةٍ جليلةٍ هو قَصْرُ طَيْطُشْ ، وفي سواجلِ هذه المدينة يوجدُ العنبر .

٤١ - بُرْشَانَة

بالأندلس ، وهى حصنٌ على مُجْتَمَعِ نَهْرَيْنِ ، وهو من أمتع الحصون مكانًا ، وأوثقها بِنْيَانًا ، وأكثرها عمارَةً .

٤٢ - بُرْشَلُونَة

* مدينةٌ للرومِ بينها وبين طَرٍّ كُونةٌ خمسون ميلًا ، وبرشَلُونَة على البحر ، ومرسأها ترشٌ لا تدخله المراكبُ إِلَّا عن معرفةٍ ، وبها رِبَضٌ ، عليها سورٌ منيعٌ ، والدخولُ إليها والخروجُ عنها إلى الأندلسِ على بابِ الجَبَلِ المُسَمَّى بِهَيْكَلِ الزَّهْرَةِ ، ويسكنُ برشَلُونَة مَلِكُ إِفْرَنْجَةِ ، وهى دارُ مُلْكِهِمْ ، وله مَرَاكِبُ تُسَافِرُ وتَغْزُو ، ولِلإِفْرَنْجِ شَوْكَةٌ لَا تُطَاقُ (١) .

* وبرشَلُونَة كثيرةُ الحنطة والجوب والعسل ، واليهودُ بها يعدلون النصارى كثرةً ، ولها رِبَضٌ خَارِجٌ منها ، وهى فى القسمِ الثالثِ من الأندلسِ ، وهى مُسَوَّرَةٌ كَبِيرَةٌ (٢) .

١٥ [وَصَاحِبِ برشَلُونَة اليَوْمَ رَأَى مُنْدُبَ بَلَنْقِيَوِ بْنِ بُرَيْلٍ ، وَكَانَ خَرَجَ يَرِيدُ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ سَنَةَ ٤٤٦ ، فَنَزَلَ فِي مَدِينَةِ نَرْبُونَةِ عَلَى رَجُلٍ مِنْ كُبَرَاءِ أَهْلِهَا ، فَتَعَشَّقَ امْرَأَتَهُ وَتَعَشَّقَتْهُ ، ثُمَّ تَمَادَى فِي سَفَرِهِ حَتَّى وَصَلَ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ ، ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعًا حَتَّى أَتَى نَرْبُونَةَ

فَنَزَلَ عَلَى صَنِيفِهِ بِهَا وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا إِلَّا امْرَأَتُهُ ، فَحُكِمَ ذَلِكَ التَّمَشُّقُ بَيْنَهُمَا ، وَاتَّفَقَ مَعَهَا عَلَى أَنْ تَعْمَلَ الْحِيلَةَ فِي الْمَرْوَبِ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِهَا ، فَيُزَوِّجَهَا مِنْ نَفْسِهِ ؛ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَرشلونة أَرْسَلَ إِلَيْهَا قَوْمًا مِنَ الْيَهُودِ فِي ذَلِكَ ، وَدَخَلَ صَاحِبُ طَرُطُوشَةِ فِي الْأَمْرِ فَأَوْصَلَهُمْ فِي الشَّوَانِي إِلَى نَزْبُونَةِ ، فَلَمْ تَتَوَجَّهْ لِلْيَهُودِ الْحِيلَةَ فِي أَمْرِهَا ، وَأَحْسَنَ زَوْجُهَا بَعْضَ شَأْنِهَا ، وَكَانَ بِهَا كَلِيفًا فَتَقَفَهَا ، فَكَانَ تَتَقِفُهُ لَهَا سَبَبًا لِمَعُونَةِ أَهْلِهَا عَلَى مَرَادِهَا ، فَوَصَلَتْ مَعَ ٥ قَوْمٍ مِنْهُمْ إِلَى بَرشلونة ، فَنَزَلَ رَأَى مُنْذُ عَنْ امْرَأَتِهِ وَتَزَوَّجَ التَّرْبُونِيَّةَ ، فَلَبَسَتْ الْأَوَّلَى الْمُسُوحَ ، وَخَرَجَتْ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ يَنْتَهَا إِلَى رُومَةٍ حَتَّى أَتَتْ عَظِيمَهَا وَصَاحِبَ الدِّينِ بِهَا ، وَهُوَ الَّذِي يَسْمُونَهُ الْبَابَةَ ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا صَنَعَ زَوْجُهَا ، وَأَنَّهُ تَرَكَهَا بِغَيْرِ سَبَبٍ ، وَهُوَ أَمْرٌ لَا يَحِلُّ فِي دِينِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ لَا يَجُوزُ لَهُمْ فَعْلُهُ ، وَإِنَّمَا حَمَلُهُ عَلَى ذَلِكَ عَشْقُهُ لَهَا ، وَشَهِدَ لَهَا شُهُودٌ قَبْلَهُمْ ، فَحَرَّمَ الْبَابَةَ عَلَى صَاحِبِ بَرشلونة دُخُولَ الْكِنَائِسِ ، وَأَمَرَ أَنْ ١٠ لَا يُدْفَنَ لَهُ مَيْتٌ ، وَأَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ جَمِيعٌ مِنْ يَتَقَدُّ النَّصْرَانِيَّةَ ، فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ ، عَلِمَ أَنَّهُ لَا حِيلَةَ لَهُ مَعَهُ ، وَلَا بَقَاءَ فِي أَفْقٍ يَكُونُ فِيهِ لِنَصْرَانِيَّ حَكْمٌ ؛ فَبَذَلَ الْأَمْوَالَ وَدَسَّ مَشَاهِيرَ الْأَسَاقِفَةِ وَالْقَسَاسِينَ ، وَأَوْطَأَهُمْ عَلَى الشَّخْوَصِ إِلَى الْبَابَةِ ، وَأَنْ يَشْهَدُوا لَهُ أَنَّهُ تَقَصَّى عَنْ نَسَبِ الْمَرَأَةِ الَّتِي تَرَكَ ، فَوَجَدَهَا مِنْهُ بِقُرْبَى يُحَرِّمُهَا عَلَيْهِ ، وَأَنَّ التَّرْبُونِيَّةَ ١٥ فَرَّتْ مِنْ زَوْجِهَا لِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ كَانَتْ مِنْهُ بِنَسَبٍ ، وَكَانَ يُكْرِهُهَا عَلَى الْمَقَامِ مَعَهُ ، فَفَنَذَ الْقَوْمَ إِلَى الْبَابَةِ ، وَشَهِدُوا لِلْقَوْمِ مَا أَوْصَاهُمْ عَلَيْهِ ، فَاقْبَلَهُمْ ، وَأَبَاحَ لَهُ دُخُولَ الْكِنَائِسِ وَدَفَنَ مِنْ مَاتَ لَهُ ، وَسَاطَرَ مَا حَجَرَ عَلَيْهِ ^(١) .

٤٣ - بَرْغَشُ

في بلاد الروم بالقرب من مدينة ليون، * وهي مدينة كبيرة يفصلها نهرٌ، ولكل جزء منها سورٌ، والأغلبُ على الجزء الواحد منها اليهودُ، وهي حصينةٌ منيعةٌ، ذاتُ أسواقٍ وتجارٍ، وعُدَدٍ وأموالٍ، وهي رصيفٌ للقاصِدِ والمتحوِّلِ، وهي كثيرةُ الكرومِ، ولها رَسَائِقٌ وأقاليمٌ معمورةٌ^(١).

٤٤ - بَرْيَانَةُ

بالأندلس بقرب عَقَبَةِ أَيْشَةَ .
* وهي مدينةٌ جليلةٌ عامرةٌ، كثيرةُ الخصبِ والأشجارِ والكرومِ، وهي في مستوًى من الأرض، وبينها وبين البحرِ ثلاثة أميالٍ، وهي قريبةٌ من بلنسية^(٢).

٤٥ - بَرْليَانَةُ

* قريةٌ على ساحلِ البحرِ، قريبةٌ من مالقة، وهي قريةٌ تشبه بالمدينة في مُستوًى من الأرض، وأرضها رملٌ، وبها الحُمَامُ والفَنَادِقُ، ويُصَادُ^(٣) بها الحوتُ الكثيرُ، ويُحْمَلُ منها إلى الجِهَاتِ المُجاوِرَةِ لها، وبينها وبين مالقة ثمانية أميالٍ^(٤).

٤٦ - بَسْطَةَ

* مدينةٌ بالأندلس بالقرب من وادي آش، وهي متوسطة المقدار، حَسَنَةُ المَوْضِعِ،

(١) ارسى من ٦٧ . (٢) ارسى من ١٩١ . (٣) زار : « وشباك » .

(٤) ارسى من ٢٠٠ .

عاصِرةٌ ، آهَلَةٌ ، حصينةٌ ، ذاتُ أسواقٍ ، وبها تجاراتٌ ، وفَعَلَةٌ بضروب الصناعات ،
 وبينها وبين جَيَّان ثلاث مَرَّاحِل^(١) ؛ وهى من كَوَر جَيَّان ، وشجرُ التوت فيها كثيرٌ .
 وعلى قدر ذلك غَلَّةُ الحرير والزيتون ، وسائرُ الثمار بها على مثل ذلك من الكثرة ،
 وأرضها عَدَاةٌ كثيرةُ الربيع ، وبها كانت طُرُزُ الوطاء البَسْطِيّ من الديباج الذى لا يُعلم
 له نظيرٌ ؛ وبَسْطَةَ بَرْكَةٍ تُعرف بالقُوْبَة^(٢) ، لا يُدركُ لها قمرٌ ، وماؤها على قامةٍ من
 شَفِيرِها ، وبها جبلٌ يُعرف بجبل الكُحْل ، لا يزال يُنْقَرُ منه كُحْلٌ أَسْوَدٌ ، يزيد بزيادةِ
 القمر ، وينقصُ بنقصانه ، لم يزل على ذلك من قديم الدهر .

ومدينةُ بَسْطَةَ مدينةٌ مفردةٌ من الجزء الرابع من قسمة قُسْطَنْطِين ، وهى مشهورة
 بالمياه والبساتين ، وكان الأديبُ أبو الحسن على بن محمد بن شفيع البَسْطِيّ يقول :
 « لو طُبعتُ على الزُّهد لَحَمَلْتِ حُسْنُ بِلادِي على المجون والتعشُّق والراحات ! » ، وكان ١٠
 شاعرٌ بَسْطَةَ .

٤٧ - بطروش

* بالأندلس فى طريق قرطبة ، وهو حصنٌ كثيرُ العِمارة ، شامخُ الحِصانة ، لأهلِهِ
 جلادةٌ وحَزْمٌ على مُكَاغَةِ أعدائِهِمْ ، ويُحيطُ بِجِبالِهِمْ وسهولِهِمْ شجرُ البَلوط ، الذى فاقَ
 طُمُغُهُ كلَّ بَلوط على وَجْهِ الأرض ، ولهم اِهتمامٌ بِحِفْظِهِ وَخِدْمَتِهِ ، وهُوَ لَهُمْ غَلَّةٌ وَغِيَاثٌ ١٥
 فى سِنِي الشَّدَّةِ والمَجَاعَةِ^(٣) .

(١) ارس ٢٠٢ . (٢) ت : « القوية » . (٣) ارس ٢١٣ .

٤٨ - بَطْلَيْوس

* بالأندلس من إقليم مَارِدَة ، بينهما أربعون ميلاً ، وهى حديثةُ الاتِّخَاذِ ، بناها عبدُ الرحمن بن مروان المروفيُّ بالجَلِيقِ بإذنِ الأميرِ عبدِ الله له فى ذلك ، فَأَنْفَذَ لَهُ جُمْلَةً من البُنَاةِ ، وقِطْعَةً من المالِ ، فشرع فى بناءِ الجامعِ باللَّيْنِ والطَّائِيَةِ ، وبنى صومعته خاصَّةً بالحَجَرِ ، واتَّخَذَ مقصورةً ، وبنى مسجدًا خاصًّا بداخلِ الحِصْنِ ، وابتنى الحَمَّامَ الذى على بابِ المدينة ، وأقام البُنَاةَ عنده حتَّى ابْتَنَوْا لَهُ عِدَّةً مَسَاجِدَ ؛ وكان سورُ بَطْلَيْوس مَبْنِيًّا بالترابِ ، وهو اليومَ مَبْنِيٌّ بِالْكَلَسِ والجَنْدَلِ ، و [مُبْنَى] فى سنة ٤٢١هـ^(١) .

* وهى مدينةٌ جليَّةٌ فى بَسيطٍ من الأرضِ ، ولها رَبَضٌ كبيرٌ أَكْبَرُ من المدينة فى شرقِها ، فَخَلَا بِالْفَتَنِ ، وهى على ضَفَّةِ نَهْرِها الكبيرِ المسمَّى الغَوْرِ ، لأنَّه يكون فى مَوْضِعٍ يحملُ السُّفْنَ ، ثمَّ يَغُورُ تَحْتَ الأرضِ حتَّى لا توجَدَ منه قِطْرَةٌ ، فَسُمِّيَ الغَوْرُ لذلك ، وينتهى جُريُّه إلى حِصْنِ مَارْتَلَة ، ويصبُّ قريبًا من جزيرةِ شَلْطِيشِ ؛ ومن بَطْلَيْوس إلى إشبيلية سِتَّةَ أَيَّامٍ ، ومنها إلى قرطبة سِتَّةَ مَرَّاحِلَ^(٢) .

٤٩ - بَلَاطَة

* فَخَصُ بَلَاطَة بالأندلس بين أشبونة وشَنْتَرَيْنِ . يقولُ أهلُ أشبونة وأَكْثَرُ أهلِ الغَرْبِ إِنَّ الحِطَّةَ تزرع بهذا الفَحْصِ ، فَتُقِيمُ فى الأرضِ أربعينَ يَوْمًا فَتُخَصَّدُ ، وَإِنَّ الكَيْلَ الواحدَ منها يُعْطَى مائةَ كَيْلٍ ، وَرُبَّمَا زَادَ وَنَقَصَ^(٣) .

٥٠ — بَلَطَشْ

بالأندلس، إقليمٌ من أقاليم سَرَقُسطَة، ونهرٌ هذا الإقليم يسقى مسافةَ عشرين ميلاً، ويقرب بَلَطَشْ موضعٌ ينفجرُ بالماء العذبِ أوَّلَ لَيْلَةٍ شهرِ أَغُسْتُ، ومن الغدِ إلى حدِّ الزوال، ثمَّ يبدو فيه القلوصُ والنقصانُ، فإذا غربت الشمسُ، جَفَّ إلى تلك الليلة من العام المُستقبل، هذا دأبه أبداً.

٥١ — بَلَنْسِيَة

في شرق الأندلس، يتنهما ويبن قرطبة على طريق بيجانة ستة عشر يوماً، وعلى الجادة ثلاثة عشر يوماً.

* وهي مدينة سهليّة، وقاعدة من قواعد الأندلس، في مستوٍ من الأرض، عامرة القطر، كثيرةُ التجارات، وبها أسواقٌ وحطٌّ وإفلاخٌ، ويتنهما ويبن البحر ١٠ ثلاثة أميال. وهي على نهرٍ جارٍ يُتسَعَّبُ به، ويسقى المزارعُ، ولها عليه بساتين، وجنّات، وعمارات مُتَّصِلَة^(١).

والسفنُ تدخلُ نهرَها، وسورها مبنيٌّ بالحجر والطوبى، ولها أربعة أبواب، وهي من أمصار الأندلس الموصوفة، وحواضرها المقدّمة، ولأهلها حُسْنُ زَيٍّ، وكرمٌ طباع، والغالبُ عليهم طيبُ النفوس، والعيلُ إلى الراحة، وهي في أكثرِ ١٥ الأمور راحةُ الأسعار، كثيرةُ الفواكه والثمار، جامعةٌ لخيرات البرِّ والبحر، ولها أقاليمٌ كثيرة، وهي في الجزء الرابع من قسمة قُسْطَنْطِين^(٢).

(١) ارمس ١٩١ . (٢) في جميع النسخ: «فلسطين» .

وكان الروم تغلبوا على بلنسية قديماً، ثم أحرقوها عند خروجهم منها سنة ٩٥٠هـ^(١)، فقال أبو إسحق إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة [كامل]:

عانتُ بساحتكِ الظبي يادارُ ومحا محاسنكِ البلى والنارُ
فإذا ترددتُ في جنابكِ ناظرُ طالَ اعتيَّارُ فيكِ واستعبارُ
أرضُ تقاذفتِ النَّوى بقطينها وتمخضتُ^(٢) بخرابها الأقدارُ
فجعلتُ أنشدُ خير سادةِ أهلها لأنتِ أنتِ ولا الديارُ ديارُ
وقال الأستاذ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن خلصة البلنسي [بسيط]:

وروضة زُرُّها للانسِ مُبتغيًا فأوحشتني لذكرى سادةِ هلكوا
تغيَّرتْ بمدمِ خرباً وحقِّ لها مكانَ نوارها أن يثبتَ الحسكُ
لو أنها نطقتْ قالت لفقديهم بأنَّ الخليط ولم يروا لمن تركوا

١٠

ثم في سنة ٦٣٠، ملك الروم بلنسية صلحاً، واستولى عليها ملك أرغون جاقمه^(٣)، وأكثَرَ أدباؤها بكاءها، والتأسفَ عليها نظماً ونثراً؛ فمن ذلك قولُ الكاتب أبي المطرف ابن حميرة، خاطبَ به الكاتبَ أبا عبد الله بن الأَبَّار، جواباً عن رسالة: طارحني حديثَ موريدِ جَفَّ^(٤)، وقطينِ خَفَّ؛ فيالله لِأَتْرَابِ دَرَجُوا، وأصحابِ
١٥ عن الأوطانِ خَرَجُوا؛ قُصَّتِ الأجنبيَّةُ وقيل: طيرُوا، وإنما هو القتلُ أو الأسرُ أو تسيروا؛ فَتَفَرَّقُوا أيدي سَبَا، وانتشروا ملء الوهادِ والرُّبا؛ ففي كُلِّ جانبٍ عَوِيلٌ وزفرة، وبكلِّ صدرٍ غليلٌ وحسرة؛ ولكلِّ عَيْنٍ عِبْرَةٌ، لا ترقأُ من أجْلِهَا عِبْرَةٌ؛

(١) وقع بتركيز وتصحيف في ت وف من هنا إلى آخر هذه الترجمة فاعتمدت على م أولت مصبحة

عن موه . (٢) م : « تمخضت » .

(٣) م : « جافة » .

(٤) م : « صور وحف » .

واهِ خَاوَرَ بِلَادَنَا حِينَ آتَاهَا ، وَمَا زَالَ بِهَا حَتَّى سَجَّى عَلَى مَوَاتَاهَا ، وَشَجَا لَيَوْمِهَا الْأَطْوَلَ
 كَهْلَهَا وَفَتَاهَا ؛ وَأَنْذَرَهَا فِي الْقَوْمِ بُحْرَانُ أَنْبَجَةٍ ، يَوْمَ أَنْارُوا أَسَدَهَا الْمِهْجَةَ ؛ فَكَانَتْ
 تِلْكَ الْحَطْمَةُ طَلَّ الشُّوْبُوبُ ، وَبَاكَوْرَةُ الْبَلَاءِ الْمَصْبُوب ؛ أَنْكَلْتَنَا إِخْوَانًا أَبْكَانًا
 نَعِيْهِمْ ، فَلِلَّهِ أَخُوذِيْهِمْ وَالْمَعِيْهِمْ ؛ ذَاكَ أَبُو رَيْبِنَا ، وَشَيْخُ جَمِيعِنَا ؛ سَعِدَ بِشَهَادَةِ
 يَوْمِهِ ، وَلَمْ يَرَ مَا يَسُوْدُهُ فِي أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ ؛ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَخَذَ مِنَ الْأَمِّ بِالْمَخْنَقِ ، وَهِيَ ٥
 بَلَنْسِيَّةٌ ذَاتُ الْحُسْنِ وَالْبَهْجَةِ وَالرَّوْنَقِ ؛ وَمَا لَبِثَ أَنْ أَخْرَسَ مِنْ مَسْجِدِهَا لِسَانَ
 الْأَذَانِ ، وَأَخْرَجَ مِنْ جَسَدِهَا رُوحَ الْإِيمَانِ ؛ فَبَرِحَ الْخَفَاءُ ، وَقِيلَ عَلَى آثَارِهِ مَنْ ذَهَبَ
 الْعَفَاءُ ، وَانْعَطَفَتِ النَّوَائِبُ مُفْرَدَةً وَمُرَكَّبَةً كَمَا تَعَطِفُ الْفَاءُ ؛ وَأَوْدَتِ الْخِيفَةُ وَالْحَصَافَةُ ،
 وَذَهَبَ الْجِسْرُ وَالرِّصَافَةُ ؛ وَمُزَّقَتِ الْحُلَّةُ وَالسَّهْلَةُ ، وَأَوْحَشَتِ الْجَرْفُ وَالرَّمْلَةُ ؛
 وَنَزَلَتْ بِالْحَارَةِ وَقَعَةُ الْحَرَةِ ، وَحَصَلَتِ الْكَنِيسَةُ مِنْ جَاذِرِهَا وَظِلَابِهَا عَلَى طُولِ ١٠
 الْحَسْرَةِ ؛ فَأَيْنَ تِلْكَ الْخَمَائِلُ وَنَضْرُئُهَا ، وَالْجَدَاوِلُ وَخُضْرُئُهَا ؛ وَالْأَنْدِيَّةُ وَأَرْجُئُهَا ،
 وَالْأَوْدِيَّةُ وَمُنْمَرَجُئُهَا ؛ وَالنَّوَائِمُ وَهُبُوبُ مُبْتَلَّهَا ، وَالْأَصَائِلُ وَشُجُوبُ مُعْتَلَّهَا ؛
 دَارٌ ضَاخَكْتَ الشَّسُسُ بِحَرِّهَا وَيُحْيِرُئُهَا ، وَأَزْهَارٌ تَرَى مِنْ أَدْمُعِ الطَّلِّ فِي أُعْيُنِهَا
 تَرْدُدُهَا وَحَيْرُئُهَا ؛ ثُمَّ رَحَفَتِ كَتِيبَةُ الْكُفْرِ بِزُرْقِهَا وَشُقْرِئُهَا ، حَتَّى أَحَاطَتْ بِجَزِيرَةِ
 شُقْرِئِهَا ؛ فَأَآهَا لِمُسْقَطِ الرَّأْسِ هَوَى نَجْمُهُ ، وَلَفَادِجِ الْخَطْبِ سَرَى كَلْمُهُ ؛ وَبِالْجَنَّةِ ١٥
 أَجْرَى اللَّهُ تَعَالَى النَّهْرَ تَخْنَهَا ، وَرَوْضَةَ أَجَادَ أَبُو إِسْحَاقَ نَعْمَهَا ؛ وَإِنَّمَا كَانَتْ دَارَهُ الَّتِي
 فِيهَا دَبٌّ ، وَعَلَى أَوْصَافِ مُحَاسِنِهَا أَلْبٌ ، وَفِيهَا أَتَتْهُ مَنِيَّتُهُ كَمَا شَاءَ وَأَحَبَّ ؛ وَلَمْ تَعْدَمْ
 بَعْدَهُ مُجِبِّينَ قَشِيْبِهِمْ إِلَيْهَا سَاقُوهُ ، وَدَمَمَهُمْ عَلَيْهَا أَرَاقُوهُ .

وله من رسالةٍ أُخْرَى فِي الْمَعْنَى : ثُمَّ رَدَفَ الْخَطَابُ الثَّانِي بِقَاصِمَةِ الْمُتُونِ ،

وقاضية النون ، ومضرمية نارِ الشجون ، ومذرية ماء الشؤن ؛ وهو الحادثُ في بلنسية دارِ النحر ، وحاضرة البرِّ والبحرِ ؛ ومطمح أهلِ السيادة ، ومطرح شعاعِ البهجة والنضادة ؛ أودى الكفرُ بإيمانها ، وأبطلَ النافوسُ صوتَ أذانها ؛ ودهاها الخطب الذى أنسى الخطوب ، وأذابَ القلوب ، وعلمَ سهامَ الأحزان أن تُصيب ، ودموع الأحنان أن تصوب ؛ فيا ثكلَ الإسلام ، ويا شجُو الصلاة والصيام ؛ يوم الثلاثاء ، وما يوم الثلاثاء ، يا ونيح الداهية الدهياء ، وتأخير الإقدام عن موقف العزاء ؛ أين الصبرُ وفؤادى أنسيه ، لم يبقَ لِقَومى على الرمي سِيَه ؛ هيهات نجد ما مضى من أنتسيه ، من بعد مُصابٍ حلَّ في بلنسيه .

يا طول هذه الحسرة ! ألا جابر لهذه الكسرة ؟ أكلُّ أوقاتنا ساعة القسرة ؟ أخى ! أين أيماننا الخوالى ؟ وليالينا على التوالى ؟ ولأية عيش نعم بها الوالى ؟ ومسندات أنس يعدها الرواة من العوالى ؛ بعداً لك يا يومَ الثلاثاء من صفر ، ما ذنبك عندى بشىء يغتفر ؛ قد أشمتَ بالإسلام حزبٌ من كفر ، من أين لنا العفرُ كلا لا مفر .

كلّ رزء فى هذا الرزء يندرج ، وقد اشتدت الأزمة فقلّ لى متى تنفريج ، كيف انتفاعنا بالضحى والأصائل إذا لم يعد ذلك النسيم الأرج ؛ ليس لنا إلا التسليم ، والرضى بما قضاه الخلاق العليم .

وقال فى رسالة أخرى فى المعنى : وأجرِيتَ خبرَ الحادثة التى حَقَّتْ بِذَرِ التَّمام ، وَذَهَبَتْ بِنَضَارَةِ الأَيَّامِ : فَيَا مَنْ حَضَرَ يَوْمَ البَطْشَةِ ، وَغَزَى فى أَنَسِهِ بَعْدَ تِلْكَ الوحشة ؛ أَحَقًّا إِنَّهُ دُكَّتِ الأَرْضُ ، وَنَزَفَ المَعِينُ والبَرُضُ ؛ وَصَوَّحَ رَوْضُ المُنَى ، وَصَرَّحَ الخطبُ وما كُنَى ؟ أَيْنَ لى كَيْفَ فَقِدَتْ رَجَاحَةُ الأحلام ، وَغَقِدَتْ مَنَاحَةُ الإسلام ؛

وجاءَ اليومُ العسيرُ ، وأوقدت نَارُ الحُزنِ فلا تَزَالُ تَسْتَعِيرُ ؛ حُلْمٌ ما تَرَى ؟ بل ما رَأَى
 ذا حِلْمٍ ، طوفانٌ يُقالُ عِنْدَهُ لَعَاصِمٍ ، من يُنْصِفُنَا مِنَ الزَّمانِ الطَّالِمِ ، اللهُ بما يَلْقَى الفُؤادُ
 عالِمٌ ؛ باللهِ أَيْ نَحْوِ تَنْحُو ، وَمَسْطُورٌ تُمْنِتُ وَتَمْنُو ؛ وَقَدْ جُذِفَ الْأَصْلُ وَالْإِلَهُ ، وَذَهَبَتْ
 الصَّلَةُ وَالْعَائِدُ ؛ وَبَابُ التَّعْجُبِ طَالٌ ، وَحَالُ الْبَائِسِ لَا تَخْشَى الْإِنْتِقَالَ ؛ وَذَهَبَتْ عَلَامَةُ
 الرَّفْعِ ، وَقُذِدَتْ سَلَامَةُ الْجَمْعِ ؛ وَالْمُعْتَلُّ أَعْدَى الصَّحِيحِ ، وَالثَّمَلُ أَرْدَى الْفَصِيحِ ؛
 وَامْتَنَعَتْ الْمُجَنَّةُ مِنَ الصَّرْفِ ، وَأَمِنَتْ زِيَادَتُهَا مِنَ الْحَذْفِ ؛ وَمَالَتْ قَوَاعِدُ الْمَلَّةِ ،
 وَصِرْنَا إِلَى سَجْعِ الْقَلَّةِ ؛ وَلِلشُّرْكِ صِيَالٌ وَتَخْطُطُ ، وَلِقَرْنِهِ فِي شَرِّهِ تَحْجُطُ ؛ وَقَدْ عَادَ
 الدِّينُ إِلَى غُرْبَتِهِ ، وَشَرِقَ الْإِسْلَامُ بِكُرْبَتِهِ ؛ كَأَن لَمْ يُسْمَعْ بِنَصْرِ ابْنِ نُصَيْرٍ ، وَطَرَقَ
 طَارِقُ بَكْلِ خَيْرٍ ؛ وَنَهَشَاتِ حَنْشٍ وَكَيْفَ أَعْيَتْ الرُّقَى ، وَأَذَلَّتْ بَلِيلُ السَّلِيمِ يَوْمَ
 الْمُلَاقَى ، وَلَمْ تُخْبَرْ عَنِ الْمَرَوَاتِيَّةِ وَصَوَائِفِهَا ، وَفَتَى مَعَاوِيَةَ لِلْأَوَثَانِ وَطَوَائِفِهَا :
 ١٠ نَبَّ ذَلِكَ السَّلَفُ ، لَقَدْ طَالَ الْأَسَى عَلَيْهِمُ وَالْأَسَفُ .

وقال في رسالة أخرى : وما الذي نبغيه ، وأنى أمل لا نطرحه ولنغيه ؛ بعد
 الحادثة الكبرى ، والمصيبة التي كلُّ كبدٍ لها حرى ، وكلُّ عينٍ من أجلها عبرى ؛
 لكن هو القضاء لا يُرَدُّ ، والله الأمرُ من قبل ومن بعدُ .

١٥

ومما قاله في ذلك من المنظوم قوله [كامل] :

أَمْ مَا لِقَلْبِكَ لَا يَقْرَأُ قَرَارُهُ	مَا بَالُ دَمْعِكَ لَا يَنِي مِذْرَارُهُ
سَارَتْ رَكَائِبُهُ وَشَطَّتْ دَارُهُ	أَلِوَعَةٍ بَيْنَ الضُّلُوعِ لَطَائِنِ
بَعْدَ الدُّنُوِّ وَأُخْفَقَتْ أَوْطَارُهُ	أَمْ لِلشَّبَابِ تَقَاذَفَتْ أَوْطَانُهُ
مِنْ مِثْلِ حَادِثِهِ خَلَتْ أَغْصَارُهُ	أَمْ لِلزَّمَانِ أَتَى بِحُطْبِ قَادِحِ

بَحْرٌ مِنَ الْأَحْزَانِ عَبَّ عُبابُهُ وَارْتَجَّ مَا بَيْنَ الْحِشَا زَخَاؤُهُ
 فِي كُلِّ قَلْبٍ مِنْهُ وَجَدُ عَنْده أَسْفٌ طَوِيلٌ لَيْسَ تَخْبُو نَارُهُ
 أَمَّا بِلَنْسِيَّةٍ فَمَثْوَى كَافِرٍ حُفَّتْ بِهِ فِي عُقْرِهَا كُفَّارُهُ
 زَرَعَ مِنَ الْمَكْرُوهِ حَلَّ حِصَادُهُ عِنْدَ الْمُدَوِّ غَدَاةَ لَجِّ حِصَارُهُ
 وَعَزِيمَةُ لِلشُّرْكِ جَمْعُ بِالْهُدَى أَنْصَارُهَا إِذْ خَانَهُ أَنْصَارُهُ
 قُلْ كَيْفَ تَثْبِتُ بَعْدَ تَمْزِيقِ الْعِدَا آثَارُهُ أَمْ كَيْفَ يُدْرِكُ نَارُهُ
 مَا كَانَ ذَاكَ الْمَصْرُ إِلَّا جَنَّةً لِلْحُسْنِ تَجْرِي تَحْتَهُ أَنْهَارُهُ
 طَابَتْ بِطَيْبِ بَهَارِهِ آصَالُهُ وَتَمَطَّرَتْ بِنَيْسَمِهِ أَشْجَارُهُ
 أَمَّا السَّرَارُ فَقَدْ غَدَاهُ وَهَلْ سِوَى قمر السَّاءِ يَزُولُ عَنْهُ سِرَارُهُ
 قَدْ كَانَ يُشْرِقُ بِالْهِدَايَةِ لَيْلُهُ وَالْآنَ أَظْلَمَ بِالضَّلَالِ نَهَارُهُ
 وَدَجَا بِهِ لَيْلُ الْخُطُوبِ بِصُبْحِهِ أُنْيَا عَلَى أَبْصَارِنَا إِسْفَارُهُ

وَمِمَّا صَدَرَ عَنِ الْكَاتِبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَبَّارِ فِي ذَلِكَ مِنْ رِسَالَةٍ :

وَأَمَّا الْأَوْطَانُ الْمُحَبَّبُ عَهْدُهَا بِحُكْمِ الشَّبَابِ ، الْمُسَبَّبُ فِيهَا بِمَحَاسِنِ الْأَخْبَابِ :
 فَقَدْ وَدَعْنَا مَعَاهِدَهَا وَدَاعَ الْأَبَدِ ، وَأَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبِّدٍ ؛ أَسْلَمَهَا الْإِسْلَامُ ،
 ١٥ وَانْتَضَمَهَا الْإِنْتِزَارُ وَالْإِضْطِلَامُ ؛ حِينَ وَقَعَتْ أَنْسَرُهَا الطَّائِرَةُ ، وَطَلَعَتْ أَنْحُسُهَا الْعَائِرَةُ ؛
 فَغَلَبَ عَلَى الْجَذَلِ الْحَزَنُ ، وَذَهَبَ مَعَ الْمُسْكَنِ السَّكَنُ : [بَسِيط]

كَزَعَزَعَ الرِّيحُ صَكَ الدَّوْحَ قَاصِفُهَا فَلَمْ يَدْعُ مِنْ جَنَى فِيهَا وَلَا عُصْنِ
 وَاهَا وَوَاهَا يَمُوتُ الصَّبْرُ بَيْنَهُمَا مَوْتُ الْحَامِدِ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالْجُبْنِ
 أَيْنَ بِلَنْسِيَّةٍ وَمَغَانِيهَا ، وَأَغَارِيدُ وَرَقِهَا وَأَغَانِيهَا ؛ أَيْنَ حُلَى رُصَافَتِهَا وَجِسْرِهَا ،

- وَمَنْزِلًا عَطَايَا وَنَعْرًا ؛ أَيْنَ أَفْيَاؤُهَا تَنْدَى غَضَارُهُ ، وَرِكَائُهَا تَبْدُو مِنْ خُضَارِهِ ؛
 أَيْنَ جَدَاوِلُهَا الطَّفَّاحَةُ وَخَائِلُهَا ، أَيْنَ جَنَائِبُهَا التَّفَاحَةُ وَشَمَائِلُهَا ؛ شَدَّ مَا عَطَلَ مِنْ قَلَائِدِ
 أَزْهَارِهَا نَعْرُهَا ، وَخَلَمَتْ شَعَشَعَاتِيَّةً ضَحَاها بِحَيْرَتِهَا وَبَحْرُهَا ؛ فَأَيَّةَ حِيلَةٍ لَا حِيلَةَ فِي
 صَرْفِهَا مَعَ صَرْفِ الزَّمَانِ ، وَهَلْ كَانَتْ حَتَّى بَانَتْ إِلَّا رَوْنَقَ الْحَقِّ وَبَشَاشَةَ الْإِيمَانِ ؛
 ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ دَاءُ عُقْرِهَا ، أَنْ دَبَّ إِلَى جَزِيرَةِ شَقْرِهَا ؛ فَأَمَرَ عَذْبَهَا التَّمْيِيرُ ، وَذَوَى غُضُنَهَا
 النَّضِيرُ ؛ وَخَرَسَتْ سَحَابُهَا أَدْوَا حِيَا ، وَرَكَدَتْ نَوَاسِيمُ أَرْوَاحِهَا ؛ وَمَعَ ذَلِكَ اقْتَحَمَتْ
 دَانِيَةَ ، فَزَحِحتْ قُطُوفُهَا وَهِيَ دَانِيَةُ ؛ وَيَا لِسَاطِبَةٍ وَبَطْحَانِهَا ، مِنْ حَيْفِ الْأَيَّامِ وَإِنْجَانِهَا ؛
 وَلَهْفَاهُ ثُمَّ لَهْفَاهُ عَلَى تَذْمِيرِ وَتَلَايِهَا ، وَجَيَّانِ وَقَلَاعِهَا ؛ وَقُرْطَبَةِ وَنَوَادِيهَا ، وَخَصِ
 وَوَادِيهَا ؛ كُلُّهَا رُغِيَّ كَلَّأُهَا ، وَذُمِيَّ بِالتَّفْرِيقِ وَالتَّمْزِيقِ مَلَّأُهَا ؛ عَضَّ الْحِصَارُ
 أَكْثَرَهَا ، وَطَمَسَ الْكُفْرُ عَيْنَهَا وَأَثَرَهَا ؛ وَتَكَرَّرَ إِلَيْهَا بِصَدْدِ الْبَوَارِ ، وَرَيْتُهُ فِي مِثْلِ
 ١٠ حَلَقَةِ السَّوَارِ ؛ وَلَا مِرْيَةَ فِي الْمِرْيَةِ وَخَفِضَهَا عَلَى الْجَوَارِ ؛ إِلَى بُيُوتِ لَوَاحِقِ الْأُمَمَاتِ ،
 وَنَوَاطِقِ بَهَاكَ لِأَوَّلِ نَاطِقِ بَهَاتِ ؛ مَا هَذَا التَّفَخُّ بِالْمَعْمُورِ ، أَهْوُ التَّفَخُّ فِي الصُّورِ ،
 أَمْ التَّفَرُّعُ عَارِيًا مِنَ الْحَجِّ الْمُبْرُورِ ؛ وَمَا لَإِنْدَلَسِ أُصِيبَتْ بِأَشْرَافِهَا ، وَتُقِصَّتْ مِنْ أَطْرَافِهَا ؛
 قُوِّضَ عَنْ صَوَامِعِهَا الْأَذَانُ ، وَصُمَّتْ بِالنَّوَائِسِ فِيهَا الْأَذَانُ ؛ أَجَنَّتْ مَا لَمْ تَجْنِ
 الْأَصْقَاعُ ، أَعَقَّتْ الْحَقُّ خَاقِيَهَا الْإِقَاعُ ؛ كَلَّا بَلْ دَانَتْ لِلشُّنَّةِ ، وَكَانَتْ مِنَ الْبَدْعِ فِي
 ١٥ أَحْصَنِ جُنَّةِ ؛ هَذِهِ الْمَرْوَاتِيَّةُ مَعَ اشْتِدَادِ أَرْكَانِهَا ، وَامْتِدَادِ سُلْطَانِهَا ؛ أَلْقَتْ حُبَّ آلِ
 الثُّبُوءِ فِي حَبَاتِ الْقُلُوبِ ، وَأَلَوَتْ مَا ظَفِرَتْ مِنْ خَلْعَةٍ وَلَا قَلْعَةٍ بِمَطْلُوبِ ؛ إِلَى
 الْمُرَابِطَةِ بِأَقْصَى الثُّمُورِ ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَعَالَى الْأُمُورِ ، وَالرُّكُودِ إِلَى الْمُهْضِيَةِ الْمُنِيْعَةِ ،
 وَالرَّوَضَةِ الْمَرِيْعَةِ ، مِنْ مُعَادَاةِ الشَّيْعَةِ ، وَمُؤَالَاةِ الشَّرِيعَةِ ؛ فَلَيْتَ شِعْرِي بِمِ اسْتَوْثِقَ

تَمَحِصُهَا ، وَلَمْ تَعْلَقْ بِعُمُومِ الْبُلُوَى تَخْصِيصُهَا ؛ اللَّهُمَّ غُفْرًا ! طَالَمَا ضَرَّ ضَجَرُ ،
وَمِنْ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرُ ؛ جَرَى بِمَا لَمْ تُقَدِّرْهُ الْمَقْدُورُ ، فَمَا عَسَى أَنْ يَنْفُثَ بِهِ
الْمَصْدُورُ ؛ وَرَبُّنَا الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ، فَحَسَبُنَا التَّقْوِيضُ لَهُ وَالتَّسْلِيمُ ؛ وَيَا عَجِبًا لِبَنَى الْأَصْفَرِ ،
أَنْسَيْتَ مَرْجَ الصَّفَرِ ، وَرَمَيْهَا يَوْمَ الْيَوْمِ بِكُلِّ أَغْلَبَ غَضَنَفَرِ ؛ دَعَا ذَا فَالْعَهْدُ بِهِ
بَعِيدُ ، وَمَنْ أَمْعَطَ بغيرِهِ فَهُوَ سَعِيدُ ؛ هَلَّا تَذَكَّرْتَ الْعَامِرِيَّةَ وَغَزَوَاتِهَا ، وَهَابَتْ
الْعَامِرِيَّةَ وَهَبَوَاتِهَا .

ومما قاله في ذلك من المنظوم ، قصيدته السيئة التي أولها : [بسيط] .

أَذْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلَسَا

يقول فيها :

١٠	يَا لِلْجَزِيرَةِ أَضْحَى أَهْلُهَا جَزَرًا	لِلْحَادِثَاتِ وَأَمْسَى جَدُّهَا تَعْسَا
	يَا لِلْمَسَاجِدِ عَادَتِ لِلْعَدَى يَبْعَا	وَاللَّيْدَاءِ يُرَى أَثْنَاءُهَا جَرَسَا
	لَهْفَى عَلَيْهَا إِلَى اسْتِرْجَاعِ فَائِتِهَا	مَدَارِسًا لِلْمَشَانِي أَصْبَحَتْ دُرُسَا
	كَانَتْ حَدَائِقَ لِلْأَحْدَاقِ مَوْنَقَةً	فَصَوَّحَ النَّضْرُ مِنْ أَدْوَا حَهَا وَعَسَا
	وَحَالٌ مَا حَوْلَهَا مِنْ مَنْظَرٍ عَجَبٍ	يَسْتَجْلِسُ الرِّكَبُ أَوْ يَسْتَرْكَبُ الْجُلَسَا
١٥	مَحَا مَحَاسِنَهَا طَاغِ أُنْجَحَ لَهَا	مَا نَامَ عَنْ هَضْمِهَا حِينَا وَلَا نَفَسَا
	وَرَجَّ أَرْجَاءَهَا لَمَّا أَحَاطَ بِهَا	فَغَادَرَ الشَّمُّ مِنْ أَعْلَامِهَا خُفْسَا
	مَدَانٍ حَلَّهَا الْإِشْرَاكُ مُبْتَسِمَا	جَذَلَانَ وَارْتَحَلَ الْإِيمَانُ مُبْتَسِمَا
	وَصَيَّرَتْهَا الْعَوَادِي الْعَائِثَاتُ بِهَا	يَسْتَوْحِشُ الطَّرْفُ مِنْهَا ضَعْفَ مَا أُنْسَا

وَفِي بَلَنْسِيَةِ مِنْهَا وَقَرْطَبَةُ مَا يُنْسِفُ النَّفْسَ أَوْ مَا يُنْزِفُ النَّفْسَ
وهي طويلة .

وفي بلنسية ، يقول أبو عبد الله بن عيَّاش [طويل] :

بَلَنْسِيَةُ بَيْنِي عَنِ الْقَلْبِ سَلْوَةٌ فَإِنَّكَ رَوْضٌ لَا أَجِنُ لَزْهَرِكِ
وَكَيْفَ يَحِبُّ الْمَرْءُ دَارًا تَقَسَّمتْ عَلَى صَارِيٍّ جَوْعٍ وَفَتْنَةٍ مُشْرِكِ
وَانْتَقَضَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ حَرِيْقٍ فَأَجَابَ [وافر] :

بَلَنْسِيَةُ نِهَآيَةُ كُلِّ حَسَنِ حَدِيثٌ صَحَّ فِي شَرْقٍ وَغَرْبِ
فَإِنْ قَالُوا مَحَلُّ غَلَاءٍ سِغْرِ وَمَسْقَطُ دِيْمَتِي طَعْنٌ وَضَرْبِ
فَقُلْ هِيَ جَنَّةٌ حُفَّتْ رُبَاهَا بِمَكْرٍ وَهَيْنٍ مِنْ خَوْفٍ وَحَرْبِ

١٠

٥٢ - بنابش

مدينةٌ في بلاد الإفرنجية ، عامرة ، كثيرةُ الأهل ، سورُها بالآجر والكِلس ،
وبها نحوُ من خمسمائة حدَّاد ، يعملون الدروع والسيوف والبيضات والرماح ؛ وهو
بلدٌ واسعُ الخطَّة ، كثيرُ الخير ، وتنتهي أحوازُها في الجوف إلى البحر المحيط مسيرةً ثلاثة
أيَّامٍ ، وأهلُ بنابش يزعمون أنَّهم من الإفرنج ، يشبهونهم في صيغتهم وملابسهم
وهيئتهم وأخلاقهم .

١٥

٥٣ - بنبلونة

مدينةٌ بالأندلس ، بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلًا ، بها كانت
دارُ مملكةِ غرسيَّة بن شانجه سنة ٣٣٠ ، وهي بين جبالٍ شاذجةٍ ، وشعابٍ غامضةٍ ،

قليلة الخيرات ، أهلها فقراء ، جاعة لُصُوصٌ ، وأكثرهم متكلمون بالبَشَقِيَّة لا يفهمون ؛
وخيْلُهُمْ أَصْلَبُ الدوابِّ حافِرًا لخشونة بلادهم ، ويسكنون على البحر المحيط في الجوف .

٥٤ - بَشَقِيَّة

حصنٌ بالأندلس ، وبالقرب من طَرِّ كُونة ، * منيعٌ على صَفَّة البحر ، وهو عامرٌ
أهلٌ ، وله قُرَى وعمارات ومياهٌ كثيرة^(١) ، وبه عينٌ ثَرَّةٌ تريق في البحر ، ويقابلُ
مَرَسَى بَشَقِيَّة من برِّ المدوة جزائرُ بني مَرْغَنَّاى ، يئنه ويئنها سِتَّة تَجَارٍ .

٥٥ - البُونْت

هى قريةٌ من أعمال بلنسية ، يُنسب إليها صاحبُ الوثائق المجموعة ، عبد الله بن
فتوح بن عبد الواحد .

٥٦ - يَبَّارَة^(٢)

مدينة بالأندلس ، قرية من بلكونة^(٣) ، بينهما عشرة أميال ، وكان ميناءها^(٤)
على النهر الأعظم معقوداً بالرَّصيف ، وكانت المَحَجَّة العُظمى عليها من باب نَزْبُونَة إلى
بابها إلى باب قرطبة ، وحنيةٌ بابها باقيةٌ لم تَتَشَلَّمْ^(٥) وهى عاليةٌ ، لا يدرك أعلاها فارسٌ
بقناته ، وكانت من بناء رَكَارِد بن لُوَيْلِد^(٦) مَلِك القوط ، وهو الذى جمع الفِرَق ، وقطع
الشعوب ، وبث الاختلاف ، وقدم ثمانين أسقفًا على ثمانين مدينة ، وكان مستقره
طُلَيْطَلَة ، وهو الذى بنى الكنائسَ الجليلة فى نواحي الأندلس ، وهو الذى قال بالتَّثْلِيث .

(١) اوس ١٨١ . (٢) ت وم : « يابرة » . (٣) ت وف : « سلكونة » .

(٤) ت وف : « مينها » . (٥) ت : « يشتم » ، ف : « تشتم » .

(٦) س : « كدلو مريوس » ، ف : « كد بن لوسد » .

٥٧ - يَاسَة

بالأندلس أيضاً .

- * بينها وبين جِيَّانَ عشرون ميلاً ، وكلُّ واحدةٍ منهما تظهر من الأخرى ؛
ويَاسَة على كُذْيَةٍ من ترابٍ ، مُطَلَّةٌ على النهر الكبير المنحدِر إلى قرطبة ، وهى مدينةٌ
ذات أسوارٍ وأسواقٍ ومتاجرٍ ، وحولها زراعات ، ومستغلاتُ الزعفران بها كثيرة ^(١) .
وفي سنة ٦٢٣ ، ملك الرومُ يَاسَة يوم عَرَافَةِ من ذى حِجَّتها ، وكان صاحبُ جِيَّانَ
إذ ذاك عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن ، قد تغيَّر له عبدُ الله العادلُ بن المنصور ،
صاحبُ إشبيلية ، فخافه فخرج إلى يَاسَة ودخلها ، وكَلَّمَ أهلها في مساعدته وامتناعِهِ
بهم ، إلى أن يأخذَ لنفسه الأمان ، فساعدوه على مُرَّاده ، ومنعوه عن رأيه ، فجهَّز إليه
العادلُ المساكِرَ ، وقَدَّم عليهم إدريس بن المنصور ؛ فلما نزلوا بظَاهِرِ يَاسَة مكثوا ١٠
عليها أيَّامًا ، والزمانُ شاتٍ ، فلم يغنوا شيئاً ؛ وأراد عبدُ الله صاحبُ يَاسَة تفريقَ
ذلك الجمع بما أمكن ، فداخله بأنَّ صالحَهُ على أن يدفع له ابناً صغيراً ليكون رهينةً
لَدَيْهِ بطاعته ؛ فوجد إدريس السبيل إلى الانصراف عنه ، وكان أكبرهم ؛ إذ قد جهَّدهُ
وأصحابه شِدَّةَ البرد ونزولِ المطر ، إلى ما كانوا يخافونه من مدِّ النهر ، ووصولِ رُومٍ
طليلة ، الذين كانوا أولياءَ لصاحبِ يَاسَة ، وأنصاراً له ؛ فخاف أن يدعو بهم ، فقبلوه ،
إذ كان حصل من أنفسهم تحلاً كثيراً لشجاعته ؛ فارتحل أبو الملاء لذلك ، ورأى أنَّه
قد صنع شيئاً ، وأنه قد أقام عُذْرَهُ ؛ فلما وصل إلى إشبيلية ، استقصِر فعلُهُ ، واستهجنَ
رَأْيَهُ ، وبقي عندهم كالخامل المتخوِّف .

ثُمَّ جَهَّزُوا بَعْدَهُ جَيْشًا آخَرَ إِلَى يَبَاسَةَ ، قَدَّمُوا عَلَيْهِ عِثَانُ بْنُ أَبِي حَفْصٍ ، فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ قَبِيلَ يَبَاسَةَ ، خَلْفَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ ، عَلَى خَمْسَةِ أَمْيَالٍ ^(١) مِنْ يَبَاسَةَ ، فَبَرَزَ إِلَيْهِمْ دُونَ الْمِائَةِ مِنْ فَرَسَانِ عَبْدِ اللَّهِ صَاحِبِ يَبَاسَةَ ، وَمِنْ الرُّومِ الَّذِينَ مَعَهُ ؛ فَلَمَّا رَأَوْهُمْ انْهَزَمُوا ، وَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ؛ وَبَقِيَ صَاحِبُ يَبَاسَةَ بِلَدِهِ ، وَلَا أَحَدٌ يَرُومُهُ ، إِلَى أَنْ تَمَلَّكَ قَرْطَبَةَ وَمَالِقَةَ وَغَيْرَهُمَا ؛ وَكَادَ يَسْتَوِلِي عَلَى الْأَمْرِ لَوْ سَاعَدَهُ الْقَدَرُ ^(٢) ، وَخَرَجَ فَأَوْقَعَ بِأَهْلِ إشبيلية بِفَحْصِ الْقَصْرِ سَنَةَ ٦٢٢ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ أَلْفَيْ رَجُلٍ ، وَانْصَرَفَ عَنْهَا مَكْسُورًا مَفْلُولًا .

وَقَدْ كَانَ أَدْخَلَ الرُّومَ قَصَبَةَ يَبَاسَةَ وَأَسْكَنَهُمْ فِيهَا ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُمْ فِي سَائِرِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ دَفَعَهُ الْقَصَبَةَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَبِيلِ الرِّهْنِ فِي مَالٍ كَانَ تَعَيَّنَ لَهُمْ عَلَيْهِ ؛ فَبَقُوا فِي الْقَصَبَةِ سَاكِنِينَ ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي الْبَلَدِ يَدْخُلُونَهُمْ وَيَعَامِلُونَهُمْ ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ فِي قَرْطَبَةَ مُقِيمٌ ؛ فَلَمَّا غَزَا إشبيلية وَانْصَرَفَ عَنْهَا مَفْلُولًا مَكْسُورًا ، نَارِبَهُ أَهْلُ قَرْطَبَةَ ؛ إِذْ تَوَهَّمُوا أَنَّهُ يَرِيدُ إِدْخَالَ النَّصَارَى مَدِينَتَهُمْ ، فَخَرَجَ عَنْهُمْ فَأَرَا إِلَى الْحِصْنِ الْمُدَوَّرِ فَأَقَامَ هُنَاكَ ، وَبَقِيَتْ قَصَبَةُ يَبَاسَةَ بِيَدِ الرُّومِ وَغَلِقَ الرِّهْنُ ، وَأَحَبَّ أَهْلُ يَبَاسَةَ إِخْرَاجَ الرُّومِ عَنْ قَصَبَتِهِمْ ، فَدَاخَلُوا صَاحِبَ جِيَّانَ مُعَمَّرَ بْنَ عَيْسَى بْنَ أَبِي حَفْصٍ بْنِ يَحْيَى ، وَسَأَلُوهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِمْ فِي جَمْعِهِ ، فَجَاءَهُمْ بِحَشُودِهِ وَمَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ الْمَسْكُودَالِي ، فَدَخَلُوا يَبَاسَةَ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ بِالْقَصَبَةِ مِنَ الرُّومِ فَلَمْ يَنْالُوا شَيْئًا ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْمَدِينَةِ فَأَتَى عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ بَعْدَ أَنْ أَبْلَوْا فِي الدِّفَاعِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ غَلِبُوا بِالْكَثَرَةِ ، وَبَقِيَ أَهْلُ الْقَصَبَةِ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ الْوُصُولَ إِلَيْهِمْ لِحَصَاتِهَا ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى لَوْفَقَ هَذَا الْوَالِي إِلَى الْمَقَامِ ؛ فَإِنَّ أَهْلَ

(١) ث و ف : أيام . (٢) م : القدار .

القصبة لم يكن عندهم شيء يقتاتونه إلا ما يأتيهم من المدينة مياومة ، فلو مكث عليها يوماً أو يومين لضاقتوا وخرجوا ؛ ولم يكن أهل ملتهم نصروهم إلا في مدة بعيدة لبعد المسافة ، لكن أبي المقدار إلا أن يفرغ في يومه ذلك ، ولم يختز على المبيت ليلة واحدة وظن أن الفجاج ترميه بالخيول والرجال ، فقال لأهل البلد : أنا راجع ؛ فمن أحب أن يخرج فليخرج ، ومن أحب أن يقعد فليقعد ؛ فرغبوه أن يمكث يوماً أو يومين فأبى عليهم إلا الرجوع في يومه ، فلم يكن لأهل البلد بد من فراق بلدهم والخروج عن نعمتهم فتفرقوا في البلاد ، وبقي الروم في جميع المدينة ، وملكوها كلها .

ومن أهل بياسة الأديب التاريخي أبو الحجاج يوسف بن إبراهيم البياسي ، مصنف كتاب الإعلام لحروب الإسلام ، وغيره من تصانيفه .

٥٨ - بيانة

١٠

بالأندلس من أعمال قرطبة ، وهي من مدن قبرة ، وعلى عين الطريق الذهاب إلى قرطبة ، وشرق قبرة ، بينهما عشرة أميال ، وهي على ربوة من الأرض ، طيبة التربة ، كثيرة المياه السائحة ، ولها حصن منيع ، وبها جامع بناه الإمام عبد الرحمن ومنبر ، وكانت قبل الفتنة من غرر البلدان ، وكان بها أسواق عامرة ، وحمامات ، وهي كثيرة البساتين والكروم والزيتون ، وهي على نهر مربة ، يأتيها من جهة القبلة ، وهو نهر كبير ، عليه الأرحاء الكثيرة .

١٥

ومن بيانة ، قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البياني ، مؤلف الوليد بن عبد الملك ، سمع بقرطبة من بقي بن مخلد وغيره ، وبمكة من جماعة ، وبالعراق

من أحمد بن زهير بن حرب ، وهو ابن أبي خيثمة ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ،
وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ومحمد بن يزيد المبرّد ، وتعلّب ، وغيرهم .

٥٩ - بَيْرَان

حصن من حصون الأندلس ، ومن قصيدة ابن الأبار يمدح بها السيّد أبا زيد
عند انقياد أهل بَيْرَان لابنه السيّد أبي يحيى أبي بكر سنة ٦٢٢ [بسيط] :

لله قلعَة بَيْرَان وعزّها على الأعاصِر في ماضى الأعاصِر
عَنْتَ ودانْتَ على حكمِ المنى فرَقاً من سيّدٍ قد هَوَتْ من أَرْفَع^(١) السُّورِ
وأذَعَنْتَ وهى الشّماء ذروها على حِجاج لها من قَبْلُ مذكورِ
ولو أَصْرَتْ عَلَى الإِعْرَاضِ ثَانِيَةً لَأَصْبَحَتْ بَيْنَ تَحْزِيبٍ وَتَدْمِيرِ
مَدَّتْ إِلَيْكَ أبا زيد بطاعتها يداً مخافة صَوْلٍ منك مشهورِ
وأَكَّدَتْ فى الرضى والصفح رغبها كما تَقَدَّم تأييد المقاديرِ
فَجَذَتْ جودَكَ بالنعمى بما سألت من الأمان لها طَلَقَ الأسارى

٦٠ - بَيْغُو

مدينة بالأندلس من عمل غرناطة .

كان عبد الله صاحبُ بِيَّاسَة من بنى عبد المؤمن ، وهو المعروف بالبِيَّاسَى ،
استدعى عدوّ الدين لما نزل عليه العادلُ بِيَّاسَة ، فحاصره فأقلع عنه دون شيء ، فلمّا لم

(١) ف : « أعالى »

يُحْدِثُ فِي الْمَسَامِينِ كَبِيرَ إِعَانَةٍ ، اسْتَدْعَى النَّصَارَى فَوَصَلُوا إِلَيْهِ ، فَسَلَّمُوا إِلَى الْفُنْشِ بَيَّاسَةً ، وَجَازَى أَهْلَهَا شَرَّ الْجَزَاءِ ، بَعْدَ مَا آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا وَسَارَ مَعَ الْفُنْشِ لِيَأْخُذَ مَعَاقِلَ الْإِسْلَامِ بِاسْمِهِ ، فَدَخَلَ قَبْجَاطَةَ مِنْ عَمَلِ جَيَّانَ بِالسَّيْفِ ، وَقَتَلَ الْعَدُوَّ فِيهَا خَلْقًا كَثِيرًا ، وَأَسْرَ آخَرِينَ ، وَكَانَ حَدِيثُهَا شَدِيدًا تَنْفِرُ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ وَالْقُلُوبُ ؛ ثُمَّ نَهَضَ أَيْضًا وَمَعَهُ الْعَدُوُّ إِلَى لَوْشَةٍ مِنْ عَمَلِ غَرْنَاطَةِ ، فَاسْتَعَصِمَ أَهْلُهَا بِسُورِهَا الْحَصِينَ ، وَقَاتَلُوهُ أَشَدَّ قِتَالٍ ، وَأَسْمَعُوهُ مَا هَاجَ غَيْظُهُ ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهَا سَلَّطَ عَلَيْهِمُ عَدُوَّهُمْ فِي الدِّينِ ، فَفَتَكُوا بِهِمْ أَشَدَّ الْفَتَكِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى بِيغُو هَذِهِ فَأَطَالَ مَعَ الْفُنْشِ حَصَارَهَا إِلَى أَنْ دَخَلَ الْبَلَدَ بَعْدَ شِدَّةٍ ، وَصَالَحَهُ أَهْلُ الْقَلْعَةِ ، وَمَا زَالَ أَمْرُهُ يَقْوَى إِلَى أَنْ اِحْتَوَى عَلَى قَرْطُبَةٍ وَمَالِقَةٍ وَكَثِيرٍ مِنْ مَعَاقِلِ هَاتَيْنِ الْقَاعِدَتَيْنِ وَبِلَادِهِمَا ، خَافَ مِنْهُ الْعَادِلُ بِإِشْبِيلِيَّةٍ ، وَجَمَعَ مِنْ عِنْدِهِ مِنَ الْجُنْدِ ، وَنَظَرَ فِي كَفِّهِ عَنْ جِهَتِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ ١٠ فِي سَنَةِ ٦٢٢ .

٦١ - بِيُونَةُ

مَدِينَةٌ فِي بِلَادِ الرُّومِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَهِيَ بِالقَرَبِ مِنْ مَدِينَةِ طُودَةِ (١) .

(١) تَوْفُوم : « طَنْطَلَة » .

حرف التاء

٦٢ - تَاجُهُ

نهرٌ عظيمٌ يشقُّ طليطلةَ قَصَبَةِ الأندلس في الزمان الأقدم ، يخرج من بلاد الجَلَالِقَةِ ، ويصبُّ في البحر الرومي ، وهو نهرٌ موصوف من أنهار العالم ، وعليه ، على بُعدٍ من طليطلة ، قنطرةٌ عظيمةٌ ، بَنَتْهَا ملوكُ سالفَةٍ ، وهي من البنيان الموصوف .

٦٣ - تَاكُرُنَا

مدينةٌ بالأندلس ، بمقربةٍ من إِسْتِجَّةَ ، وهي مدينةٌ أَزَلِيَّةٌ ، إليها تُنسَبُ الكُورَةُ ، وبها بِلَاطٌ من بناء الأول لم يتغيَّر .
وإقليم تَاكُرُنَا مضافٌ إلى إقليم إِسْتِجَّةَ ، ومن مُدُن تَاكُرُنَا مدينة رُنْدَةَ ، وهي قديمةٌ ، ولها آثارٌ كثيرة ، وسنذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

٦٤ - تُدْمِير

من كُور الأندلس ، سُمِّيَتْ بِاسْمِ مَلِكِهَا تُدْمِير .
ونسخةُ كتاب الصلح الذي صالَحَهُ عليه عبدُ العزيز بن موسى بن نُصَيْر :
بسم الله الرحمن الرحيم ، كتابٌ من عبدِ العزيز بن موسى بن نُصَيْرٍ لِتُدْمِيرِ
١٥ ابن عبدوش .
أنه نزل على الصلح ، وأنَّ له عَهْدَ الله وذِمَّتَهُ ، وذِمَّةَ نَبِيِّهِ (صلم) ، ألاَّ يُقَدِّمَ له

ولا لأحدٍ من أصحابه ، ولا يؤخر ، ولا ينزع من ملكه ، وأنهم لا يقتلون ولا يسبون
ولا يفرق بينهم وبين أولادهم ولا نساءهم ، ولا يُكْرَهُوا على دينهم ، ولا تحرق
كنائسهم ، ولا ينزع عن كنائسه ما يُعبد ، وذلك ما أدّى الذى اشترطنا عليه ، وأنه
صالح على سبع مدائن : أوريولة ، وبلتنة^(١) ، ولقنت ، ومولة ، وبلانة ، ولورقة ، وأله^(٢) ،
لا يأوى لنا أبقا ، ولا يأوى لنا عدوا ، ولا يخيف لنا أمنا ، ولا يكتم خبر عدو
علمه ، وأنّ عليه وعلى أصحابه دينارا كلّ سنة ، وأربعة أمداد قحج ، وأربعة أمداد
شعير ، وأربعة أقساط ملاء ، وأربعة أقساط خل^(٣) ، وقسطنى عسل ، وقسطنى زنت ،
وعلى العبد نصف ذلك ، وكتب فى رجب سنة ٩٤ من الهجرة .

٦٥ - ترجماله

١٠ مدينة بالانداس .
* كالحصن المنيع ، لها أسوار ، وأسواق عامرة ، وخيل ورجل يقطعون أعمارهم
فى الغارات على بلاد الروم ، والأغلب عليهم التلصص والخداع^(٤) .
وفى سنة ٦٣٠ نزل الروم على ترجماله فحاصروها ، فخرج إليهم محمد بن يوسف بن
هود طامعا فى انتهاز فرصة فيهم فلم يمكنه ذلك ، فرحل إلى إشبيلية وأخذ منها مراحله
إلى ترجماله ، فجاء الخبر بأخذ الروم لها ، فرجع إلى إشبيلية ؛ وكان تملك الروم لترجماله
فى ربيع الأول من هذه السنة .

(٢) م : « وانه » .

(١) م : « بلتنة » .

(٤) ارم ١٨٧ .

(٣) م و م : « خلا » .

٦٦ - تُطِيلَة

مدينة بالأندلس في جوفى وَشَقَّة ، وبين الجوف والشرق من مدينة سَرَقُسطَة ،
ويُطيف بِجَنَاتِ تُطِيلَة نَهْرُ كَالَش ، وهى مِنْ أَكْرَمِ تِلْكَ الثَّغُورِ ثُرْبَةٌ ^(١) ، يَجُودُ زَرْعُهَا ،
ويدرُ ضَرْعُهَا ، وَتُطِيبُ ثَمَرُهَا ، وَتَكْثُرُ بَرَكَتُهَا ، وَأَهْلُ تُطِيلَة لَا يَغْلُقُونَ أَبْوَابَ مَدِينَتِهِمْ
لَيْلاً وَلَا نَهَاراً ، قَدْ انْفَرَدُوا بِذَلِكَ بَيْنَ سَائِرِ الْبِلَادِ .

* ومن الغرائب المستطربة ، أَنَّهُ كَانَ بِتُطِيلَة بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ مِنَ الْمِجْرَةِ ، أَوْ عَلَى
رَأْسِهَا ، امْرَأَةٌ لَهَا لَحِيَّةٌ كَامِلَةٌ سَابِقَةٌ كَلَحَى الرِّجَالِ ، وَكَانَتْ تَتَصَرَّفُ فِي الْأَسْفَارِ ،
وَسَائِرِ مَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ النَّاسُ ، وَلَا يُؤْبَهُ لَهَا ، حَتَّى أَمْرَ قَاضِي النَّاحِيَةِ نِسْوَةً مِنَ الْقَوَائِلِ
بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا ، فَأَحْجَمْنَ عَنْ ذَلِكَ لِمَا عَايَنَتْهُ مِنْ مَنَظَرِهَا ، فَأَلْزَمَهُنَّ النَّظَرَ إِلَيْهَا ، فَإِذَا بِهَا
امْرَأَةٌ كَسَائِرِ النِّسَاءِ ؛ فَأَمَرَ الْقَاضِي بِحُلُقِ لَحِيَّتِهَا ، وَأَنْ تَتَزَيَّأَ بِزِيِّ النِّسَاءِ ، وَلَا تَسَافِرَ
إِلَّا مَعَ ذِي نَحْرٍ . وَمِنْ بَنَاتِ تُطِيلَة مَدِينَةِ طَرَسُونَةَ ^(٢) .

ومن تُطِيلَة الشاعِرُ الْمُجِيدُ التُّطِيلِيُّ الْأَعْمَى ، صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ الْمَشْهُورَةِ ، الَّتِي
أَوَّلُهَا [طَوِيل] :

أَلَا حَدَّثَانِي عَنْ قُلٍ وَفُلَانٍ لَعَلِّي أَرَى بَاقِيَّ عَلَى الْحَدَثَانِ

٦٧ - التَّوْبَةُ

١٥

جَزِيرَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ، قَدْ أَحَاطَ بِهَا خَلِيجٌ ، وَهِيَ مَأْوَى لِلصَّالِحِينَ ،
وَرِبَاطٌ لِأَخْيَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَبِهَا آبَارٌ عَذْبَةٌ ، يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا مِنْ أَصْنَافِ الْبَقُولِ مَا يَقُومُ
لِمَعَايِشِهِمْ مَعَ مَرَافِقِ الْبَحْرِ .

حرف الجيم

٦٨ - جُرْف مَوَاز

بالأندلس ، على قرطبة جبل يُقال له جَلْطَرَاء^(١) ، يُشْرِفُ على قرطبة وجميع مُنْتَزَعَاتِهَا وقصورِها ، وهو وَغْرٌ في الشَّتَاءِ ، وَمَزَلَّةٌ لَا يَسْتَمْسِكُ عَلَيْهِ قَدَمٌ ، وفيهِ يَقُولُ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ [خَفِيف] :

نَشَبْتَنِي إِخَاءَ مَنْ لَيْسَ يَرَعَى لِأَخِيهِ الْوُدُودَ حَقَّ الْإِخَاءِ^(٢)
تُشْبِهُ الْجَمْرَ وَالْهَوَاءَ مَطِيرٌ فِي جَنُوبِ الْأَجْرَافِ مِنْ جَلْطَرَاءَ

وفي هذا الجبل جُرْفٌ مُنْقَطِعٌ عَالٍ جِدًّا ، تَحْتَهُ هَوًى^(٣) ، بِعِيدٍ مُشْرِفٍ عَلَى جَمِيعِ بَسَاتِينِ رَمْلَةِ قَرْطَبَةِ ، يُعْرَفُ بِجُرْفِ مَوَازٍ ؛ وَمَوَازُ رَجُلٍ أَسْوَدٍ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، كَانَ يَأْتِي كُلَّ غَدَاةٍ ، فَيَقِفُ بِأَعْلَى هَذَا الْجُرْفِ ، فَيُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا أَهْلَ الرَّمْلَةِ ! ١٠٠
ثَلَاثًا يُسْمِعُهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ، لَجَهَارَةٍ صَوْتِهِ ، وَإِشْرَافٍ سَعَانِيهِ ، فَإِذَا تَشَوَّفُوا لَهُ كَشَفَ لَهُمْ عَنْ دُبُرِهِ ، وَيَرْكِعُ عَلَى أَرْبَعٍ ، قَابِضًا عَلَى أَصْلِ شُجَيْرَةٍ كَبِيرَةٍ هُنَاكَ ثَابِتَةٍ ، يَمْتَصِمُ بِهَا مِنَ الشَّقُوطِ ؛ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ فِعْلِهِ ، دَسَّوْا مِنْ قِطْعِ عَمْرُوقِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَ يَتَمَسَّكُ بِهَا ، وَسَوَّوْا عَلَيْهَا التَّرَابَ كَحَالَتِهَا الْأُولَى ، وَأَتَى مَوَازٌ بِالْغَدِ فَصَاحَ بِهِمْ عَلَى عَادَتِهِ ، وَصَنَعَ كَمَعْمُودٍ صَنِيعِهِ ، فَتَهَوَّرَ مِنْ أَعْلَى ذَلِكَ الْجُرْفِ ؛ فَمَا وَصَلَ إِلَى الْأَرْضِ إِلَّا ١٥
مَيِّتًا ، فَضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ [سَرِيع] :

(٢) تَوَف : « الْإِخَاءَ » .

(١) تَوَف وَم : « جَلْطَرَان » .

(٣) تَوَف : « هَوَاء » .

وَعَدْتَنِي وَغَدَاً وَقَرَّبَتْهُ تَقَرَّبَ مِنْ يُنْيَ بِأَنْجَازِ
حَتَّى إِذَا قُلْتُ انْقَضَتْ حَاجَتِي رَمَيْتَ بِي مِنْ جُرْفٍ مَوَّازِ

٦٩ - جَلِيقِيَّة

* الجَلِيقِيَّة من ولد يافت بن نوح (عليه السلام) ، وهو الأصغر من ولد نوح ،
وبلدهم جَلِيقِيَّة وهي التي تلي المغرب ، وتحرف إلى الجوف ، وكانوا حوالى مدينة براقة التي
في وسط الغرب ، وبراقة هذه أولية من بنيان الروم ، وقواعدهم ودور مملكتهم
شبيهة بماردة في إتقان بنائها وصنعة أسوارها ، وهي اليوم مهدومة الأكثر خالية ،
هدمها المسلمون وأجلّوا أهلها^(١) .

* وبلد الجَلِيقِيَّين سهل ، والغالب على أرضهم الرَّمْل ، وأكثر أقاتهم الدُّخْنُ والذَّرَّة
وَمُعَوَّلُهُمْ في الأثرية على شراب التفاح وأنيشكة^(٢) ، وهو شراب يتخذ من الدقيق ،
وأهلها أهل غدر ودناءة أخلاق ، لا ينتظفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة أو مرتين
بالماء البارد ، ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها إلى أن تنقطع عليهم ، ويزعمون أنَّ
الوضر^(٣) الذي يعلوها من عرقهم به تنعم أجسامهم ، وتصلح أبدانهم ، وثيابهم أضيق
الثياب ، وهي مفرجة تبدو من تفاريحها^(٤) أكثر أبدانهم ، وفيهم بأس شديد ، لا يرون
الفرار عند اللقاء ، بل يرون الموت دونه^(٥) .

(١) بوه من ٢٤٣ . (٢) كذا في م ، هـ في بوه ، وفي ت : « النيشكة » وس : « البيشكة » .

(٣) بوه وت وس : « الوضوء » . (٤) ت وس : « تبدو موقفاً ربحها » .

(٥) بوه من ٢٤٥ .

وتنتهي أحواز الجَلْقِيَّين في الجوف إلى البحر المحيط ، وفي القبلَة إلى أحواز مدينة طلسونة ، وقاعدتهم مدينة أقش ، وهي مبنية بالصخر المربع الكبير الخ^(١) .

٧٠ - جَنْجَالَة

حصنٌ بالأندلس في شمال مُرْسِيَّة .

فيها حُجْس أبو زيد عبد الرحمن بن موسى بن وَجَّان بن يحيى الهِشْتَانِي ،
الذي كان وزير المنصور من بني عبد المؤمن ، ثُمَّ نُهَض في زمان ابنه الناصر إلى ولاية
تِلْمَسَان وإصلاح الطُرُق من عُتَاة زَمَاتَة ؛ ولما تَمَكَّن أبو سعيد بن جامع وزير المستنصر
سعى في ولاية تِلْمَسَان لعنه السَّيِّد أبي سعيد بن المنصور ، فحبس ابن وَجَّان ، وجعل بنوه
يكتبون سَطُوراً في البراءة من أفعاله وفرَّقوها على البلاد ؛ ولما زار أبو سعيد بن جامع
الوزير غنكيت في سنة ٦١٧ بعد تأخيرهِ مِنَ الوزارة بلغه أَنَّ ابن وَجَّان شمت به وهو
في حبسه بتلمسان ، وتكلم ورجا التسريح ، فإِذَا كَانَ عِنْدَهُ خَبْرٌ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ مَنْ جاز به^(٢)
إلى الأندلس وحبسه في حِصْن جَنْجَالَة .

ولمَّا جُهِلَ إلى ذلك الثغر السحيق ، وظنُّوا إِذْ ذَاكَ أَنَّهُ قد حُصِمَ بذلك الإقصاء
والتفريق ؛ وفرَّقوا بنيه على البلاد ، قضى الله تعالى أَن مات أبو سعيد بن جامع ، وخلع
ابن وَجَّان من ذلك الحصن ، وقلَّب الدولة ، وسعى في الفتنة ، وذلك أَنَّهُ لما وصل الخبر
إلى مُرْسِيَّة بوفاة المُسْتَنْصِر يوسف بن مُحَمَّد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن
عبد المؤمن ، واستخلاف المُبَارَك عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن بمرَّاكش ،

(١) تكرار ما قيل في ترجمة « أقش » أعلاه رقم ٢٢ . (٢) ت و س و م : « خازنه » .

والأمر لابن وجّان بالسير إلى جزيرة ميورقة، قرأ قول الله تعالى: «وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ»^(١)، وطلب الاجتماع بالسيد أبي محمد عبد الله بن المنصور صاحب مُرْسِيّة يومئذٍ، فلما حضر عنده قال له: أراهم قد أخرجوا الإمامة^(٢) عن عقب سيدنا المنصور رحمة الله عليه، وأنا أشهد أنه قال: إن لم يصلح محمد فبعد الله قد نُصر عليكم، وإن طالبتموها لم يخالفكم أحدٌ مع كراهية الناس في بنى جامع الذين قد اتَّخذوا الوزارة وراثَةً، وجعلوا يُقْصُونَ من الحضرة كلَّ من هو مؤهِّلٌ لوزارةٍ واستشارةٍ، وقد وَطَّأَ الله لكم هذا الأمر بأن جعل إخوتكم الميامين أولاد المنصور بقرطبة ومالقة وغرناطة، فأول ما قدَّم فخاطبهم بذلك، وتهيبج حفاظهم في خروج الإمامة عن يديهم، وكان السيد أبو محمد هذا لم يبايع عمه عبد الواحد، وهو ناظرٌ في البيعة، فأصغى إلى ابن وجّان وعلم أنه قد تقدَّم له في هذا الأمر سابقةٌ بوزارة المنصور، وأنَّ الموحدين يصيرون إلى قوله في البرّين، فنصب نفسه للإمامة، وتلقَّب بالعدل، وخاطب إخوته فجأوبوه، ثم انتقل العدل من مُرْسِيّة إلى إشبيلية ومعه ابن وجّان، وهو غالبٌ على جميع التدبير، ناظرٌ في مخاطبات ولاية العدو، والتطلع لأخبار مرّاكش.

ثم إنَّ العدل أراد أن يستريح من ابن وجّان لتفرُّغ أتباعه إلى تدبير الآراء، والاستبداد بحضرته فإنه غمَّ الجميع، وكان ابن وجّان إذا احتوى على أمر ضمَّ أطرافه ولم يترك لأحدٍ منه شيئاً، ولذلك رماه أهل الدّول عن قوس واحدة، فرسم له العدل ركوب البحر إلى سبّنة ليكون بها نائب سلطانه، وناظرٌ في جميع برّ العدو، فركب في القطائع من نهر إشبيلية إلى سبّنة، وذلك كلّهُ في سنة ٦٢١، فاشتغل بالنظر في بلاد العدو.

ثمَّ إنَّ العادل خلَعَ ، واجتمع أهل الحلِّ والعقد وقالوا : نحبُّ ألاَّ نبيت الليلةَ إلَّا بإمامٍ ! فقال لهم ابن وِجَّان : إنَّ رأيتم أن تترَبَّصوا حتَّى تتحقَّق أخبار أبي العُلى^(١) صاحب الأندلس ، فقد ظهرت نجاته بتلك البلاد ، وقد ذاق الاستبداد ، وما أظنُّه يترك هذا الأمرَ لغيره . فعدلوا عن كلامه ، وأجمع أبو زكرياء بن الشهيد وأبو يعقوب بن عليَّ على مبايعة أبي زكرياء يحيى بن محمَّد الناصر .

- ثمَّ خاطب أبو العُلى المذكور لابن وِجَّان يدعوه إلى مبايعته ، فأجابهُ ؛ وكذلك خاطبه هِلَال بن مُقَدَّم أميرُ الخُلَطِ ، ومُعمَّر بن وقاريط شيخُ هَسْكَوْرَة في شأن مبايعة أبي العُلى ، والتضييق على أهل مرَّاكش الذين انصرفوا عن مبايعة أبي العُلى وأخذ رأي ابن وِجَّان ومشاركته في ذلك ، فأجابهما بأن : لا تزالنا تشنَّ الغارات طرفة عين ، وأن تجتهدا في قطع الطرُق حتَّى تموج الضرورة أهل مرَّاكش إلى مبايعة أبي العُلى ، وإخراج من لا ينفعهم ؛ فلما تواصلت مصائب العرب وهَسْكَوْرَة على مرَّاكش ، وصاروا لا يخرج منهم جيشٌ إلَّا هُزِمَوه وغنمَوه ، حتَّى أَفْنَوْا كثيراً من رجالها ، اجتمع أهل الرأي فيها على قتل ابن وِجَّان ، إذ كان في اعتقادهم أَنَّهُ يُغْرِى العدوَّ الظاهر بإهلاكهم ، فأطْلَعَ ابن وِجَّان وابنه الأكبر أبو محمَّد على ذلك ، فاخفى هو في غرفةٍ لبعض أتباعه في جهةٍ ربَّما يخفى عن العيون ، ووقع ابنه في دَرْبٍ مِنْ دروب هَرْغَة فاخفى في مسجد هناك ؛
- ووقع النَّهْبُ في جميع ما كان لهما ، وصار الزَّمَال والسائس والدُّخَانُ^(٢) وأمثالهم يَضَعُ كلُّ واحدٍ منهم يَدَهُ فيمن وقع له من الحرم وغير ذلك ، ولا أحدٌ ينكر ، ولا يقدر من ينكر أن يتلفَّظ بذلك ، لأنهم كانوا عند العامة مناطيين لأعدائهم ، ووقع البحثُ على

(١) م : « أبي العلى » . (٢) م : « الدخان » .

الشيخ ابن وجَّان وعلى ولده ؛ فأما الشيخ فانتفى إليه جزَّارٌ ، فصاح بصاحب له استعان به على جرّه فجَّراه ، وذبحه الجزَّارُ ، وغدا برأسه إلى أبي زيد بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد ، إذ هو ابن عمّه ، لأنَّ أبا زيد المقتول هو عبد الرحمن بن وجَّان بن يحيى الهنثائي ، وأبو زيد الواصل بالمسكر هو عبد الرحمن بن عبد الواحد بن أبي جعفر بن يحيى ، فيحيى يجمع بين أبي حفص وبين وجَّان ، وجعل الله تعالى بين هذين البيتين ما جعل بين بني هاشم وبني أمية ؛ وأما ابنه الوزير أبو محمد فمضى خبره إلى أولاد أبي زكرياء ابن الشهيد فوصلوا إليه وأخرجوه وضربوا عنقه على باب المسجد ، وكان قتلها في سنة ٦٢٥ .

٧١ - جَيَّان

١٠ * مدينة بالأندلس ، بينها وبين يتاسة سثون ميلاً ، وهي كثيرة الخصب ، رخيصة الأسعار ، كثيرة اللحوم والقسل ؛ ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية ، كلها يربى فيها دود الحرير ، وبها جنات وبساتين ومزارع وغلات القمح والشعير والبقلاء وسائر الحبوب ؛ وعلى ميل منها نهر يُلُون وهو نهر كبير عليه أرحاء كثيرة جداً ، وبها مسجد جامع وعلماء جلَّة^(١) .

١٥ وجَيَّان في سفح جبل عالٍ جداً ، وقصبتها من القصاب الموصوفة بالحصانة وهي من أغرَّ المُدُن وشريف البقاع ، وفي داخلها عيون ويتابع مطردة ، منها عين ثروة عذبة ، عليها قبو من بناء الأول ، ولها بركة كبيرة عليها كان حمام الثور ، فيه صورة

تُورٍ من رخامٍ، وحمّام الولد، وهما للسلطان، وحمّام ابن طرفة، وحمّام ابن إسحق، وتُسقى بفضلته بسائط عريضة، ومن عيونها عين البلاط، عليها قبوٌّ للأول، وماؤها لا ينقصُ في زمان من الأزمان، على هذه العين حمّام يُعرَف بحمّام حُسين، وتسقى بها أيضاً أرضٌ كثيرة، ومن عيونها عين سطورون، وماؤها غزيرٌ نقيٌّ وعليها سقٌّ كثير؛ والأرحاء الطاحنة على أبواب المنازل بجيَّان، والجَنَّات بظهور البيوت؛ وجامعُ جيَّان مُشْرِفٌ يُصْعَدُ إليه على دَرَجٍ من جميع نواحيه، وهو من خمس بلاطات على أعمدة رخام، وله صحنٌ كبيرٌ حوله سقائف^(١)، وهو من بناء الإمام عبد الرحمن بن الحَكَم على يد ميسرة عامل جيَّان.

وجبلٌ من جبال جيَّان إذا تبايع أهلها أموالهم فيه شرطوا أنَّه في مجرى السحاب، لأنَّ هذا الجبل في مكان لا يكاد يُخطئه السحاب بالرياح المختلفة، فهم يغالون فيه لهذه الخاصية.

وبِكُورَةِ جيَّان أقاليمٌ عدَّةٌ، وبها أسواقٌ كثيرة، وسوقها الجامع^(٢) يوم...^(٣)، وكورتها من أشرف الكُور، وهي أشبه الكُور بكورة البيرة في طيب بقعتها، ووفور غلتها، ورفع بذريها، وكثرة خيرها؛ وجزيرتها تفوق جزيرة البيرة طيباً. ومن أمثال العامة: «يذكرُ البلدان، ويسكنُ جيَّان!»؛ ولها أقاليمٌ كثيرة، وقرى عامرة، وعمائرٌ واسعة.

ومن جيَّان الحافظ أبو علي الجيَّاني الإمام الضابط؛ وأنشد بعض أهل جيَّان عند الخروج منها بتغلب العدو عليها [وافر]:

(١) من: «سقائف». (٢) ت وم: «الجامعة». (٣) يابض في جميع الأصول.

أودَّعُكُمْ أودَّعُكُمْ جِيَانِي^(١) وَأَثَرُ عَبْرَتِي تَثَرُ الْجُمَانِ
وَلِمَانِي لَا أُرِيدُ لَكُمْ فِرَاقًا وَلَكِنْ هَكَذَا حُكْمُ الزَّمَانِ
وقال الخطيبُ بها على المنبر عند العزم على الانفصال عنها في خطبته: «وهذه آخِرُ
خُطْبَةٍ تُقَامُ بِجِيَانٍ!»

ومن أهل جِيَانِ الأستاذُ أَبُو ذَرٍّ مُصْعَبُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودِ
الْحُسَيْنِيُّ المعروفُ بِابْنِ أَبِي رُكْبٍ، وهو القاتل بعد خروجه من جِيَانِ [طويل]:
أَجِيَانُ أَنْتِ الْمَاءُ قَدْ حِيلَ دُونَهُ وَلِمَانِي لَطْمَانٌ إِلَيْكَ وَصَادِي
ذَكَرْتُكَ إِذْ هَبَّتْ شِمَالٌ وَإِذْ بَدَأَ لَعِينِي مِنْ تِلْكَ الْمَعَالِمِ بَادِي
مَتَى مَا^(٢) أُرِدُّ سِرًّا إِلَيْكَ تَرُدُّنِي غَافَةً أَسَادٍ هُنَاكَ عَوَادِي
وكان سكن إشبيلية وولِي خُطَّةَ الْمَنَاسِكِجِ بها، ثمَّ سكن فاسًا وأقرأ بها، ثمَّ وَلِي
قَضَاءَ بَلَدِهِ جِيَانِ سنة ٥٠٩، ومن شعره [طويل]:

أَيَا تَخَلَّتِي جِيَانُ^(٣) بِاللَّهِ أَسْعِدَا غَرِيبًا بَكَى مِنْ فَقْدِ أَهْلٍ وَجِيرَانِ
يَحْنُ^(٤) إِلَى ظِلِّكُمْ وفؤادُه رَهِينٌ بِأَطْمَانٍ حَلَلَنَ بِجِيَانِ
يُؤَمِّلُ أَقْصَى الْقَرْبِ وَالشَّرْقِ هُمُهُ^(٥) وَيَذْكُرُ أَوْطَانًا تَحْنُ لِأَوْطَانِ
وما ذاك عن بُغْضٍ وَلَا عَنْ قِلَى لَهَا وَلَكِنْ عَدَّتْ^(٦) عَنْهَا تَصَارِيفَ أَزْمَانِ
عَسَى مَنْ قَضَى بِالْبَعْدِ عَنْهُمْ بِلُطْفِهِ يُسَدِّدُ مِنْ حَالِي وَيُصْلِحُ مِنْ شَانِي

(١) م: «جِيَانِي». (٢) م: «فِي تَوْفِي». (٣) ت: «فِي تَوْفِي»: «أَيَا تَخَلَّتِي يَوْمًا».

(٤) ت: «فِي تَوْفِي». (٥) ت: «فِي تَوْفِي». (٦) ت: «فِي تَوْفِي»: «عَدَّتْ».

حرف الخاء

٧٢ - الخَضْرَاءُ

- بالأندلس ، وهى الجزيرة الخضراء ، ويقال لها جزيرة أم حَكِيم^(١) ، وهى جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير كان حملها معه خلفها هذه الجزيرة فنُسِبَتْ إليها ، وعلى مرسى أم حَكِيم مدينة الجزيرة الخضراء ، وبينها وبين مدينة قلشانة أربعة وسثون ميلاً ، وهى على ربوة مُشْرِفَةٍ على البحر وسورها متصل به ، وبشرقيها خندق وبغريتها أشجارٌ تين وأنهارٌ عذبة ؛ وقَصَبَةُ المدينة موفيةٌ على الخندق وهى منيعة حصينة سورها حجارة وهى فى شرق المدينة ومتصلة بها ؛ وبالمدينة جامعٌ حسن البناء فيه خمس بلاطات وصحنٌ واسعٌ وسقائفٌ من جهة الجوف وهو فى وسط المدينة فى أعلى الربوة ، وأسوانها متصلة من الجامع إلى شاطئ البحر ؛ وعلى البحر بين القبلية والشرق من مدينة ١٠ الجزيرة مَسْجِدٌ سُمِّيَ يُعرف بمسجد الرايات ، ركزت فيه المجوسُ راياتها ، فنُسِبَ إليها ، وله بابٌ من خشبِ سُفْنِ المجوسِ ، وبها كانت دارُ صِنَاعَةِ بناها عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين للأساطيل ، وأتقن بناءها ، وعلى أسوارها ، ثم اتخذها المنتزون بها فى الفتنة قصرًا ، وبقرُب المدينة مدخلُ الوادى فى البحر ، عليه بساتينٌ كثيرة ، ومَهْبَطَةٌ من حيثُ تدخله السُّفُنُ ، ومنه شُرْبُ أهل الجزيرة ، ويسمونه وادى العسل ، ويمدُّه البحرُ ١٥ إلى قدر شطر المدينة ، وهو نحو نصف ميل ، وتُجَاهُهُ أَرْضُ مدينةِ الْجَلَنْدِي المَلِكِ صاحبِ

(١) ما على مصحح عن م ، وف ت وف تصحيف كثير .

قَرَطَاجَنَّةٌ إفريقيةٌ بقبلى مدينة الجزيرة ، وهو اليوم خربةٌ تزدرع ، وبها حائطٌ عريضٌ
مبنى بالحجارة داخل البحر ، ومن هذا الحائط كانت تُشحنُ المراكبُ ، وبني عليه
محمد بن بلال^(١) بُرجاً .

ومدينة الجزيرة طيبة رفيقة بأهلها جامعة لفائدة البر والبحر قريبة المنافع من كل
وجهٍ لأنها وَسْطَى مَدُنِ الساحل وأقربُ مَدُنِ الأندلس مجازاً إلى المدوة . ومنها تغلب
ملوكُ الأندلس على ما تغلبوا عليه من بلاد إفريقية ؛ وبها ثلاث سحّامات ، ولها
كُوْرٌ كثيرة ، وكانت جبايتها ثمانى عشر ألفاً وتسعمائة .

وأهل الجزيرة هذه هم الذين أبوا أن يضيّقوا موسى والخضر (عليهما السلام) ،
وبها أقام الخضر الجدارَ وخرق السفينة ، والجلندى هو الذى كان يأخذ كل سفينة
غصباً ، حكى ذلك عن وكيع بن الجراح .

ومرسى الجزيرة مشقّى مأمونٌ ، وهو أيسرُ المراسى للجواز ، وأقربها من برّ
المدوة ، ويحاذيه مرسى مدينة سبّنة ، ويُقطع البحرُ بينهما فى ثلاث مجاري ، ويتلوه
جبل طارق .

* وللخضراء هذه سورٌ حجارةٍ مفرّغٌ بالجيار ، ولها ثلاثة أبواب ، وبها دارٌ
صناعيةٌ داخل المدينة ؛ وعلى نهرها المسمى نهر العسل بساتين وجنات بصفّتيه معاً ،
وبالجزيرة الخضراء إنشاءٌ وإقلاعٌ وحطٌّ ، وأمام المدينة الجزيرة المعروفة بأمر حكيم
المتقدمة الذكر ؛ والجزيرة الخضراء أولُ مدينةٍ افتتحت من الأندلس فى صدر الإسلام

سنة ٩٠ من الهجرة على يد موسى بن نصير من قبَل المروانيين ، ومعه طارق بن عبد الله ابن ونمو الزناتى في قبائل البربر .

وعلى باب البحر مسجدٌ يسمّى مسجد الرايات يقال إن هناك اجتمعت رايات القوم للرأى . وكان وصولهم أيضاً من جبل طارق ، وإنما سُمّي بجبل طارق لأن طارق ابن عبد الله لما جاز بالبربر الذين معه تحصّن بهذا الجبل . وقدّر أن العرب لا ينزلونه ^(١) . فأراد أن ينفي عن نفسه التهمة ، فأمر بإحراق المراكب التي جاز بها فتبرأ بذلك مما اتهم به . وبين هذا الجبل والجزيرة الخضراء ستة أميال ، وهو جبل منقطع مستدير ، في أسفله كهوف فيها ماء ^(٢) .

ولها من الأبواب الباب الكبير ، يُعرف بباب حمزة غربي ، وباب الخوخة قبلي ، وباب طرفة جوفى ؛ ولها ثلاث حمامات . وتقلّب المجوس عليها في سنة ٢٤٥ ، ١٠ وأحرقت المسجد الجامع بها ؛ وفي الشرق من مدينة الجزيرة مسجدٌ يقال إنه من بناء صاحب من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ويقال إنه أول مسجد بُنى بالأندلس ، ويُعرف الموضع الذي هو فيه بقرطاجنة ، فإذا انحط أهل الجزيرة استسقوا فيها فسقوا بفضل الله تعالى ورحمته .

والجزيرة في شرق شذونة ، وقبلى قرطبة ، ولها أقاليم عدّة .

(١) توفى : « تنق به » . (٢) ارم ١٧٦ — ١٧٧ .

عرف الدال

٧٣ - دَانِيَة

مدينةٌ بشرقِ الأندلس .

* على البحرِ عامرةٌ حسنةٌ ، لها رَبَضٌ عامرٌ ، وعليها سورٌ حصينٌ ، وسورُها من ناحيةِ المشرقِ في داخلِ البحرِ قد بُنيَ بهندسةٌ وحكمةٌ ؛ ولها قَصَبَةٌ منيعةٌ جدًا ، وهي على عمارةٍ متصلةٍ ، وشجرتينِ كثيرتينِ ، وكرومٌ ؛ والسُّفُنُ واردةٌ عليها ، صادرةٌ عنها ، ومنها كان يخرجُ الأسطُولُ إلى الفزو ، وبها يُنشَأُ أكثرُهُ لأنَّها دارُ إنشاءٍ ؛ وفي الجنوبِ منها جبلٌ عظيمٌ مستديرٌ ، تظهر من أعلاه جبالٌ يابسةٌ في البحرِ^(١) .

ومن دانية أبو عمرو الدانيُّ المرقِيُّ المعروفُ بابنِ الصَّيرَفِيِّ ، له تواليفٌ في القراءاتِ ، سمعَ بالأندلسِ من محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِينَ ، ووصل إلى المشرقِ ، فسمع من جماعةٍ ، توفي بدانية سنة ٤٤٤ .

٧٤ - دَرُوقَة

مدينةٌ بالأندلسِ من عَمَلِ قَلْعَةِ أَيُّوبَ ، عظيمةٌ في سفحِ جبلٍ ، وعلى مقربةٍ منها كنيسةٌ أَبْرُونِيَّةٌ^(٢) ، لها ثلاثمائة باب وسُتُونُ بابٍ ، وهي إحدى عجائبِ البنيات .

* وقيل بينَ دروقة وبين قلعة أيُّوب ثمانية عشر ميلًا ، وهي مدينةٌ صغيرةٌ مختصرة ،

(٢) توفى «أبدونية» .

(١) ارمس ١٩٢ .

كثيرة العامر كثيرة البساتين والكروم ، وكلُّ شيء بها كثير رخيص ، وبينها
وبين سرقسطة خمسون ميلاً^(١) .

٧٥ - دلالة

قرية بالأندلس من عمل المرية .

(١) اوس ٢٨٩ .

حرف الراء

٧٦ - رُصَافَةٌ

... ورُصَافَةٌ أُخْرَى بِقَرْطَبَةِ فِي الْجَهَةِ الْجَوْفِيَّةِ مِنْهَا ، وَرُصَافَةٌ أُخْرَى يِلْنَسِيَّةِ
يَنْهَا وَيْنَنَ الْبَحْرِ ، وَأُظْهِرْتُ مِنْهَا الرُّصَافِيَّ الشَّاعِرَ ، مَادِحَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ .

٧٧ - الرِّقِيمُ

... وَفِي الْأَنْدَلُسِ فِي جَهَةِ إِغْرَنَاطَةِ ، بِقَرْبِ قَرْيَةٍ تُسَمَّى لَوْشَةَ ، كَهْفٌ فِيهِ مَوْتَى ،
وَمَعَهُمْ كَلْبٌ رَمَةٌ ، وَأَكْثَرُهُمْ قَدْ انْجَرَدَ لَحْمُهُ ، وَبَعْضُهُمْ مَتَمَّاسِكٌ ، وَقَدْ مَضَتْ الْقُرُونُ
السَّالِفَةُ وَلَمْ نَجِدْ مَنْ عِلِمَ شَأْنَهُمْ ، وَيَزْعَمُ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكَهْفِ ، قَالَ : وَدَخَلْتُ
إِلَيْهِمْ وَرَأَيْتُهُمْ سَنَةَ ٥٠٤ هـ وَهِيَ بِهَذِهِ الْحَالَةِ ، وَعَلَيْهِمْ مَسْجِدٌ ، وَقَرِيبًا مِنْهُمْ بَنَاءٌ رُومِيٌّ يُسَمَّى
الرِّقِيمَ ، كَأَنَّهُ قَصْرٌ مُخَلَّقٌ ، وَقَدْ بَقِيَ بَعْضُ جِدْرَانِهِ ، وَهُوَ فِي فَلَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ خَرِبَةٍ ،
وَبِأَعْلَى حَضْرَةِ إِغْرَنَاطَةِ بِمَآئِلِ الْقَبْلَةِ آثَارُ مَدِينَةٍ رُومِيَّةٍ يُقَالُ لَهَا مَدِينَةُ دَقْيُوسَ ، وَجَدْنَا
فِي آثَارِهَا غُرَائِبَ وَقُبُورًا .

٧٨ - رِكْلَةٌ

مَدِينَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ ، بِقَرْبِ سَرَقُشْطَةَ وَقَلْعَةِ أَيُّوبَ ، عَالِيَةِ الْبَنْيَانِ ، عَلَى وَادِي
شَلُونِ ، وَبَسَاتِينُهَا تُسَقَّى مِنْهُ ، وَنَزَلَ بِمَدِينَةِ رِكْلَةٍ فِي أَيَّامِ بَنِي هُودَ بَرْدٌ عَظِيمٌ ، حَطَمَ

أغصان شجر الكمثرى حتى تركها جذوعاً دون أغصان ، وُجِدَ في زِنَةِ واحد منها في اليوم الثاني من نزوله ثلاثة أرتال بالبغدادي . فسبحان مَنْ له القدرة الباهرة !

٧٩ - رُنْدَة

بالأندلس من مُدُن تَاكُرُنَّا ، وهي مدينة قديمة ، بها آثار كثيرة ، وهي على نهر ينسب إليها ، واجْتَلِب الماء إليها من قريةٍ بشرقيها ومن جبَلٍ طلوعه بغربيها ، فيوافي الماء داخلها من شرقيها وغربيها ، ويتوارى نهرها في غار فلا ترى جريته أميالا ، ثمَّ يظهر حتى يَقَعَ في نهر لَكُه .

وبقرب مدينة رُنْدَة عَيْنٌ تُعرَف بالبراوة ، وتجرى من أوَّل الربيع إلى آخر الصيف ، فاذا دخل الخريف نضب ماؤها فلا يفيض بقطرةٍ إلى أوَّل الربيع من عامٍ ثانٍ .

١٠

٨٠ - ربيعة

مدينةٌ بالأندلس تُعرَف بمدينة بَنِي راشد ، بها أنشَامٌ قَادِيَةٌ ، يأوى إليها عقبان كثيرة فلا تؤذيهم في شيء من دجاجهم ، وهي تأتي على ما في سائر القرى المجاورة لها ، وإذا حَصَرَها الثلجُ هناك ومنعها من التصرف صَرَصَت من الجوع ، وأزْمَقَت بأصواتها ، فيلقى لها أهل ربيعة من فضول ما عندهم ، فتأكل وتسكت .

١٥

٨١ - رِيه

كورةٌ من كُور الأندلس ، في قبلى قرطبة ، نزلها جُنْدُ الأَرْدُن من العرب ، وهي كثيرةُ الخيرات .

صرف الزاى

٨٢ - الزاهرة

مدينة متصلة بقرطبة من البلاد الأندلسية ، بناها المنصور بن أبى عامر لما استولى على دولة خليفته هشام .

- ٥ قال ابن حيان : كان الخليفة الحكم وقف من الأثر على البقعة التى بُنيت فيها الزاهرة ، وكانت ملوك المروانية قبله تتخوف ذلك ، وكان اهتم بشأنها الحكم ، فنظر فيها وقاس على جهاتها البقعة المدعوة بالثش (بفتح اللام) ، وهى بقرية مدينة الزهراء ، ووجد انتقال الملك إليها ، فأمر حاجبه أبا أحمد المصحفى بالسبق إلى بنائها ، طمعا فى مزينة سعدها ، وألا يخرج الأمر من يد ولده ، فأنفق عليها مالا عظيما ؛ فن الغرائب أن محمد بن أبى عامر تولى له شأنها ولا يعلم يومئذ به ، ثم وقع إلى الحكم أن البقعة بنير
- ١٠ ذلك الموضع ، وأنها بشرق مدينة قرطبة ، فأنفذ رسوله بالوقوف عليها ، فأتته إلى منزل ابن بدر المسى الثش (مضمومة اللام) ؛ وأصاب هناك عجوزا مسنة وقفته على حد الارتياح وقالت له : سمعنا قديما أن مدينة تُبنى هنا ، ويكون على هذه البئر نزول ملكها ، فكم سعى أمير المؤمنين بالسؤال عنها ، وأمر الله واقع لا محالة ! فعاد الرسول بالجلية ، فلم تطل المدة حتى بناها محمد بن أبى عامر ، وبني بأرجاء تلك البئر قراره .
- ١٥ قال الفتح بن خاقان^(١) : لما استفحل أمره ، واتقد جرمه ، وجل شأنه ، وظهر

(١) ما جاء بعده إلى آخر الترجمة نقله المقرئ عن المطبع فى نفع الطب (ج ١ ص ٣٨١ - ٣٨٣) ، وليس موجود فى نسخ المطبع المطبوعة بالقسطنطينية والمطبوعة بمصر .

استبداده ، وكثر حُسادُه ؛ وخاف على نفسه من الدخول إلى قصر السلطان ، وخشى أن يقع بِطالبه في أَشْطان ؛ فتوثق لنفسه ، وَكَشِفَ لَهُ ما سَتَرَعنه في أَمْسِه ؛ من الاعتزاز^(١) عليه ، ورفض^(٢) الاستناد إليه ؛ وسما إلى ما سَمَتْ إليه الملوك من اختراع قصرٍ ينزل فيه ، ويحلُّه بأهله وذَوِيه ؛ ويضمُّ إليه رياسته ، ويتمُّ به تدييره وسياسته ؛ ويجمع فيه فتِيانَه ، وغلماَنَه ؛ ويحشر إليه صنائعه^(٣) . فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزَّاهِرَة ، الموصوفة بالمشيدات الباهرَة^(٤) ؛ وأقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الأعظم ، ونسق فيها كلَّ اقتدار مُعْجِزٍ ونظم^(٥) ؛ وشرَعَ في بنائها سنة ٣٦٨ ، فحشر إليها الصَّنَاعَ والفَعْلَة ، وأبرزها بالذهب واللازورد مُتَوَجِّعَةً مُتَعَلَّةً^(٦) ؛ وجلبَ نحوها الآلات الجليَّة ، وسر بلها بهاء يردُّ العيون كليَّةً ؛ وتوسَّع في اختطاطها ، وتولَّع بانتشارها في البسيطة وانبساطها^(٧) ؛ وبالغ في رفع أسوارها ، وثابَرَ على تسوية أنجادها وأغوارها ؛ فاتَّسَّعت هذه المدينة في ١٠ المدَّة القريبه ، وصارَ بناؤها من الأبنية الغريبه ؛ وبُنِيَ مُعْظَمُها في عامَين . وفي سنة ٣٧٠ انتقل المنصور إليها ونزلها بِخاصَّته وعامَّته ، فتبوَّأها وشَحَنها بِجميع أسلِحَتِه ، وأمواله وأُمُتَّعَتِه^(٨) ؛ واتَّخذ فيها الدواوين للعمال ، ترتفع فيها ضروب الأعمال^(٩) ؛ والاصطبلات لأنواع الكراع وعمل داخلها الأَهْرَاء ، وأطلق بساحتها الأرحاء ؛ ثمَّ أقطع وزراءه وَكُتَّابَه ، وقُودَّاه وَحُجَّابَه ؛ القطائع الواسعة فابتنوا بأَكنافها كبار الدُور ، وجليلات ١٥ القصور ؛ واتَّخذوا خلالها المستغلات المُفِيدَه ، والنَّازِرَة المَشِيدَه ؛ فاتَّسَّعت هذه المدينة

(١) ف : « الاعتزاز » . (٢) موه : « رفع » . (٣) هـ في موه .

(٤) موه : « القصور » . (٥) هـ في ف . (٦) هـ في موه . (٧) هـ في موه .

(٨) هـ في ف ، وإنما : « وأوتق أبوابها وأهَّن مَسانِها » . (٩) موه : « بالدواوين والأعمال » .

في المدة القريبة^(١) وقامت فيها الأسواق ، وكثرت فيها الأرزاق ؛ وتنافس الناس في النزول بأكنافها ، والحلول بأطرافها ؛ للدنو من صاحب الدولة ، وتناهي الغلو في البناء حولة^(٢) ؛ حتى اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة ، وكان الفراغ منها في سنة ٣٧٠ .

وفي هذه السنة نزل فيها بخاصته ، وعامته ؛ وخلع الخليفة إلّا من الاسم الخلافي ، وصيّر ذلك هو الرسم العافي^(٣) [؛ ورتّب فيها جلوس وزرائه ، ورؤوس أمرائه ؛ وكتب إلى الأقطار بالأندلس والعدوة في أن تُحمّل إلى مدينته تلك الأموال والجبايات^(٤) ، ويقصدها أصحاب الولايات ؛ فشد إليها الناس من جميع الأقطار ، وحجّر على خليفته كل تدبير ؛ واتفق له ذلك بسرعة بطشه ، وأقام الخليفة منذ نقل عنه الملك إلى قصر الزاهرة مهجور الفنا ، محجور الغنا ؛ خفيّ الذكر ، مسدود الباب ، محجوب الشخص ، لا يُخاف منه بأس ولا يُرجى منه إنعام ، وليس له إلّا الرسم السلطاني في السكة والدعوة والاسم الخلافي ، وأزال أطماع الناس منه ، وصيّرهم لا يعرفونه ، واشتدّ ملكه منذ نزل قصر الزاهرة ؛ وتوسّع مع الأيام في تشييد أبنيتها ، وتيجيد أفنيتها ؛ حتى كملت أحسن كمال ، وجاءت في نهاية الحسن والجمال ؛ وما زالت هذه المدينة رائقة متناسقة السمود ، تراوحها الفتوح وتغادياها ، لا توجه منها راية إلّا إلى فتح ، ولا يصدر عنها تدبير إلّا بنجح ؛ إلى أن حان يومها العصيب ، وقبض لها من المكروه أوفر نصيب ؛ فتولّت فقيده ، وختّت من بهجتها كل عقيده .

(١) مد في موه . (٢) مد في ف . (٣) مد في ف .

(٤) موه : « أموال الجبايات » .

٨٣ — الزقاق

بحر الزقاق وهو الداخل من البحر المحيط ، والذي عليه سبّته ، والذي يضيق من المشرق إلى المغرب حتى يكون عرضه ثمانية عشر ميلاً^(١) ، وهو بساحل الأندلس الغربي يمكن يقال له الخضرَاء ، ما بين طنجة من أرض المغرب وبين الأندلس ، ثم يتسع الزقاق كلما امتدَّ حتى يصير إلى ما لا ذرع له ولا نهاية ، وهو مخرجُ بحر الروم المتصاعد إلى الشام ، وسنذكر ذلك إن شاء الله عند ذكر سبّته .

وفي بعض الأخبار أنه قبل افتتاح المسلمين البلاد المصريّة بمائة سنة ، طغى ماء البحر وزاد ، فأغرق القنطرة التي كانت بين بلاد الأندلس وبين ساحل طنجة من أرض المغرب ، وكانت قنطرة عظيمة لا يعلم لها في المعمور نظير ؛ يقال إنها من بناء ذى القرنين مبنية بالحجارة ، يمرُّ عليها الإبل والدواب من ساحل المغرب إلى الأندلس ، وكان طولها ١٠ اثنى عشر ميلاً ، في عرض واسع وسموٍ كبير ؛ ورُبَّما بدت هذه القنطرة لأهل المراكب تحت الماء فمرفوها ، والناس يقولون : لا بُدَّ من ظهورها قبل فناء الدنيا .

٨٤ — الزلاقة

بطحَاء الزلاقة من إقليم بَطْلَيْوُس من غرب الأندلس ، فيها كانت الواقعة الشهيرة للمسلمين على الطاغية عظيم الجلالة إِذْ فَوْش بن فَرْذَلَنْد عهيد المتمدِّ محمد بن عبَّاد ، وكان ذلك في الثاني عشر^(٢) من رجب سنة ٤٧٩ هـ^(٣) .

(١) م : « ثلاثة أميال » (٢) في جميع النسخ : « اللفي عشرين »

(٣) ما يأتي بعده نقله المقرئ عن الروض المطار باللفظ ماعدا التعليل (راجع نفع الطبع ج ٢ ص ٢٧٦ —

٢٨٦) ؛ ونقله بعده أحد بن خالد الناصري السلاوي في تاريخه المسي بكتاب « الاستقصاء » . (ط مصر ج ١ ص ١١١ — ١١٨) .

وكان السببُ في ذلك فساد الصلح المنعقد بين الطاغية وبين المعتمد ؛ فإنَّ المعتمد اشتغل عن أداء الضريبة في الوقت الذي صارتْ عادته يؤدِّيها فيه ، بغزو ابن صُمّاح صاحب المريّة ، واستنفاده ما في يديه بسبب ذلك ، فتأخَّر لأجل ذلك أداء الإتاوة عن وقتها ، فاستشاط الطاغية غضباً ، وتشطّط فطلب بعض الحصون زيادةً على الضريبة ، وأمن في التجنّي ، فسأل في دخول امرأته القُمطيّجة إلى جامع قرطبة لتلد فيه من حملٍ كان بها ، حيث أشار إليه بذلك القسّيسون والأساقفة ، لمكان كنيسة كانت في الجانب الغربيّ منه ، مُعظّمة عندهم ، عمل المسلمون عليها الجامع الأعظم ؛ وسأل أن تنزل امرأته المذكورة بمدينة الزهراء غربيّ مدينة قرطبة ، تنزل بها فتختلف منها إلى الجامع المذكور ، حتّى تكون تلك الولادة بين طيب نسيم الزهراء ، وفضيلة ذلك الموضع الموصوف من الجامع ، وزعم أنّ الأطباء ، أشاروا عليه بالولادة في الزهراء ، كما أشار عليه القسّيسون بالجامع ، وسفر بذلك بينهما يهوديّ ، وكان وزيراً لابن فرّذند ، فتكلّم بين يديّ المعتمد ببعض ما جاء به من عند صاحبه ، فأياسه ابن عبّاد من جميع ذلك ، فأغلظ له اليهوديّ في القول ، وشافه بما لم يحتمله ، فأخذ ابن عبّاد مغبرةً كانت بين يديه ، فأنزلهما على رأس اليهوديّ ، فألقى دماغه في حلقه ، وأمر به فصُلِب منكوساً بقرطبة . ١٥

واستفتى ابن عبّاد الفقهاء لما سكّت عنه الغضب ، عن حكم ما فعله باليهوديّ ، فبادّره الفقيه محمّد بن الطلاع بالرخصة في ذلك ، لتعدّي الرسول حدود الرسالة إلى ما يستوجب له القتل ، إذ ليس له أن يفعل ما فعل ؛ وقال للفقهاء حين خرجوا : إنّما بادّرتُ بالفتوى خوفاً أن يكسل الرجلُ عمّا عزم عليه من منابذة العدو ، وعسى الله أن يجعل في عزيمته للمسلمين فرجاً ٢٠

وبلغ الفُئش ما صنع ابن عبّاد ، فأقسم بِالْهَيْتَةِ لِيُغْزَوْنَهُ بِإِسْبِيلِيَّةِ ، ويحصره في قصره ؛ فخرّد جيشين جعل على أحدهما كَلْبًا من مَسَاعِيرِ كَلَابِهِ وأمره أن يسير على كورة بَاجَةٍ من غَرْبِ الأندلس ، ويغير على تلك التخوم والجهات ، ثمَّ يمرَّ على لَبْلَةٍ إلى إسبيلية ، وجعل مواعده إِيَّاه طَرِيَانَةً للاجتماع معه ؛ ثمَّ زحف ابن فرذلند بنفسه في جيش آخر عرَمَرَمَ ، فسلك طريقًا غير طريق صاحبه ، وَكَلَّاهَا عَاتٍ في بلاد المسلمين وخرَّب هودمر ، حتى اجتمعا لموعدهما بصفّة النهر الأعظم ، قبالَةَ قَصْرِ ابن عبّاد ، وفي أَيَّامِ مُقَامِهِ هناك كتب إلى ابن عبّاد زاريًا عليه : « كَثُرَ بطول مقامي في مجلسي الذبَابُ ، واشتدَّ عَلَيَّ الْحَرُّ ، فَأَلْقَيْتُ من قَصْرِكَ بِمِرْوَحَةٍ أَرْوَحُ بها على نفسي ، وأطردُ بها الذبابَ عَنِّي ! » فَوَقَّعَ له ابن عبّاد بخطِّ يده في ظهر الرقعة : « قرأتُ كتابك ، وفهمتُ خيلاءك وإعجابك ، وسأُنظرُ لك في مَرَاوِحٍ من الجلود اللَّمَّطِيَّةِ ، في أيدي الجيوش المَرَابِطِيَّةِ ، تروِّحُ منك ، لا تروِّحُ عليك ، إِنْ شاء الله ! » فلما تُرْجِمَ لابن فرذلند تَوَقَّعَ ابن عبّاد في الجواب ، أَطْرَقَ إِطْرَاقًا من لم يخطر له ذلك بيال .

وفشا في بلاد الأندلس خَبَرُ تَوَقَّعِ ابن عبّاد ، وما أظهر من العزيمة على إجازة الصَّخْرَاوِيِّين والاستظهار بهم على ابن فرذلند ، فاستبشر الناس ، وَفُتِحَتْ لهم أبواب الآمال ، وانفرد ابن عبّاد بتدبير ما عزم عليه من مداخلة يوسف بن تَاشُفِين ، ورَأَتْ ١٥ ملوكُ الطوائِفِ بالأندلس ما عزم عليه من ذلك ، فمنهم من كتب إليه ، ومنهم من شافَهه . كلُّهم يُحَذِّرُهُ سوءَ عَاقِبَةِ ذلك ، وقالوا له : الْمُلْكُ عَقِيمٌ ، وَالسِّيفَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ في غِمْدٍ واحدٍ ! فأجابهم ابن عبّاد بكلمته السائرة مَثَلًا : رَعَى الْجَمَالَ خَيْرٌ من رَعَى الْخَنَازِيرَ ! أَيْ أَنَّ كَوْنَهُ مَا كَوَلَا لابن تَاشُفِين أَسِيرًا يَرعى جِماله في الصَّخْرَاءِ ، خَيْرٌ من كونه مُمَزَّقًا لابن فرذلند ، أَسِيرًا يَرعى خَنَازِيرَهُ في قَشَّالَةٍ ؛ وكان

مشهوراً برزاة الاعتقاد . وقال لعدّاله ولوّامه : يا قوم أنا من أمرى على حالتين ، حالة يقين وحالة شكّ ، ولا بدّ لي من إحداها ؛ أمّا حالة الشكّ فإنّي إن استندتُ إلى ابن تاشفين أو إلى ابن فرّذلند في الممكن أن يقبّلني ويؤثّقني عليّ ، ويمكن ألا يفعلوا ؛ فهذه حالة الشكّ . وأمّا حالة اليقين ، فهي أنّي إن استندتُ إلى ابن تاشفين فأنا أرضى الله ، وإن استندتُ إلى ابن فرّذلند أسخطتُ الله ، فإذا كانت حالة الشكّ فيها عارضةً فلا شيء أدع ما يرضى الله وآتى ما يسخطه ! وحينئذ أقصر أصحابه عن لومه .

فما عزم خاطب جاريه المتوكّل عمر بن محمّد صاحب بطلينوس ، وعبد الله بن حبّوس ابن ماكسن الصنهاجيّ صاحب إغرناطة ، يأمرُهما أن يبعثا إليه كلّ واحدٍ منهما قاضى حضرته ، ففعلوا ؛ ثمّ استحضر قاضى الجماعة بقرطبة أبا بكر عبيد الله بن أدهم ، وكان أعقل أهل زمانه ؛ فلما اجتمع القضاة عنده بإشبيلية ، أضاف إليهم وزيره أبا بكر ابن زيدون ، وعرفهم أربعتهم أنّهم رُسله إلى يوسف بن تاشفين ، وأسند إلى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف ، وترغيبه في الجهاد ؛ وأسند إلى ابن زيدون ما لا بدّ منه في تلك السفارة ، من إبرام العقود السلطانية . وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تقد عليه وفود ثغور الأندلس ، مستعطفين ، مجهشين بالكاء ، ناشدين الله والإسلام ، مستنجدين بفقهائ حضرته ، ووزراء دولته ، فيستمع إليهم ، ويصنّى لقولهم ، وترقّ نفسه لهم ؛ فما عبرت رُسل ابن عبّاد البحر إلّا ورُسل يوسف بالمرصاد ؛ وقد آذن صاحب سبّنة بقصده الغزو ، وتشوّهة إلى نصره أهل الإسلام بالأندلس ، وسأله أن يحلّي الجيوش تجوز في المجاز ؛ فتعذّر عليه ، فشكاه يوسف إلى الفقهاء ، فأفتوا أجمعين بما لا يسرّ صاحب سبّنة . ولما انتهت الرُسل إلى ابن تاشفين أقبل عليهم ، وأكرم مثواهم ، وجدّدوا الفتوى

في حقّ صاحب سبّته ، واتصل ذلك بابن عبّاد ، فوجّه من إشبيلية أسطولاّ نحو صاحب سبّته ، فانتظمت في سلك يوسف ، ثمّ جرّت بينه وبين الرُّسل مراوضات ، ثمّ انصرفت إلى مُرسلِها .

ثمّ عبر يوسفُ البحر عبوراّ هنيئًا ، حتى أتى الجزيرة الخضراء ، ففتحوا له ، وخرج إليه أهلها بما عندهم من الأقوات والضيافات ، وجعلوا سباطًا أقاموا فيه سوقًا ، جابوا عليه من عندهم من سائر المرافق ، وأذنوا للغزاة في دخول البلد ، والتصرّف فيها ، فامتلات المساجد والرحبات بضعفاء المطوّعين وتواصوا بهم خيرًا .

فلما عبر يوسف وجميع الجيوش ، انزعج إلى إشبيلية على أحسن الهيئات ، جيشًا بعد جيش ، وأميرًا بعد أمير ، وقبيلًا بعد قبيل ؛ وبعث المتمدّد ابنه إلى لقاء يوسف ، وأمر مُحمّار البلاد بجلب الأقوات والضيافات ، ورأى يوسف من ذلك ما سرّه ونشّطه ، ١٠ وتوارّدت الجيوش مع أمرائها في إشبيلية ، وخرج المتمدّد إلى لقاء يوسف من إشبيلية في مائة فارسٍ ووجوه أصحابه ، فأتى محلّة يوسف فركض نحو القوم وركضوا نحوه ، فبرز إليه يوسف وحده ، والتقيًا منفردين ، وتصافحًا وتعانقًا ، وأظهر كل واحدٍ منهما المودّة والخلوص ، فشكرا نعم الله ، وتواصيا بالصبر والرحمة ، وبشرا نفسيهما بما استقبلاه من غزو أهل الكفر ، وتضرّعا إلى الله تعالى في أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه ، مقرّبًا ١٥ إليه وافتراقًا ؛ فعاد يوسف لمحلّته ، ورجع ابن عبّاد إلى جهته ، ولحق بابن عبّاد ما كان أعدّه من هدايا وتُخفٍ وألطافٍ ، أوسع بها محلّة ابن تاشفين . وباتوا تلك الليلة . فلما صلّوا الصبح ركب الجميع ؛ وأشار ابن عبّاد على يوسف بالتقدّم إلى إشبيلية ، ففعل ، ورأى الناس من عزّة سلطانه ما سرّهم ؛ ولم يبق من ملوك الطوائف بالأندلس إلّا من

بَادَرَ وَأَعَانَ وَخَرَجَ وَأَخْرَجَ ؛ وَكَذَلِكَ فَعَلَ الصَّخْرَاوِيُّونَ مَعَ يَوْسُفَ بِكَلِّ صَقِيعٍ مِنْ أَصْقَاعِهِ ، رَابَطُوا وَصَابَرُوا .

وَلَمَّا تَحَقَّقَ ابْنُ فَرْدِزْلَنْدَ جَوَازَ يَوْسُفَ ، اسْتَنْفَرَ جَمِيعَ أَهْلِ بِلَادِهِ وَمَا يَلِيهَا ، وَمَا وَرَاءَهَا ، وَرَفَعَ الْقَيْسِيَّيُونَ وَالرُّهْبَانُ وَالْأَسَاقِفَةُ صُلْبَانَهُمْ ، وَنَشَرُوا أُنَاجِيلَهُمْ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْجَلَالَةِ وَالْإِفْرَنْجَةِ وَمَا يَلِيهِمْ مَا لَا يُحْصَى عَدَدُهُ ؛ وَجَعَلَ يَصْنِي عَلَى أَنْبَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَتَغِيظًا عَلَى ابْنِ عَبَّادٍ جَافِيًا ذَلِكَ عَلَيْهِ ، مَتَوَعِّدًا لَهُ . وَجَوَاسِمِيسُ كُلِّ فَرِيقٍ مَرْتَدِّدُونَ بَيْنَ الْجَمِيعِ ، وَبَعَثَ ابْنُ فَرْدِزْلَنْدَ إِلَى ابْنِ عَبَّادٍ : إِنَّ صَاحِبَكُمْ يَوْسُفَ قَدِ تَنَعَّى مِنْ بِلَادِهِ ، وَخَاضَ الْبُحُورَ ، وَأَنَا أَكْفِيهِ الْعَنَاءَ فِيمَا بَقِيَ ، وَلَا أَكْلَفُكُمْ تَعَبًا ، أَمْضِي إِلَيْكُمْ ، وَأَلْقَاكُمْ فِي بِلَادِكُمْ ، رَفَقًا بِكُمْ ، وَتَوْفِيرًا عَلَيْكُمْ . وَقَالَ لِأَهْلِ وَدَّهِ وَوُزْرَائِهِ : إِنِّي رَأَيْتُ إِنْ أَمَكَنْتُهُمْ مِنْ الدُّخُولِ إِلَى بِلَادِي ، فَجَازُونِي بَيْنَ جَدْرَيْهَا ، وَرَبَّمَا كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيَّ ، فَيَكْتَسِحُونَ الْبِلَادَ ، وَيَحْصِدُونَ مَنْ فِيهَا فِي غَدَاةٍ ؛ لَكِنْ أَجْعَلُ يَوْمَهُمْ مَعِيَ فِي حُوزِ بِلَادِهِمْ ، فَإِنْ كَانَتْ عَلَيَّ أَكْتَفَوْا بِمَا نَالُوهُ ، وَلَمْ يَجْعَلُوا الدُّرُوبَ وَرَاءَهُمْ إِلَّا بَعْدَ أَهْبَةِ أُخْرَى ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ صَوْتُ لِبِلَادِي ، وَجَبْرٌ لِمَكَاسِرِي ؛ وَإِنْ كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيْهِمْ كَانَتْ مَعِي فِيهِمْ وَفِي بِلَادِهِمْ مَا خِفْتُ أَنَا أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ فِيَّ وَفِي بِلَادِي إِذَا نَاجَزُونِي فِي وَسْطِهَا !

ثُمَّ بَرَزَ بِالْمُخْتَارِ مِنْ أَنْجَادِ جُمُوعِهِ عَلَى بَابِ دَرْبِهِ ، وَتَرَكَ بَقِيَّةَ جُمُوعِهِ خَلْفَهُ ، وَقَالَ حِينَ نَظَرَ إِلَى مَا اخْتَارَهُ مِنْ جُمُوعِهِ : هَؤُلَاءِ أَغَاتِلُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَمَلَائِكَةَ السَّمَاءِ ، فَالْمُتَقَلِّلُ يَقُولُ : كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَارُونَ مِنْ أَجْنَادِهِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دَارِعٍ ، وَلَا بُدَّ لِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ أَنْ يَتَّبِعَهُ وَاحِدٌ أَوْ اثْنَانِ ، وَأَمَّا النَّصَارَى فَيَتَمَجَّبُونَ بِمَنْ يَزْعُمُ ذَلِكَ وَيَقُولُهُ . وَاتَّفَقَ الْكُلُّ أَنَّ عَدَّةَ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ أَقَلَّ مِنْ عَدَّةِ الْمُشْرِكِينَ . وَرَأَى ابْنُ فَرْدِزْلَنْدَ فِي نَوْمِهِ كَأَنَّهُ

راكباً على فيلٍ ، فضرب نقيرة طبلٍ فهاثته رؤياه ، وسأل عنها القسوس والرهبان فلم يُجِبْهُ أَحَدٌ ؛ ودسَّ يهودياً إلى من يعلم تأويلها من المسلمين ، فدلَّ على عابر فقصَّها عليه ، ونسبها إلى نفسه ، فقال له العابر : كذبت ! ما هذه الرؤيا لك ، ولا بدَّ أن تخبرني مَنْ صاحبها وإلاَّ لم أعبرها لك ! فقال له : اكتم ، ذلك هو الفُئش بن فرذلند ! فقال العابر : قد علمتُ أنها رؤياه ولا ينبغي أن تكون لغيره ، وهي تدلُّ على بلاء عظيمٍ ،^٥ ومصيبةٍ فادحةٍ ، تُؤذِنُ بصُلْبِهِ عما قريب ، أمَّا الفيل فقد قال الله تعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ »^(١) السورة ، وأما ضرب النقيرة فقد قال الله تعالى : « فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمٌ مَّيْذَنُ يَوْمٍ عَسِيرٍ »^(٢) الآية ؛ فانصرف اليهودي إلى ابن فرذلند وجَّهَّمْ له وذكر له ما وافق خاطره ولم يفسرها له .

- ١٠ ثم خرج ابن فرذلند ووقف على الدُّرُوب ، ومالَ بجيوشه إلى الجهة الغربية من بلاد الأندلس ، فتقدم يوسف فقصده ، وتأخَّر ابن عبَّاد لبعض الأمر ، ثم انزعج يقفو إثره بجيش فيه مِئاةُ الثُّغُور ، ورؤساء الأندلس ، وجعل ابنه عبد الله على مُقَدِّمته ، وسار وهو يتفائل لنفسه ، مكتملاً البيت المشهور [كامل] :

لا بدَّ من فرج قريب يأتيك بالمعجب المعجب
غزوٌ عليك مباركٌ سيمود بالفتح القريب
لله سمدك إنَّه نكس على دين الصليب
لا بدَّ من يوم يكو ن أنَّا له يومُ القلب

ووافَتِ الجيوشُ كُلُّها بَطْلِيَّوُس ، فأنَاخوا بظاهرها ، وخرج إليهم صاحبها

(١) قرآن كريم : ١٠٥ - ١ . (٢) قرآن كريم : ٧٤ - ٩ و ٨ .

المُتَوَكِّلُ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ فَلَقِيَهُمْ بِمَا يَجِبُ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالضِّيَافَاتِ ، وَبَذَلَ بِجُودِهِ ، ثُمَّ جَاءَهُمُ الْخَبِيرُ بِشَخْصِ ابْنِ فَرْدَلَنْدٍ إِلَيْهِمْ ، وَلَمَّا أَزْدَلَفَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، أَذْكَى الْمُعْتَمِدُ عَمِيونَهُ فِي مَحَلَّاتِ الصَّحْرَاوِيِّينَ خَوْفًا عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَايِدِ ابْنِ فَرْدَلَنْدٍ ، إِذْ هُمْ غُرَبَاءُ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْبِلَادِ ، وَجَعَلَ يَتَوَلَّى ذَلِكَ بِنَفْسِهِ حَتَّى قِيلَ إِنَّ الرَّجُلَ مِنَ الصَّحْرَاوِيِّينَ كَانَ يَخْرُجُ عَنْ طُرُقِ مَحَلَّاتِهِمْ لِبَعْضِ شَأْنِهِ ، أَوْ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ ، فَيَجِدُ ابْنَ عَبَّادٍ بِنَفْسِهِ مُطِيفًا بِالْحَلَّةِ ٥
بَعْدَ تَرْتِيبِ الْكَرَادِيسِ مِنْ خَيْلٍ عَلَى أَفْوَاهِ طُرُقِ مَحَلَّاتِهِمْ ؛ فَلَا يَكَادُ الْخَارِجُ مِنْهُمْ عَنْ الْحَلَّةِ يَخْطِئُ إِذْ ذَاكَ مِنْ لِقَاءِ ابْنِ عَبَّادٍ لِكثَرَةِ تَطَوُّافِهِ عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ كَتَبَ يَوْسُفُ إِلَى ابْنِ فَرْدَلَنْدٍ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ أَوْ الْجَزِيَّةِ أَوْ يَأْذُنَ بِمَحْرَبِهِ فَاِمْتَلَأَ غِيظًا وَعُتَا وَطُغْنًا وَرَاجَعَهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى شِقَايَتِهِ ، وَقَامَتِ الْأَسَاقِفَةُ وَالرَّهْبَانُ فَرَفَعُوا صُلُبَهُمْ ، وَنَشَرُوا أَنَاجِيْلَهُمْ ، وَخَرَجُوا يَتْبَاعِينَ عَلَى الْمَوْتِ ؛ وَوَعِظَ يَوْسُفُ وَابْنَ عَبَّادٍ أَصْحَابَهُمَا ، وَقَامَ الْفَقَهَاءُ وَالْعُبَادُ يَعْظُونَ النَّاسَ وَيَحْضُونَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ ، وَيَحْذَرُونَهُمْ الْفِرَارَ ؛ وَجَاءَهُمُ الطَّلَاعُ بِخَبَرٍ أَنَّ الْعَدُوَّ مُشْرِفٌ عَلَيْهِمْ صَبِيحَةَ يَوْمِهِمْ ، وَهُوَ يَوْمُ الْأَرْبَعَاءِ ، فَأَصْبَحَ الْمَسَامُونَ قَدْ أَخَذُوا مَصَافِيَهُمْ ، فَكَعَّ ابْنُ فَرْدَلَنْدٍ وَرَجَعَ إِلَى إِمْعَالِ الْخَدِيمَةِ ، وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى مَحَلَّاتِهِمْ ، وَبَاتُوا لَيْلَتِهِمْ ، ثُمَّ أَصْبَحَ يَوْمُ الْخَمِيسِ فَأَخَذَ ابْنُ فَرْدَلَنْدٍ فِي إِمْعَالِ الْحِيلَةِ ، فَبِعَثَ لِابْنِ عَبَّادٍ يَقُولُ : غَدَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ عِيدُكُمْ ، وَبَعْدَهُ الْأَحَدُ وَهُوَ عِيدُنَا ١٥
فَلْيَكُنْ لِقَاؤُنَا بَيْنَهُمَا وَهُوَ يَوْمُ السَّبْتِ ! فَعَرَّفَ الْمُعْتَمِدُ بِذَلِكَ يَوْسُفَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ! فَقَالَ لَهُ الْمُعْتَمِدُ : هَذِهِ خَدِيمَةٌ مِنْ ابْنِ فَرْدَلَنْدٍ ! إِنَّمَا يَرِيدُ غَدَرَ الْمُسْلِمِينَ ! فَلَا تَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ ، وَلْيَكُنْ النَّاسُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لَهُ طَوْلَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ كُلِّ النَّهَارِ ! وَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتِهِمْ عَلَى أَهْبَةِ وَاحْتِرَاسٍ بِجَمِيعِ الْمَحَلَّاتِ ، خَائِفِينَ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ ، وَبَعْدَ مَضَى جُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ انْتَبَهَ

الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رُمَيْلة القرطبي (وكان في محلة ابن عبّاد) فرحاً مسروراً، يقول إنّه رأى النّبيّ (صلم) فبشّره بالفتح والشهادة له في صبيحة غدٍ وتأهّب ودعا ودَهَنَ رأسه وتطيّب، وانتهى ذلك إلى ابن عبّاد، فبعث إلى يوسف يخبره بها تحقيقاً لما توقعه من غدر ابن فرذلند، فغذروا أجمعين، ولم ينفع ابن فرذلند ما حاوله من الغدر.

- ثمّ جاء في الليل فارسان من طلائع المعتمد، يخبران أنّهما أشرفا على محلة ابن فرذلند وسمعا ضوضاء الجيوش، واضطراب الأسلحة. ثمّ تلاحق بقيّة الطلائع محققين بتحريك ابن فرذلند، ثمّ جاءت الجواسيس من داخل محلة ابن فرذلند يقولون: استرقنا السمع الساعة فسمعنا ابن فرذلند يقول لأصحابه: ابن عبّاد مسعّر هذه الحروب، وهؤلاء الصجراويون، وإن كانوا أهل حفاظ وذوى بصائر في الجهاد، فهم غير عارفين بهذه البلاد، وإنما قاذمهم ابن عبّاد، فاقصدوه واجمؤا عليه، واصبروا، فإن انكشف لكم هان عليكم الصجراويون بعده، ولا أرى ابن عبّاد يصبر لكم إن صدقتموه الحملة! وعند ذلك بعث ابن عبّاد كاتبه أبا بكر بن القصيرة إلى يوسف يعرفه بإقبال ابن فرذلند، ويستحثّ نُصْرَتَه، فضى ابن القصيرة يطوى المحلّات حتّى جاء يوسف بن تاشفين، فعرفه بجليّة الأمر، فقال له: قلّ له إني سأقرب منك إن شاء الله تعالى. وأمر يوسف بعض قوّاده أن يمضى بكتيبة رسمها له حتّى يدخل محلة النصارى فيضرمها ناراً، ما دام ابن فرذلند مُشْتَغلاً مع ابن عبّاد.

وانصرف ابن القصيرة إلى المعتمد، فلم يصله إلا وقد غَشِيَتْهُ جُنُودُ ابن فرذلند، فصدّها ابن عبّاد صدمةً قطعت آماله، ولم ينكشف له، فغيت الحرب بينهما، ومال ابن فرذلند على المعتمد بمجموعه، وأحاطوا به من كلّ جهة فاستحرقوا القتل فيهم،

وصبر ابن عبّاد صبراً لم يمهّد مثله لأحد ، واستبطأ يوسف وهو يلاحظ طريقه ،
وعضته الحرب ، واشتدّ البلاء ، وأبطأ عليه الصحراويون ، وساءت ظنون أصحابه ،
وانكشف بعضهم ، وفيهم ابنه عبد الله ، وأثنى ابن عبّاد جراحات ، وضرب على رأسه
ضربة فلقت هامته ، حتى وصلت إلى صدغيه ، وجرحته يمين يديه ، وطعن في أحد
جانبَيْه ، وعُقرت تحته ثلاثة أفراس ، كلّما هلك واحد قُدّم له آخر ، وهو يقاسى
حياض الموت ، ويضرب يميناً وشمالاً ، وتذكّر في تلك الحالة ابناً له صغيراً ، كان
مغرماً به ، توكّه بأشبيلية عليلاً ، اسمه العلاء ، وكُنيتُهُ أبو هاشم ، فقال [مقارب] :

أبا هاشم هشمى الشفاز والله صبرى لذاك الأواز
ذكرتُ شُخَيْصَكَ تحت العجاج فلم يثنى ذكره للفراز

ثمّ كان أوّل من وافى ابن عبّاد ، من قواد ابن تاشفين ، داود بن عائشة ، وكان
بطلاً شهماً ، فنفس بعجته عن ابن عبّاد ؛ ثمّ أقبل يوسف بعد ذلك ، وطبوله تصدع
الجوّ ، فلما أبصره ابن فردّ لند وجهه أشكولته إليه ، وقصده بمعظم جنوده ، وقد كان
عمل حساب ذلك من أوّل النهار ، وأعدّ له هذه الأشكولة ، وهى معظم جنوده ، فبادر
إليه يوسف وصدّمهم بجمعه فردّهم إلى مراكزهم ، وانتظم به شمل ابن عبّاد ، ووجد ريح
الظفر ، وتباشّر بالنصر ، ثمّ صدقوا جميعاً الحملة ، فنزلت الأرض بحوافير خيلهم ،
وأظلم النهار بالعجاج والغباب ، وخاضت الخيل في الدماء ، وصبر الفريقان صبراً عظيماً ؛
ثمّ تراجع ابن عبّاد إلى يوسف وحمل معه حملة نزل معها النصر ، وتراجع المهزّمون
من أصحاب ابن عبّاد حين علموا بالتحام الفتيّين ، فصدقوا الحملة ، فانكشف الطاغية ،
ومرّ هارباً منهزماً ، وقد طعن في إحدى رُكبتيه طعنة بقي أثرها بقيّة عمره ، فكان

يجمع منها ، فلجأ إلى تلٍّ كان يلي محلته في نحو الخمسة فارس كلهم مكلوم ، وأباد القتل والأسر من عدام من أصحابهم ، وعمل المسلمون بعد ذلك من رؤوسهم صوامع يؤذون عليها ، وابن فرذلند ينظر إلى موضع الوقعة ومكان الهزيمة ، فلا يرى إلا نكالا مُحيطا به وبأصحابه .

وأقبل ابن عبّاد على يوسف فصاحفه وهنأه وشكره وأثنى عليه ، وشكر يوسف مقامه ، وحسن بلائه وجيل صبره ، وسأله عن حاله عندما أسامته رجاله بانهمزاهم عنه فقال : هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فليخبروك ! ولما انحاز الطاغية بشرذمته ، جعل ابن عبّاد يحرض على اتباع الطاغية ، وقطع دابره ، فأثنى ابن تاشفين واعتذر بأن قال : لو اتبعناه اليوم لقي في طريقه أصحابنا المنهمزين راجعين إلينا منصرفين ، فيهلكهم ؛ بل نصبر بقيّة يومنا حتى يرجع إلينا أصحابنا ، ويجمعوا بنا ، ثم نرجع إليه فنحسم داءه . ١٠ وابن عبّاد يرغب في استعجال إهلاكه ويقول : إن فرأمانا لقيه أصحابنا المنهمزون فلا يعجزون عنه ! ويوسف مُصرّ على الامتناع من ذلك . ولما جاء الليل تسأل ابن فرذلند وهو لا يلوى على شيء ، وأصحابه يتساقطون في الطريق واحداً بعد واحدٍ من أثر جراحهم ، فلم يدخل طليطة إلا في ذون المائة .

وتكلم الناس في اختلاف ابن عبّاد وابن تاشفين ، فقال شيع ابن عبّاد : لم يخف ١٥ على يوسف أن ابن عبّاد أصاب وجه الصواب والرأى في معالجته ، لكن خاف أن يهلك العدو الذي من أجله استدعاه فيقع الاستغناء عنه ! وقالت شيع يوسف : إنما أراد ابن عبّاد قطع جبال يوسف من العود إلى جزيرة الأندلس ! وقال آخرون : كلا الرجلين أسرا حسوا في ارتقاء ، وإن كان ابن عبّاد آخرى بالصواب .

وكتب ابن عبّاد إلى ابنه إشبيلية : كِتَابِي هَذَا مِنْ الْحَلَّةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْمَوْفَى عَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ وَقَدْ أَعَزَّ اللَّهُ الدِّينَ ، وَنَصَرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَفَتَحَ لَهُمُ الْفَتْحَ الثُّمَيْنِ ؛ وَأَذَاقَ الْمُشْرِكِينَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ، وَالْخُطْبَ الْجَسِيمَ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا يُسِّرُهُ وَسَنَاهُ مِنْ هَذِهِ الْهَزِيعَةِ الْعَظِيمَةِ ، وَالْمُسَرَّةِ الْكَبِيرَةِ ، هَزِيعَةً إِذْ فُتِنَتْ أَصْلَاهُ اللَّهُ نِكَالَ الْجَحِيمِ ، وَلَا أَعْدَمُهُ الْوَبَالَ الْعَظِيمَ . بَعْدَ إِيْتَانِ التَّهْبِ عَلَى مَحَلَّاتِهِ ، وَاسْتِنْصَالِ الْقَتْلِ فِي جَمِيعِ أَبْطَالِهِ وَأَجْنَادِهِ ، وَمُحَاتِهِ وَقَوَادِهِ . حَتَّى اتَّخَذَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَامَاتِهِمْ صَوَامِعَ يُؤَذِّنُونَ عَلَيْهَا ، فَاللَّهُ الْحَمْدُ عَلَى جَمِيلِ صَنْعِهِ ، وَلَمْ يَصْنَعْ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا جَرَاحَاتِ يَسِيرَةِ أَلَمَتِ ، لَكِنِّهَا قَرَجَتْ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَغَنِمْتُ وَظَفَرْتُ .

ولما فرغ يوسف من وقعة يوم الجمعة ، تَوَارَدَتْ عَلَيْهِ أَنْبَاءُ مَنْ قَبَلَ الْسَفْنَ ، فَلَمْ يَجِدْ مَعَهَا بَدَأًا مِنْ سُرْعَةِ الْكُرَّةِ ، فَانْصَرَفَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةٍ ، فَأَرَاهُ بِظَاهِرِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَنَهَضَ نَحْوَ بِلَادِهِ ، وَمَشَى ابْنُ عَبَّادٍ مَعَهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً . فَعَزَمَ عَلَيْهِ يَوْسُفُ فِي الرَّجُوعِ ، وَكَانَتْ جَرَاحَاتُهُ تَتَمَثَّبُ وَتَوَرَّمُ كُلُّهُ رَأْسَهُ ، فَارْجَعَ وَأَمَرَ ابْنَهُ بِالْمَسِيرِ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى فَرِضَةِ الْمَجَازِ حَتَّى يَمُورَ الْبَحْرَ إِلَى بِلَادِهِ .

ولما دخل ابن عبّاد إشبيلية جلس للناس وَهْنِيٌّ بِالْفَتْحِ ، وَقَرَأَتِ الْقُرَاءُ ، وَقَامَتِ عَلَى رَأْسِهِ الشُّعْرَاءُ فَأَنشَدُوهُ . قَالَ عَبْدُ الْجَلِيلِ بْنُ وَهْبٍ : حَضَرْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَأَعَدَدْتُ قَصِيدَةً أَنَشِدُهُ إِيَّاهَا ، فَقَرَأَ الْقَارِئُ : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ » ^(١) فَقَالَتْ : بُعْدًا لِي وَلِشُعْرِي ! وَاللَّهِ مَا أَبَقْتُ لِي هَذِهِ الْآيَةُ مَعْنَى أَحْضَرَهُ إِلَيْهِ ، وَأَقُومُ بِهِ .

واستشهد في ذلك اليوم جماعة من أعيان الناس ، كابن رُمَيْلَةَ الْمُتَقَدِّمِ الذِّكْرِ ،

وقاضى مرّاكش أبي مروان عبد الملك المصمودي وغيرها . وطار ذكرُّ ابن عبّاد بهذه الواقعة ، وشهد مجده ، ومالت إليه القلوب ، وسالته ملوك الطوائف ، وخطبوه جميعاً بالتهنئة ، ولم يزل ملحوظاً معظمًا إلى أن كان من أمره مع يوسف ما كان .
قال مؤلف هذا الكتاب رحمة الله تعالى عليه : قد خالفتُ بشرح هذه الواقعة شرط الاختصار لخلاوة الظفر في وقت نزول الهموم ، ووقوعها في الزمن الحامل ، والله ٥ سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء وهو المستعان !

٨٥ — الزهراء

مدينة في غربي قرطبة ، بناها الناصر عبد الرحمن بن محمد ، كذا قالوا ، ولا أدري أهى الزاهرة المتقدمة الذكر ، أو غيرها ؛ وبينها وبين قرطبة خمسة أميال .
* وكانت قائمةً بالذات بأسوارها ، ورسوم قصورها ، وكان فيها قومٌ سُكَّان ١٠ بأهاليهم وذرائعهم ، وكانت في ذاتها عظيمة ، مدرجة البنية ؛ وهى مدينةٌ فوق مدينةٍ ، سطحُ الثُلثِ الأعلى على الحدِّ الأوسط ، وسطحُ الثُلثِ الأوسط على الثُلثِ الأسفل ، وكلُّ ثُلثٍ منها له سورٌ ، فكان الحدُّ الأعلى منها قُصُورًا يعجز الواصفون عن وصفها ، والحدُّ الأوسط بساتين وروضات ، والحدُّ الأسفل فيه الديار والجامع ^(١) ، ثم خرب ذلك كله ، وأصابه ما أصاب قرطبة وغيرها من بلاد موسطة الأندلس ، فإننا ١٥ لله وإنا إليه راجعون .

حرف السين

٨٦ - سَرَقُسْطَة

في شَرْق الأندلس ، وهي المدينة البيضاء .

* وهي قاعدةٌ من قواعد الأندلس ، كبيرة القطر ، آهلة ، ممتدة الأطناب ، واسعة الشوارع ، حسنة الديار والمساكن ، متصلة الجَنَات والبساتين ، ولها سورٌ حجارة حصينٌ ، وهي على ضفة نهرٍ كبيرٍ ، يأتي بعضُه من بلاد الروم ، وبعضُه من جبال قلعة أيُوب ومن غير ذلك ؛ فتجتمع مَوادُّ هذه الأنهار كلها فوق مدينة تُطِيلَة ^(١) ، ثم تنصبُّ إلى مدينة سرقسطة ؛ ومدينة سرقسطة هي المدينة البيضاء ، وسميت بذلك لكثرة حصنها وجدارها ؛ ومن خواصها أنها لا تدخلها حيَّةُ ألبَّة ، وإن جُلِبَت إليها ماتت ^(٢) ؛ فمن الناس من يزعم أن فيها طليسمًا لذلك ، ومنهم من يقول إن أكثر بُنيانها من الرخام الذي هو صنفٌ من الملح الدرائي ؛ ومن خاصيتها ألا تدخل الحناش موضعًا يكون فيه ، وكذا بأقاليم عدَّة .

* ولسرقسطة جسرٌ عظيمٌ يجاز عليه إلى المدينة ، ولها أسوارٌ منيعة ، ومبانٍ رفيعة ^(٣) . واسمها مُشتقٌّ من اسم قَيْصَر ، وهو الذي بناها ، وذُكر أنها بُنيت على مثل الصليب وجعل لها أربعة أبواب : بابٌ إذا طلعت الشمس من أقصى المطالع في القيظ قابلته عند بزوغها ، فإذا غربت قابلت الباب الذي بإزائه من الجانب الغربي ، وبابٌ إذا

(١) ته : « مطيلة » . (٢) اوس ١٩٠ . (٣) اوس ١٩٠ .

طلعت الشمس من أقصى مطالعها في الشتاء قابلته عند بزوغها وهو الباب القليل ؛
وإذا غربت قابلت الباب الذي يازانه من الجانب الغربي .

وهذه المدينة على خمسة أنهار . وسرقسطة واسعة الخطّة لا تعرف بالأندلس مدينة
تشبهها ، وقيل تُعرف بالبيضاء لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض ؛ وكان
الذي بنى المسجد الجامع بسرقسطة ووضع محرابه حنش بن عبد الله الصنعائي ، فلما
زيد فيها ، هُدم الحائط القليل ، غير المحراب ، فإنه أحتفر من جوانبه حتى انتهى إلى
قواعده ، فأعملت الحيلة في حمله على الخشب وجّره^(١) إلى الموضع الذي هو فيه اليوم ،
فتصدّع وبنى عليه وحواليه البناء الذي هو باقٍ إلى الآن ؛ وتوفي حنش هذا وعلى بن
ربّاح اللخمي ، وهما من جلة التابعين ، بمدينة سرقسطة ، وقبراها فيها معروفان بمقبرة
باب القبلة ، وكان بعض من مضى من الملوك أراد أن يتخذ عليها مشهداً ، وبنى فوقها
مصنعا ، فلما اعتزم ذلك أتته امرأة معروفة بالصلاح والأمانة ، موسومة بالعدالة ،
فأخبرته أنها رأتها فيما يرى النائم . وأخبرها أنها يكرهان أن يبنى على قبرها شيء .
فرجع عن ذلك الأمر الذي كان مزمع به .

ومدينة سرقسطة أطيب البلدان بقعة ، وأكثرها ثمرة ، لكثرة الفواكه في
بساتينهم ، حتى لا يقوم ثمنها بمؤنة نقلها لخصها . فيتخذونها سرجيناً^(٢) يدّمّنون به
أرضهم ؛ ورُبما يبيع فيها وسق القارب من التفاح بما تُباع به الأبطال اليسيرة في غيرها .
ومما خصّت به سرقسطة معدن الملح الدرائي ، الذي لا يوجد مثله في مكان ، ولا يعدل به .
وأخذ النصارى سرقسطة من يد المسلمين سنة ٥١٢ ، بعد أن حاصروها تسعة أشهر ،

(١) ش : « وجري » . (٢) ش : « سرجيا » .

صُلْحًا ؛ خرج إليها الإفرنج في خمسين ألف راكب ، وابن رُذَيمير في جملةٍ أُخْرَى ،
أَعَادَهَا اللهُ للإسلام بفضلِهِ .

ومن سرقسطة قاسمُ بن ثابتٍ صاحب كتاب الدلائل ، بلغ فيه الغاية من الإِتقان
ومات قبل أن يكمله ، وأكملهُ أبوه ثابتٌ بعده . وكان قاسم ورعًا فاضلاً ، وأُرِيدَ على أن
يَلِيَ قضاء سرقسطة ، فأبى من ذلك ، فأراد أبوه إكراهه على ذلك ، فسأله أن يتركه
ثلاثة أيام حتَّى ينظر في أمره ، ويستخير الله تعالى ، فمات في هذه الثلاثة الأيام .
فَبُرِّوْى أَنَّهُ دعا لنفسه بالموت ، وكان يقال إِنَّهُ مُجَابُ الدَّعْوَةِ ، توفي بسرقسطة سنة ٣٠٢ .

٨٧ — سَمُورَة

هِيَ دَارُ مَمْلَكَةِ الْجَلَالِقَةِ ، على ضِفَّةِ نَهْرٍ كَبِيرٍ جَدًّا ، خَرَّارٍ ، كثيرِ الماء ، شديدِ
الْجَرِيَةِ ، عميقِ القعر . وبين سَمُورَة وبين البحر سِتُّون مِيلًا . ١٠

* وَسَمُورَة مَدِينَةٌ جَلِيلَةٌ ، قَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الرُّومِ ^(١) ، وعليها سبعة أسوار من عِيبِ
الْبَنِيَانِ ، وقد أَحْكَمْتَهُ الْمُلُوكُ السَّالِفَةُ ، وبين الأسوار فُضْلَانِ وَخَنَادِقٍ وَمِيَاءٌ وَاسِعَةٌ .
وقد كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَلِيفَةُ الْأَمَوِيُّ بِالْأَنْدَلُسِ غَزَا سَنَةَ ٣٢٧ فِي أَزِيدٍ مِنْ مَائَتَيْ
أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ ، فَنَزَلَ عَلَى دَارِ مَمْلَكَةِ الْجَلَالِقَةِ ، وَهِيَ سَمُورَة هَذِهِ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا عَلَى
أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأُمَمِ الْحَارِبَةِ لَهُمُ الْجَلَالِقَةُ ، كَمَا أَنَّ الْإِفْرَنْجَةَ حَرَبُ لَهُمْ ، غَيْرَ أَنَّ
الْجَلَالِقَةَ أَشَدُّ بَأْسًا . وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ وَزِيرُهُ مِنْ وَلَدِ أُمَيَّةٍ
يُقَالُ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى مَوْجِدَةٍ وَجَدَهَا عَلَيْهِ ، فَقَتَلَهُ

- عبد الرحمن ، وكان لذلك الوزير أخٌ يقالُ له أُمَيَّةٌ في مدينة سَنْتَرِينَ من ثغور الأندلس .
 فلَمَّا عِلِمَ ما فُعِلَ بأخيه عَصَا عبدَ الرحمن ، وصار في حيزِ رُدْمِيرِ مَلِكِ الجَلَالَةِ ، فأعانه على
 المسلمين ، ودَلَّهُ على عوراتهم ، ثمَّ خرج أُمَيَّةٌ في بعض الأيام عن المدينة يتصيدُ في
 بعض متنزّهاته ، فغلب على المدينة بعضُ غلمانه ، ومنعه من الدخول إليها ، وكاتبَ
 عبدَ الرحمن ، فضى أُمَيَّةٌ بن إسحق أخو الوزير المقتول إلى رُدْمِيرِ فاصطفاه واستوزره .
 وصيّره في مُجَلَّتِه ، وغزا عبدُ الرحمن صاحبُ الأندلس مدينةَ سَمُورَةَ دارَ مملكة
 الجَلَالَةِ ، وكان في أزيد من مائة ألف ، فكانت الوقعة بينه وبين رُدْمِيرِ ملك الجَلَالَةِ
 في شَوال سنة ٣٢٧ كما قدّمناه ، فكانت للمسلمين عليهم ، ثمَّ تابوا بعد أن حُوصِرُوا
 وأُلْجِئُوا ، فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخَنْدَقَ خمسين ألفاً ، وقيل إن الذي منع
 رُدْمِيرِ مِنْ طلبِ مَنْ نجا من المسلمين أُمَيَّةٌ بن إسحق ، خوَّفه الكمين ، ورغبه فيما كان
 في عسكر المسلمين من الأموال والمُدَدِ والخزائن ، ولولا ذلك لَأُتِيَ على جميع المسلمين .
 ثمَّ إنَّ أُمَيَّةٌ هذا استأمنَ عبدَ الرحمن بعد ذلك ، وتخاصَّص من رُدْمِيرِ ، فقبله عبدُ الرحمن
 أحسنَ قبولٍ ؛ وقد كان عبدُ الرحمن صاحبُ الأندلس بعد هذه الوقعة جَهَّزَ عساكره
 مع عِدَّةٍ من قُوداه إلى دار الجَلَالَةِ ، فكانت لهم بهم حروبٌ هلك فيها من الجَلَالَةِ
 ضِعْفُ مَنْ قُتِلَ من المسلمين في الوقعة الأولى وكانت للمسلمين عليهم .
 ومدينة سَمُورَةَ مُحدَثَةٌ اتَّخَذَتْ دارًا سنة ٢٨٨ .

صرف الشين

٨٨ - شجس

قريةٌ بالأندلس قريبةٌ من بطرير ، وهي قريةٌ جامعةٌ مفيدةٌ ، وهي قريبةٌ من شاطبة .

٨٩ - شذونة

بالأندلس ، وهي كورةٌ متصلةٌ بكورة موزور ، وعملُ شذونة خمسون ميلا في مثلها ، وهي من الكور المجتدة ، نزلها جندُ فلسطين من العرب ، وكورةٌ شذونة كورةٌ جليلةٌ القدر ، جامعةٌ لخيرات البر والبحر ، كريمةٌ البقعة ، عذبةٌ التربة ، يفيضُ مياهُها بلاندوى مع المحل ثمارها ، وقد لجأ إليها عامةُ أهل الأندلس سنة ١٣٦ ، وكانت الأندلس قد قحطت ستة أعوام^(١) . ومن كور شذونة شريش وغيرها ، وفيها كانت الهزيمة على لُذريق حين افتتحت الأندلس سنة ٩٦ .

وبقرب شذونة موضعٌ يُعرفُ بالجبل الواسط ، وهو جبلٌ فيه آثارٌ للأول ، وفي شقٍّ صخرةٍ داخل كهفٍ فيه فأسٌ حديدٌ ، يتعلق من الشق الذي في الصخرة ، تراه المينُ وتجمسه اليد^(٢) ، فمن رام إخراجَه لم يطق ذلك ، وإذا رفعته اليدُ ارتفع وغاب في شقٍّ الصخرة ، ثم يعود إلى حاله . ويدكرُ مشايخُ كورة شذونة أنَّ النارَ أُوقِدَتْ على الموضع ، ورُشَّ بالخل لينكس ، ويوصل إلى استخراج الفأس ، فلم يُقدر على ذلك ،

(١) ت : « سنة أعوام » . (٢) ت : « وتلبسه إليه » .

وأعيام أمره ، وقرنت الثيران في بعض الأزمنة ، وجعلت عجلائ ، وشدّ بهما طرفاً
 حبلي وثيقٍ قد رُبط في الفأس ، وحملوا على الثيران ليقلع الفأس ، فلم يُستطع ذلك .
 قالوا : وأطيب العنبر الغربي إنما يوجد بساحلها ، وبساحل شدونة يوجد حوت الثنّ
 لا في غيره من سواحل الأندلس ، فيظهر في أول شهر مايه ، لا يرى قبل هذا الشهر ،
 فإنه يخرج من البحر المحيط فيدخل إلى البحر المتوسط الذي يُسمى البحر الرومي ،
 فيصيد مدة ظهوره أربعين يوماً ، ثم يعود على مثل ذلك الوقت من العام الآخر .
 وبساحل شدونة المقل الذي يعظم مجارّه حتى يكون قلبه مثل قلب النخل ، وكانت
 تُصنع منه الفرائيل^(١) عن الحلفاء . وكانت جباية شدونة في أيام الأمير الحكم بن هشام
 خمسين ألفاً وستمائة .

٩٠ - الشرف

١٠

من غربي^(٢) إشبيلية بالأندلس ، وهو جبل شريف البقعة ، كريم التربة ، دائم
 الخضرة ، فراسخ في فراسخ طولاً وعرضاً ، لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف
 زيتونه ، واشتباك غصونه ، وزيتونه من أطيب الزيوت ، كثير الريع عند العصر ، لا يتغير
 على طول الدهر ، ومن هناك يتجهز به إلى الآفاق برّاً وبحراً ؛ وكل ما استودع أرض
 إشبيلية وغرس في تربتها نما وزكا وفضل وجل^(٣) .

١٥

ويقال إن في الشرف ثمانية آلاف قرية عامرة ، وديارها حسنة ، وبين الشرف
 وبين إشبيلية ثلاثة أميال ، ومضى بذلك لأنه مُشرف على ناحية إشبيلية ، ممتد من الجنوب

(١) ت : « الفرائيل » . (٢) ت : « شرق » . (٣) قد وقع ذكر بعض ذلك في

إلى الشمال ، وهو كله ترابٌ أحمر ، وشجرُ الزَّيتون فيه من هذا المكان إلى قنطرة لَبلة .

٩١ - شَرِيش

من كَوْر شَذْوَنَة بالأندلس ، يَنْهَا وَيْن قَلْشَانَة خَمْسَة وَعَشْرُونَ مَيْلًا ، وَهِيَ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الْبَحْرِ ، يَجُودُ زَرْعُهَا ، وَيَكْثُرُ رِيْعُهَا . ٥

وَيَنْ الْمَغْرِبَ وَالْقِبْلَةَ مِنْ شَرِيشِ حِصْنِ رُوْطَة ، عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، يَنْهُمَا مَسَّةٌ أُمْيَالٌ ، وَهُوَ مَوْضِعُ رِبَاطٍ ، وَمَقَرٌّ لِلصَّالِحِينَ ، مَقْصُودٌ مِنَ الْأَقْطَارِ ، وَبِرُوطَة هَذِهِ بئرٌ حَصَبٌ بِمَاءٍ لَا يَعْلَمُ مَثْلُهُ فِي بَقْعَةٍ ، وَهِيَ بئرٌ أَوْلَيَّةٌ ، قَدِيمَةُ الْبَنِيَّةِ ، يَنْزِلُ الْمَرْءُ يَسْتَسْقِي الْمَاءَ يَدِيهِ حَيْثُ انْتَهَى مِنَ الْبئرِ ، فَكَلَّمَا كَثُرَ الْبَشَرُ بِحِصْنِ رُوْطَة ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الْمُرَابِطَةُ طَمًا الَّذِي فِي الْبئرِ وَزَادَ حَتَّى يَسْتَسْقِي مِنْ رَأْسِ الْبئرِ بِالْيَدِ دُونَ مَهَانَةٍ ^(١) وَلَا مَشَقَّةً ، فَإِذَا قَلَّ النَّاسُ بِهَا وَتَفَرَّقُوا نَضَبَ الْمَاءِ حَتَّى يَكُونَ بَآخِرَ دَرَكِهِ . ١٠

* وَشَرِيشٌ مَتَوَسِّطَةٌ حَصِينَةٌ حَسَنَةُ الْجِهَاتِ ، قَدْ أَطَافَتْ بِهَا الْكُرُومُ الْكَثِيرَةُ ، وَشَجَرُ الزَّيْتُونِ وَالتِّينِ وَالْحَنْظَلَةُ بِهَا مَمْكَنَةٌ ^(٢) .

٩٢ - شُقْر

جَزِيرَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ ، قَرِيبَةٌ مِنْ شَاطِئِهِ ، وَيَنْهَا وَيْنٌ بِلَنْسِيَّةٍ ثَمَانِيَةِ عَشْرِ مَيْلًا . ١٥

* وَهِيَ حَسَنَةُ الْبَقْعَةِ ، كَثِيرَةُ الْأَشْجَارِ وَالْثَمَارِ وَالْأَنْهَارِ ، وَبِهَا أَنْاسٌ وَجَلَّةٌ ^(٣) ، وَبِهَا

(١) : « مَهَانَات » .

(٢) : « مَهَانَات » .

(٣) : « مَهَانَات » .

جامع ومساجد وفنادق وأسواق ، وقد أحاط بها الوادي . والمدخل إليها في الشتاء على المراكب ، وفي الصيف على غصاة .

وفي إحاطة الوادي بها يقول ابن خفاجة في شعر يشوق فيه إلى معاها ، ويندب ماضى زمانه [خفيف] :

- بَيْنَ شُقْرٍ وَمُتَقَى نَهْرِيهَا حَيْثُ أَلَقْتُ بِنَا الْأُمَانِي عَصَاهَا
 وَيُعْنَى الْمَكَاءُ فِي شَاطِئِهَا يَسْتَخِفُّ النُّهْيُ خَلَّتْ حُبَاهَا
 عَيْشَةً أَقْبَلْتُ يُشْغَى جَنَاهَا وَارْفُ ظِلُّهَا لَذِيذُ كَرَاهَا
 لَعِبْتُ بِالْعُقُولِ إِلَّا قَلِيلاً بَيْنَ تَأْوِيلِهَا وَبَيْنَ سُورَاهَا
 فَأَنْتَنَيْنَا مَعَ الْفُصُونِ غُصُونًا مَرَحًا فِي بَطَاحِهَا وَرُبَاهَا
 ثُمَّ وَلَّتْ كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَلَبَّثُ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ صُحَاهَا
 فَاذْبُ الْمَرْجِ فَالْكُنَيْسَةُ فَالْشُّطُّ وَقُلْ آهِ يَا مُعِيدَ هَوَاهَا^(١)
 آهِ مِنْ غُرْبَةٍ^(٢) تُرْفِقُ بِنَا آهِ مِنْ رِحْلَةٍ تَطُولُ نَوَاهَا
 آهِ مِنْ فُرْقَةٍ لَغَيْرِ تَلَاقٍ آهِ مِنْ دَارٍ لَا يُجِيبُ صَدَاهَا
 لَسْتُ أُدْرِي وَمَدَامَ الْمَرْزُوطُ أَبْكَاهَا صَبَابَةٌ أَمْ سَفَاهَا
 فَتَعَالَى يَا عَيْنَ نَبْكِ عَلَيْهَا مِنْ حَيَاةٍ إِنْ كَانَ يَغْنَى بِكَاهَا
 وَشَبَابٍ قَدْ فَاتَ إِلَّا تَنَاسِيَهُ وَنَفْسٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا شَجَاهَا
 مَا لِعَيْنٍ^(٣) تَبْكِي عَلَيْهَا وَقَلْبِي شِمْنِي^(٤) سَوَادَهُ لَوْ فِدَاهَا
 وَفِي جَزِيرَةِ شُقْرٍ يَقُولُ الْكَاتِبُ أَبُو الْمَطَرِ بْنِ عَمِيْرَةَ [طویل] :

(١) كذا في ت : (٢) ت : « غيرة » . (٣) ت : « ملي عني » . (٤) كذا في ت .

فقد حازنا^(١) نأى عن الأهل بعدما نأينا عن الأوطان ففى بلاقيع
نرى غربة حتى تنزل غربة لقد صنع البين الذى هو صانع
وكيف بشقر أو بزرقه مائه وفيه لشقر أو لزرق شوارع
وقال من قصيدة يمدح فيها صاحب إفريقية الأمير الأجل أبا زكرياء [منسرح] :

وعاد قلبي من شوق أندلس عبداً شرفته وما فتر^(٢)
فأين منّا منازل عصفت ربح عليها من المدى صرصر^(٣)
ودون شقر ودون زرقته أزرق يخكى قناه وأشقر

٩٣ - شقندة

قرية بمدوة نهر قرطبة ، قبالة قصرها ، فيها اجتمع وجوه العجم يتشاورون في
١٠ حرب العرب ، ويحذرونهم من القعود عنهم ، ويحضون بعضهم بعضاً على أن يكونوا
يداً واحدة ، وقدموا على لذريق بقرطبة بسبب ذلك ، فزلوا أكتاف شقندة هذه ،
ولم يطمثوا إلى الدخول على لذريق أخذاً بالحزم .

٩٤ - شقوية

بالأندلس ، ليست بمدينة ، إنما هي قرى كثيرة متجاورة متقاربة متلاصقة ،
١٥ متداخلة العمارات ، فيها بشر كثير ، وجم غفير ، وم في نظر صاحب طليطلة ، وهم
أنجاد أجلاذ ، ومنها إلى طليطلة^(٤) مائة ميل^(٥) .

(١) ت : « قاحرنا » . (٢) كفاف ت . (٣) كفاف ت .

(٤) ت : نطية . (٥) ارس ص ٦٨ .

٩٥ - شقورة

مدينة من أعمال جيان بالأندلس ، قالوا : وجبل شقورة مئنت الوزد الذكي
 العطر ، والسنبل الرومي الطيب ، وفي غيران شنت مرتين من جبل شقورة أشقأقل
 كبير قوي الفعل ، يفوق غيره ، وإذا نزل بتلك الغيران أحد أكثر منه الاحتلام ،
 وربما نزل المني منه بغير إرادة ولا تذكر ؛ ويقال إن في قرية هنالك ماء يفعل مثل
 ذلك . وفي جبل شقورة شجر الطخش الذي يتخذ منه القسي ، وعصير ورقه سم قتال
 وحى . وفي تلك الناحية ماء صعيدة في حجر قدر ما تدخل الدابة رأسها فيه ، فتشرب
 ويتتابع على ذلك العدد الكثير من الدواب فتصدر رواء ، فإذا استقى في إناء لم يكن
 يروى الرجل .

- ١٠ ولعل بن أبي جعفر بن همشك ، وكُتِبَ على قبره بشقورة [وافر] :
 لعمر ك ما أردت بقاء قبري وجسمي فيه لئس له بقاء
 ولكن رجوت وقوف من على قبر مر فينفعني الدعاء^(١)
 سبيل الموت غاية كل حي فكل سوف يلحقه الفناء
 ومن شقورة أبو بكر بن مجبر الشاعر المفلح^(٢) المجيد ، شاعر دولة
 بني عبد المؤمن .

(١) كذا في ت ، وهو غير موزون ولعله : ولكن قد رجوت وقوف ماير على قبري فينفعني الدعاء .

(٢) ت : « الفلو » .

٩٦ - شَلْب

من بلاد الأندلس ، وهي قلعة كورة أكشونة ، وهي مدينة بقبلى مدينة
يَاجَة ، ولها بسائط فسيحة ، وبطائح عريضة ؛ ولها جبل عظيم مُنيف ، كثير
للمسارح والميل ، وأكثر ما ينبت فيه شجر التفاح العجيب ، يتضوع منه روائح العود .
* وعليها سور حصين ، ولها غلات وجنات ، وشرب أهلها من وادىها الجارى
إليها من جهة جنوبها ، وعليه أرواح البلد ، والبحر منها فى الغرب على ثلاثة أميال ، ولها
مرسى فى الوادى وبها الإنشاء ، والعود بجبالها كثير ، يُحمل منها إلى كل الجهات ؛
والمدينة فى ذاتها حسنة الهيئة ، بديسة البناء ، مرتبة الأسواق ، وأهلها وسكان قراها
عرب من اليمن وغيرها ، وكلامهم بالعربية الصريحة ، وهم فصحاء يقولون الشجر ، وهم
١٠ بُلاء^(١) خاصتهم وعامتهم ؛ وأهل بوادى هذه البلدة فى غاية الكرم ، لا يجاريهم فيه
أحد^(٢) . ومن شَلْب إلى بطليوس ثلاث مراحل ، ومن شَلْب إلى مارتلة أربعة أيام .
وفى سنة ٥٨٥ فى ربيع الآخر منها ، نازل ابن الرقيق صاحب قلمرية وما يليها
من غرب الأندلس مدينة شَلْب هذه ، فلم يزل محاصراً لها إلى أن ضاق أهلها بالحصار ،
نخافوا الفيلة عليهم ، فصالحوهم على أن يخرجوا سالمين فى أنفسهم ، وتركوا
١٥ البلد بجميع ما فيه من أموالهم وأثاثهم ، فأجابهم على ذلك ، وفى لهم بما صالحهم
عليه ، ودخلها فى الولى عشرين من رجب هذه السنة ، وبلغ أمر شَلْب إلى صاحب
المغرب والأندلس ، المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، فامتحن من ذلك

وأُنف منه ، وكبر عليه ، فاعترض جنوده ، واستنفر حشوده ، واستعدَّ الأسلحة ، وفارق الأموال ، وخرج من مراكش قاصداً الأندلس في وسط ذي الحجة من هذه السنة ، واستمرَّ سيره إلى أن وصل إلى رباط الفتح من مدينة سلا ، فأقام بها نحواً من ثلاثين يوماً إلى أن توافقت الحشود ، وتكاملت القبائل ، وورد عليه في أثناء مقامه برباط الفتح فتح عليه في المغرب ، وهنئ به ، وفيه يقول أبو بكر بن مُجَبَّر [طويل] :

قَلَّائِدُ فَتَحَ كَانَ يَذْخَرُهَا الدَّهْرُ فَلَمَّا أَرَدَتِ الْغَزَا أَبْرَزَهَا النَّصْرُ

القصيدَةُ بطولها .

وتحرَّك المنصور من رباط الفتح في أخريات المحرم عام ٥٨٦ هـ ، وركب البحر من قَصْر مَصْمُودَة في الثاني والعشرين من ربيع الأول ، فأقام بطريف إلى أن تحرَّك منها في غرّة ربيع الآخر ، وسار إلى قرطبة ، وعقدت له الرايات بجامعها الأكبر ؛ وفي ذلك يقول أبو بكر بن مُجَبَّر قصيدته المشهورة التي أولها [بسيط] :

بُشْرَايَ هَذَا لَوْلَا قَلَّ مَا عَقِدَا إِلَّا وَقَدْ مَدَّ^(١) الرُّوحُ الْأَمِينُ بَدَا
وَأَقْبَلَ النَّصْرُ لَا يَمْدُو بِنَاحِيَةٍ فَيَمَّا قَصَدَتْ رَايَاتُهُ قَصَدَا
وَأَسْتَقْبَلَتْهُ بَبْشِيرِ الْفَتْوحِ فَقَدْ كَادَتْ تَكُونُ عَلَى أَكْتَافِهِ لَبَدَا

إلى آخر القصيدة ، وهي طويلة . ثم تحرَّك من إشبيلية إلى قَصْر أَبِي دَانِسٍ من غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ ، فزَلُّوا عَلَى حَكْمِهِ ، فَاحْتَلَمُوا إِلَى مَرَّاكُشَ ، وَرَحَلَ مِنْ قَصْرِ أَبِي دَانِسٍ إِلَى حَصْنِ بَلْمَالَة^(٢) ، فَاسْتَسْلَمُوا وَرَغَبُوا فِي الْأَمَانِ عَلَى أَنْ يَتْرَكُوا الْحَصْنَ ، وَيَسْلَمُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَيَنْصَرَفُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ، فَأُجِيبُوا إِلَى ذَلِكَ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ ، فَهَضَبُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ؛

واتهب جميع ما كان في الحصن ثُمَّ هُدِمَ ثُمَّ قصد إلى حصن المَعْدِن ، فافْتَسَحَ وَهَدِمَ .
وبعد الفراغ من ذلك كان التَّهْوِضُ إلى شِلْب ، فوصلها في ثاني جمادى الأخيرة سنة ٥٨٧ ،
فأخذت الجيوش بها ، وأخذت بِمُخْتَفِهَا ، ونصب عليها المجانيق وآلات الحرب ،
وجدُّوا في قتالها ، وبالفوا في نكاية أهلها ، فطلبوا الأمان في أنفسهم على أن يسلموا
المدينة ويخرجوا إلى بلادهم ، فأجيبوا إلى ذلك ، وخرجوا منها في السادس والعشرين
من جمادى الأخيرة ، وفي ذلك يقول أبو بكر بن مُجَبَّر قصيدته المشهورة ، التي
أولها [طويل] :

دَعَا الشَّوْقُ قَلْبِي وَالرَّ كَاتِبَ وَالرَّ كَبَا فَلَبَّوْا جَمِيعًا وَهَوَ أَوَّلُ مَنْ لَبَى
وَضَلْنَا نَشَاوَى لِلَّذِي بَقُلُوبِنَا نَحَالُ الْمَهْوَى كَأَسَا وَيَحْسِبُنَا شَرَبَا
إِذَا الْقُضْبُ هَزَّتْهُ الرِّيَّاحُ تَذَكَّرُوا قُدُودَ الْحَسَنِ الْبَيْضِ فَاغْتَنَّقُوا الْقُضْبَا
القصيدة . ثُمَّ أَخَذَ الْمَنْصُورُ فِي الرَّحِيلِ إِلَى مَرَّاكُش .

٩٧ - شَلْبَطْرَة

بالأندلس ، من بلاد الإذْفُونش ، وهو حِصْنٌ من حصون الأندلس من عَمَلِ
قَلْعَةِ رَبَاح ؛ كَانَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَنْصُورِ يَعْقُوبُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ
عَبْدِ الْمُؤْمِنِ مَلِكِ الْمَغْرِبِ نَزَلَ عَلَيْهَا وَحَاصَرَهَا بِالْمَجَانِيقِ الْفَخَامِ ، وَالْآلَاتِ الْحَرِيَّةِ ،
حَتَّى قَهَرَ أَهْلَهَا وَمَلَأَهَا ، وَذَلِكَ فِي أَوَائِلِ سَنَةِ ٦٠٨ ؛ وَكَانَ نَزَلَ أَوَّلًا عَلَى حِصْنِ الثَّلَاجِ
فَتَمَلَّكَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ الْحَصَارُ كُلَّهُ عَلَى حِصْنِ شَلْبَطْرَة ، فنصب عليها المجانيق ، ورُمِيَتْ
بالحجارة الصم الكبار ، وطال حصارها إلى أن ضاق أهلها وأعيام الأمر ، فطلبوا

أَجَلًا يَسْتَجْلِبُونَ فِيهِ مَلِكَهُمْ صَاحِبَ طَلِيلِطَةَ وَقَشْتِيلَةَ الْإِذْفُونَشَ بْنِ شَانْجَهَ ، فَأَعْطَوْا مَا طَلَبُوا ؛ فَأَخْرَجُوا قَوْمًا مِنْ ثِقَاتِهِمْ إِلَى طَلِيلِطَةَ وَالتَقُوا مَعَ مَلِكِهِمْ إِذْفُونَشَ بِهَا أَوْ بغيرِهَا مِنْ بِلَادِهِ ، وَأَعْلَمُوهُ بِمَا اتَّهَمُوا إِلَيْهِ مِنَ الشَّدَّةِ ، وَمَا بَلَّغُوا مِنَ الْجُهْدِ وَالْمَشَقَّةِ ، وَحَمَلُوا إِلَيْهِ بَعْضَ أَحْجَارِ الْمَجَانِيقِ الَّتِي يُرْمَوْنَ بِهَا ؛ فَعَذَرَهُمْ ، وَلَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ قُدْرَةٌ لِدَفْعِ مَا نَزَلَ بِهِمْ ، وَلَا اسْتَطَاعَ الدِّفَاعَ عَنْهُمْ ، فَأَذِنَ لَهُمْ فِي الْخُرُوجِ عَنْهَا ، فَرَجَعَتْ ثِقَاتُهُمْ ٥ بِذَلِكَ ، فَطَلَبُوا الْخُرُوجَ مُسْلِمِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ ، فَوَفَّى لَهُمْ بِذَلِكَ ، وَمَكَّنُوهُ مِنَ الْحَصَنِ ، وَانْفَصَلَ النَّاسُ عَنْهَا فِي صَدْرِ ربيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٦٠٨ . وَكَانَ الْحَصَارُ فِيهَا إِحْدَى وَخَمْسِينَ لَيْلَةً . وَزَعِيمُهُمُ الْإِذْفُونَشُ بْنُ شَانْجَهَ لَمْ يَقْدِرْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى اسْتَفْتَا بِأَهْلِ مِلَّتِهِ ، وَكَاتَبَ مِنْ قَرُبٍ وَبُعْدٍ مِنْهُمْ ، وَشَكَا إِلَيْهِمْ مَا دَهِاهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَحَثَّهُمْ عَلَى حِمَايَةِ دِينِهِمْ وَنَصْرِ مِلَّتِهِمْ ، فَاسْتَجَابُوا لَهُ وَجَاؤُهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَاتَّالَوْا عَلَيْهِ ، ١٠ فَكَانَ مِنْ وَقِيعَةِ الْعِقَابِ عَلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ فِي عَامِ ٦٠٩ مَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي مَوْضِعِهِ .

وَلَمَّا مَلَكَ النَّاصِرُ حِصْنَ شَلْبَطْرَةَ نَفَذَتْ عَنْهُ الْمُخَاطَبَاتُ بِهَذَا الْفَتْحِ . فَفَنَ فَضَلَ مِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبَ بِهِ صَاحِبَ إِفْرِيقِيَّةَ حِينَئِذٍ الشَّيْخَ الْمُعَظَّمَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَاحِدِ : « وَهَذَا كِتَابُنَا إِلَيْكُمْ مِنْ مَنْزِلِ الْمُؤَحِّدِينَ بِمَنْزِلِ أَنْدُوجَرٍ ، وَلَمَّا كَانَ صَاحِبُ قَشْتَالَةَ أَقْرَبَ مِنْ تَعَيَّنَتْ حَرْبُهُ دَارًا ، وَأَكْثَرُهُمْ عَمَّا اسْتَطَاعَ أَحْرَارًا ؛ كَانَ أَوَّلَ مَنْ نَوَيْنَا ، وَوَجِبَ تَقْدِيمُ ١٥ غَزْوِهِ عَلَيْنَا ؛ وَكَانَ الْمُعْقِلُ الْمَعْرُوفُ بِشَلْبَطْرَةَ قَدْ عَلَقَتْ بِهِ حَبَائِلُ الصُّلْبَانِ ، وَضَجَرَ مِنْ نَاقُوسِهِ مَا فِي جِهَاتِهِ الْأَرْبَعِ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالْأَذَانِ ؛ مَرَّ قَبَ الدَّوِّ ، وَعُقَابُ الْجَوِّ ؛ الْعَلَمُ الْمُطْلَعُ عَلَى الْأَعْلَامِ ، وَالنَّكْتَةُ السُّودَاءُ الَّتِي هَبَتْ بِسَائِطِ الْإِسْلَامِ ؛ وَالْحُبَابَةُ الطُّلْعَةُ الَّتِي لَا حَالَ لِلْمُسْلِمِينَ مَعَهُ قَدْ جَعَلَتْهُ النَّصْرَانِيَّةُ إِلَى كُلِّ غَايَةِ جَنَاحًا ، وَأَعَدَّتْهُ إِلَى أَبْوَابِ

الماثل والملائك مفتاحاً ؛ فاستخَرْنَا الله تعالى على منازلته وقلنا : هو عين صاحب
 قشتالة إن قطعت قدم مقعد الدليل ، ونظنه عبرة إن لم يتحرك لها فقد قام على ضعفه
 أوضح دليل ؛ ونحن في ذلك بُرَاءٌ من القوة والحول ، ونتوكل على الله ذي الفضل
 والطول ؛ فقبل النزول من السروج ، ووضع الهند والوشيج ؛ حباهم الله بكل
 ضرب وجيع ، وموت حى سريع ؛ وملكوا عليهم أرباضهم وكانت من الذروة إلى
 البطحاء ، فأضرموها ناراً من جميع الأنحاء ؛ ونسخوا فيها آية النهار بالظلمة ؛
 فألقوا يد الاستسلام ، وذلوا لعزة الإسلام ؛ ورغبوا في أمد يقيمون فيه الحجة على
 صاحبهم فأذنوا لرسلمهم في التوجه إليه ، لعلمنا أن ذلك أشد من وقع السيوف عليه ؛
 فحينئذ وافقه رسلمهم اعترف لهم بالصفار ، وقلة القوة على الانتصار ، وفارقوه على
 تسليم الدار ، لمن له عقي الدار ؛ فنبذنا إليهم بأنفسهم احتقاراً ، وساروا إلى قومهم
 يحملون هموماً طوالاً وآمالاً قصاراً ؛ وعلى أثرهم طهر الله تعالى المعقل من الأدران ،
 ورقيت أعالیه أوىة الإيمان ، وبذل الله عز وجل فيه الناقوس بالأذان ، وحولنا
 كنيسةً مسجداً ومنبراً على تقوى من الله ورضوان .

٩٨ - شَلْطِيش

بالأندلس ، بقرب مدينة لبلة ، وهي جزيرة * لا سور لها ولا حظيرة ، إنما هي
 يتيان متصل بمقته ببعض ، وبها دار صناعة الحديد التي يسجز عن صنعه أهل البلاد
 لجفائه ، وهي صنعة المراسي التي ترسو بها السفن ، وقد تغلب عليها الجفوس مرات ،
 ويحيط بجزيرة شلطيش البحر من كل ناحية ، إلا مقدار نصف رمية حجر هناك

يجوزون لاستقاء الماء لشربهم ؛ وطول الجزيرة نحو ميل أو أزيد ، والمدينة منها في جهة الجنوب . وهذه المدينة بإزاء مدينة أوثبة ، ومقدار المجاز بينهما أربعة أميال^(١) .

وفي صفة استدارة البحر بهذه الجزيرة يقول عبدُ الجليل بن وهبُون من قصيدة يمدح بها المُعْتَمِد بن عَبَّاد [وافر] :

ألم تَرَ للجزيرة كيف أوفى عليها مثل ما انطف السوار
أعدَّ بها على شاطئه رسيًا ومدَّ يدًا إليك بها يسار
فإن يقبل تحيته فأحذر فربَّما تَوَاصَلَتِ البحار
يُحِيطُ كما يحيطُ بها ولكن لَسِطِ الدَّرِّ في العنق افتخار

وكان بهذه الجزيرة بَيْعٌ للأول ، واتَّخَذَتْ في الفتنة مدينةً ، ولها أرباضٌ واسعةٌ ، وبها آبارٌ عذبةٌ قريبة الأرضية ، وبساتين حسنة ، وفيها أطيب الصنوبر ،^{١٠} ولها مراعٍ خصيبة لا تتصوَّح ، وعيون ماء عذب تصلح بها الألبان والقطاني ، ومن خاصَّتها الثريدُ النفيسُ . ومدينة شَلُوطِيش مَرَفَأٌ للسُّفُن وركاب البحر ، ومرسأها كنٌّ بكلِّ ربح ، وهي كثيرة السفن ، وبها دارُ صناعةٍ لإنشائها ، ويسكنها جماعةٌ من النصارى ؛ ويكون طولها نحو أربعة أميال في عَرْضٍ يسير .

٩٩ — شَلُوبِينِيَّة

١٥

قريةٌ مسكونةٌ على ضَفَّة البحر ، بينها وبين المُنْكَب عشرة أميال ، ويجود فيها المَوْزُ وقَصَبُ السُّكَّر ، ولعلَّ الأستاذ أبا علي الشَّلُوبِين منسوبٌ إليها ؛ ويقال إن شَلُوبِينِيَّة تقابل من المدوة الأخرى مرسى مَلِيلَة ، ويقطع البحرُ بينهما في مَجْرَيْنِ .

١٠٠ - سُليّر

هو جبلُ الثلج المشهور بالأندلس ، وهو بإزاء جبل البيرة ، وهو متصلٌ بالبحر المتوسط ، مقتطعٌ بجبل رَيْه ، ويذكر ساكنوه أنهم لا يزالون يرون الثلج نازلاً فيه شتاءً وصيفاً . وهذا الجبل يُرى من أكثر بلاد الأندلس ويُرى من عدوة البحر ببلاد البَرْبَر ، وفي هذا الجبل أصنافُ الفواكه العجيبة ، وفي قُرَاهُ المتصلة به يكون أفضلُ الحرير والكتان الذي يفضل كَتَانُ الفَيْثُوم . وطوله يَوْمَانِ ، وهو في غاية الارتفاع ، والثلجُ به دائماً في الشتاء والصيف . ووادي آش وغرناطة في شمال هذا الجبل ، ووجهُ الجبل الجنوبي مُطَلٌّ على البحر ، يُرى من البحر على تَجَرِّي أو نحوه . وفيه يقول ابن صارة ، وأستغفر الله من كتب هذا الاستخفاف [طويل] :

يَحِلُّ لَنَا تَرْكُ الصَّلَاةِ بِأَرْضِكُمْ وَشَرَبُ الْحَمِيَّا وَهُوَ شَيْءٌ مُحَرَّمٌ
فِرَارًا إِلَى أَرْضِ الْجَحِيمِ فَإِنَّمَا أَحْنُ عَلَيْنَا مِنْ سُليّرٍ وَأَرْحَمُ
فَإِنْ كُنْتَ رَبِّي مُدْخِلِي فِي جَهَنَّمَ فَنِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ طَابَتْ جَهَنَّمُ

١٠١ - شَنْجَالَة

في طرف كُورَة تُدْمِرُ بالأندلس ممّا يلى الجوف ، ويقال لها أيضاً جَنْجَالَة ، وإليها يُنسب الوطاء الجَنْجَالِي لَعْمَلِهِ بِهَا .

١٠٢ - شَنْرَة

من مدائن الأشبونة بالأندلس على مقربة من البحر ، وينشأها ضبابٌ دائمٌ لا ينقطع ، وهى صحيحةُ الهوى ، تطول أعمارُ أهلها ، ولها حِصَتَانِ في غاية المنمة ،

ويئنها والبحر قدز ميل ، وهناك نهر ماؤه يصب في البحر ، ومنه شرب جناتهم ؛ وهي أكثر البلاد قحاً ، ويجل عندم حتى يبلغ دوزها أربعة أشبار ، وكذلك الكثرى ، ويجبل شنترة ينبت البنفسج بطبعه ، ويُخرج من شنترة عنبر جيد ، ويُخرج أيضاً في شذونة من بلاد الأندلس .

١٠٣ - شنترلانه

مدينة أو قرية بالأندلس ، على طريق قلشانة ، وهي عن يمين الطريق ، وناقوسها ملقى في الأرض لا حارس له ولا رقة عليه ، ويزعم أهلها أنه معقود بمنوع من جميع الناس ، وأن من أخذه لا يمكنه الخروج به من القرية ، وأن خصيتي من أخذه تتفخان ويشتد وجعها حتى يصرفه إلى موضعه ؛ هذا عندم صحيح لا يشكون فيه .

١٠٤ - شنترين

بالأندلس ، مدينة معدودة في كور باجة .

* وهي مدينة على جبل عال كثير الملو جداً ، ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولا سور لها ، وبأسفلها روض على طول النهر ، وشرب أهلها من العيون ومن ماء النهر ، ولها بساتين كثيرة وفواكه ومباقل ، ويئنها وبين بطليوس أربع مراحل^(١) .

وهي من أكرم الأرضين ، ونهرها يفيض على بطحائها كفيض نيل مصر ، فتزدري أهلها على ثراه عند انقطاع الزريعة في البلاد وذهاب أوائها ، فلا يقصر عن غنائ الطيب ولا يتأخر إناه وإدراكه .

ومن أقاليمها صقلب ، وهى أطيب بقاع الأرض ، يرفع فى أرضه عند توسط الرياح للحبّة مائة ، وعند كماله للحبّة مائتان . ولشنترين جزائر فى البحر مسكونة ، وكانت جباية شنترين ألفين وتسعمائة دينار ، وأحوازها متصلة بأحواز باجة .

وكان يوسف بن عبد المؤمن ملك المغرب اجتاز عليها فى حركته الأندلسية بمسكره ، وهو أربعون ألفاً من أنجاد العرب الفرسان ومن الموحدين والجنود والمطوعة وفرسان الأندلس ، واجتازها ما يُنيف على مائة ألف فارس ، وبرز أسطوله على الأشبونة ، وحاصرها عشرين يوماً ، ونزل على أعظم قواعد ابن الرنقى عدو المغرب ، وكان مؤذياً للمسلمين من قاعدته ، وهى شنترين هذه ، فبرز إليها فى أم لا تحصى ، وهناك عرض له المرض الذى توفى فيه ، أقام الرجل به على مطية مضطجعا على فراشه ، وضفئه يتزايد ، إلى أن تُفقد فى بعض أميال فوجد ميتاً ، وذلك فى سنة ٥٨٠ . فتقدم بالأمر ولده يعقوب المنصور . فقفل بالناس إلى إشبيلية . فبيع بها ورجع إلى مرّاكش .

١٠٥ - شنتمرية

مدينة فى الأندلس من مدن أكشوبة . وهى أول الحصون التى تعد لببّلونة ، وهى أتن حصون ببّلونة بنيانا ، وأعلاها سموكا ، مبتناة على نهر أرغون ، على مسافة ثلاثة أميال منه . وبناحية شنتمرية أعجوبة عاينها كل من دخل على تلك الناحية من المسلمين ، وذلك عين ينفجر بماء كثير ، ينظر الناس ذلك عيانا ، فإذا قربوا منها ، وقفوا عليها انقطع جريانها ، فلا تلبض بقطرة ، فإذا تباعد الناس عنها عادت إلى حالها ، وهذا

مستفيض لا يجهد له أحدٌ تَمَنِّ صَاقِبَ تلك الناحية .

* وشنترية على مُعْظَمِ البحر الأعظم ، سورُها يصعد ماء البحر فيه إذا كان فيه أَلْدُ ،
وهي مدينةٌ متوسطةُ القدر ، حسنةُ التربة ^(١) بها مسجدٌ جامعٌ ومِنْبَرٌ وجماعةٌ ، وبها
المراكبُ واردةٌ وصادرةٌ ، وهي كثيرةُ الأغاب والتين ، وبينها وبين شَلَب ثمانية
وعشرون ميلاً ^(٢) .

وإليها يُنسب الأستاذ أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتريّ الأعلم
ذو التصانيف المشهورة .

وهي مدينةٌ أَوَّلِيَّةٌ ، وبها دارُ صِنَاعَةٍ للأساطيل ، وبإزائها جزائرٌ في البحر ينبتُ
فيها شجرُ الصنوبر . ومن الفرائب ما ظهر بشنترية هذه في عشر السنين والخمسمائة ،
وذلك صبيٌّ يتوآصف المحققون ممَّن عاينَ أمره أن سنَّه خمسة أعوامٍ أو نحوها ، بلغ مَبْلَغَ ١٠
الرجال وأشعرَ ، وهذا مستفيضٌ عندهم .

١٠٦ - شنت ياقوب

كنيسةٌ عظيمةٌ عندهم ، وهي في ثغور ماردة ، وهذه الكنيسة مبنيةٌ على جسد
يعقوب الحواري ، يذكرون أنه قُتِلَ في بيت المقدس ، وأدخله تلامذته في مركب ،
فجرى به المركب في البحر الشأمي ، إلى أن خرج به إلى البحر المحيط ، حتَّى انتهى به إلى ١٥
موضع الكنيسة بساحلٍ فيه ، فبُنيت الكنيسةُ ليومٍ معروفٍ جُعِلَ عيداً لها ^(٣) .
وغزا شنت ياقوب عبدُ الرحمن بن المنصور أبي عامر سنة ٣٨٧ ، وأوسع أهلها قتلاً
وأشراً ، وقرأها وأسوارها هدماً وإحراقاً ، ومن إنشاء القسطلي رسالةً إلى الخليفة هشام بن

(١) ار : « الترتيب » (٢) ار من ١٧٩ (٣) ار من ٦٣ .

الحكم بن عبد الرحمن يخبره بالفتح ، وَيَصِفُ الكنيسة وأرضها ، وله فيها قصيدة مشهورة .

١٠٧ - شنفيره

حِصْنٌ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاوِجٍ مِنْ مُرْسِيَةِ الْأَنْدَلُسِ فِي شَرْقِيَّهَا ، مَشْهُورٌ بِالْمُنْعَةِ ، ظَفَرُ بِهِ
 فِي الصُّلَحِ مُحَمَّدُ بْنُ هُودٍ سَنَةَ ٦١٤ ، وَمَعَهُ خَمْسَمِائَةٌ مِنْ أَجْنَادِ الرِّجَالِ ، فَقَدَرُ بِهِ ؛ لِأَنَّ
 أَبَا سَعِيدَ بْنَ الشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ الْمُهْتَتَائِيَّ ، لَمَّا طَافَ عَلَى حُصُونِ الْأَنْدَلُسِ يَتَفَقَّدُهَا فِي
 أَيَّامِ الْهَدَنَةِ ، نَظَرَ إِلَى هَذَا الْمَعْقِلِ وَهُوَ بَارِزٌ إِلَى السَّمَاءِ مَعَ وَثَاقَةِ بَنَائِهِ فَأَعْجَبَهُ وَقَالَ : كَيْفَ
 أَخَذَ الرُّومُ هَذَا الْحِصْنَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؟ فَقِيلَ : غَدَرُوا بِهِ فِي زَمَانِ الصُّلَحِ ! فَقَالَ : أَمَّا فِي
 أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَجَازِيهِمْ ^(١) بِفَعْلِهِمْ ؟ فَسَمِعَهُ ابْنُ هُودٍ فَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ ، إِلَى أَنْ تَمَتَّ
 لَهُ الْحِيلَةُ ، فَطَلَعَ فِي سُلَّمٍ مِنْ حِبَالٍ فَذَبَحَ السَّامِرَ الَّذِي يَحْرُسُ بِاللَّيْلِ ، وَلَمْ يَزَلْ يُطْلَعُ رِجَالُهُ
 وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ حَصَلُوا بِجَمَلَتِهِمْ فِي الْحِصْنِ ، وَفَرَّ الرُّومُ الَّذِينَ خَلَصُوا مِنَ الْقَتْلِ
 إِلَى بُرْجٍ مَانِعٍ . فَقَالَ ابْنُ هُودٍ : إِنْ أَصْبَحَ هَؤُلَاءِ فِي هَذَا الْبُرْجِ جَاءَهُمُ الْمَدْدُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ !
 فَالْأَرَى أَنْ نَطْلُقَ النَّيْرَانَ فِي بَابِهِ ! فَلَمَّا رَأَوْا الدِّخَانَ ، وَأَبْصَرُوا اشْتِعَالَ النَّارِ طَلَبُوا الصَّاحِ
 عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا بِأَنْفُسِهِمْ ، فَكَانَ ذَلِكَ وَاسْتَوْلَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْحِصْنِ ؛ وَكَانَ الرُّومُ قَدْ
 أَرْسَلُوا فِي اللَّيْلِ شَخْصًا دَلَّوْهُ مِنَ الْبُرْجِ ، فَأَصْبَحَتِ الْخَيْلُ وَالرِّجَالُ عَلَى الْحِصْنِ ، وَقَدْ
 أَحْكَمَ الْمُسْلِمُونَ أَمْرَهُ ، فَانْصَرَفُوا فِي خَجَلَةٍ وَخَبِيئَةٍ ، وَتَرَدَّدَتْ فِي شَأْنِهِ الْمَخَاطِبَاتُ إِلَى
 مَرَاكُشَ ، فَقَالَ الْوَزِيرُ ابْنُ جَامِعٍ لَابْنِ الْفَخَّارِ : أَخَذْنَاهُ فِي الصُّلَحِ ، كَمَا أَخَذْنَا فِي
 الصُّلَحِ ! وَمِنْ هَذِهِ الْوَقِيعَةِ اشْتَهَرَ ابْنُ هُودٍ عِنْدَ أَهْلِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ، وَصَارُوا يَقُولُونَ :
 هُوَ الَّذِي اسْتَرْجَعَ شَنْفِيرَهُ !

١٠٨ - سُودَر

بالأندلس ، من كُور جِيَّان ، وهي قرية تُعرف بـغدير الزيت ، لكثرة زيوتها ،
وهي كثيرة المياه والبساتين ، بها جامعٌ من ثلاث بلاطات على أعمدة من رخام ، وسوقٌ
حافلة يوم الثلاثاء .

حرف الصاد

١٠٩ - الصُّخُور

حصنٌ صغيرٌ على نهر مرسية من الأندلس .

فيه دعا لنفسه محمد بن هود سنة ٦٢٥ ، وأبو العلى إدريس المأمون في إشبيلية ، وقد
صفت له ؛ وكان عازماً على التحريك إلى برّ العدو ، فبينما هو يروم ذلك إذ وصله
الخبر بقيام ابن هود هذا ، وكان من الجُند ، ولم يكن إذ ذاك أحدٌ من أكابر الأندلسيين
يطمع في ثيابة ، ولا يُحدث بها نفسه ؛ فبنو مرّديش في بلنسية ، وبنو عيسى في
مُرْسِيَة ، وبنو صناديد في جِيَّان ، وبنو^(١) في غرناطة ، وبنو فارس في قرطبة ،
و بنو وزير في إشبيلية ، لانتظام البرّين^(٢) على طاعة الدولة الممهّدة القواعد ، ورجوع
أمورها إلى إمام واحد ، حتّى اتفقت ثيابة العادل بِمُرْسِيَة ، ثمّ ثيابة البيّاسيّ ونكبته ،
ثمّ مبايعة أبي العلى بإشبيلية ، ففتحوا على دولتهم باباً رحله منه غيرهم ، فأوقع الله تعالى
في خاطر ابن هود هذا أنّه يملك الأندلس ، وتحدث بذلك مع من يثق به ، وذكر أنّه
محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العليم بن أحمد المُستنصر بن هود ، واحتقره السيّد الذي
كان في مرسية من قِبَل أبي العلى ، فجمع أصحابه وخرج بهم إلى الحصن المعروف
بالصُّخُور ، فدعا لنفسه ، واجتمع له جمعٌ من القطّاع ، ودُعَا الشّعاري والضّياع ؛ وقال
لهم : أنا صاحب الزمان ، وأنا الذي أرُدُّ الخطبة عبّاسيّة ! وخاطب بذلك أبا الحسن
القُسطليّ قاضى مرسية يومئذ ، وأعلمه أنّه إن تمكّن من هذا الغرض فإنّ الدولة تكون

(١) يابض في ت (٢) ت : « البربر » .

- في يده ، فَأَصْنَى الشَّيْخَ إِلَيْهِ إِصْغَاءً أَذْهَلَهُ عَنْ حَتْفِهِ الَّذِي بَحَثَ عَنْهُ (١) ، ثُمَّ
حَضَرَ الْقَاضِي الْقَسْطَلِيَّ عِنْدَ السَّيِّدِ الْمَلْقَبِ بِأَبِي الْأَمَانِ ، وَقَدْ لَاحَتْ عَلَيْهِ دَلَائِلُ الْخِذْلَانِ ؛
فَقَالَ : يَا سَيِّدِي ! هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِي الصُّخُورِ مَا زَالَ خَدِيمَكُمْ ، فَكَتَبْنَا لَهُ نُرْغَبَهُ فِي
الطَّاعَةِ وَنَعِدَهُ بِمَا يَكُونُ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ فِي إِثْرِ ذَلِكَ ، حَتَّى أَذْعَنَ ، وَهَاهُو قَدْ وَصَلَ لِيُقَبَّلَ
يَدَ كَرَمِ الْكَرِيمَةِ ، وَسَيِّدُنَا يَرْتَّبُ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ مَا يَكْفِيهِمْ عَنِ الثَّيَارَةِ ، وَيَرْجِي أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِمْ •
فِي قَطْعِ الْفَسَادِ ، عَنْ جِهَاتِ هَذِهِ الْبِلَادِ ! فَابْتَهَجَ السَّيِّدُ ، وَأَنْفَذَ إِلَيْهِ بِالْمُبَادَرَةِ ، فَلَمْ يَمَرَّ
إِلَّا الْقَلِيلَ حَتَّى دَخَلَ ابْنُ هُودٍ وَأَصْحَابُهُ مُرْسِيَةً فِي السَّلَاحِ ، فَبَعْدَ مَا مَالُوا لِتَقْيِيلِ يَدِهِ
قَبَضُوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ حَبَسُوهُ وَأَجْلَسُوا ابْنَ هُودٍ فِي مَكَانِهِ . وَخُطِبَ فِي أَوَّلِ جُمُعَةٍ لِلْمُسْتَنْصَرِ
الْعَبَّاسِيِّ ، ثُمَّ لِنَفْسِهِ بِالْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَعِنْدَمَا وَصَلَ الْخَبْرَ بِذَلِكَ إِلَى أَبِي
الْعَمَلِيِّ ، وَكَانَ عَزَمَ عَلَى جَوَازِ الْبَحْرِ ، تَمَثَّلَ [كَامِلٌ] :

١٠

إِنَّ الطَّيِّبَ إِذَا تَعَارَضَ عَنْده مَرْضَانِ مُخْتَلِفَانِ دَاوَى الْأَخْطَرَ
وَصَرَفَ وَجْهَهُ إِلَى مُرْسِيَةٍ ؛ فَفِي أَوَّلِ مَنْزِلَةٍ نَزَلَ بِهَا ، قَامَ الْأَسَاقِطُ أَبُو عَلِيٍّ الشَّلُوبِي
فَابْتَدَأَ ، فَنُطِبَ وَقَالَ : « ثَلَمَكَ اللَّهُ وَتَتَرَكْ » يَرِيدُ : سَلَمَكَ وَنَصَّرَكَ . وَكَانَ يَرُدُّ السَّيْنَ
وَالصَّادِقَاءَ . وَقَامَ بَعْدَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ ، فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةً أَوَّلُهَا [خَفِيفٌ] :

١٠

خَدَمْتُكَ السَّيُوفُ وَالْأَقْلَامُ وَأَنَاخْتُ لِأَمْرِكَ الْأَيَّامُ

وَقَامَ الْكَاتِبُ الْبَلَوِيُّ فَأَنشَدَ قَصِيدَةً مِنْهَا [سَرِيعٌ] :

أَرْزَلْتَ مُرْسِيَةً وَقَدْ عَصَتْ لَنَا قَدِيمًا طَائِعًا أَكْثَرُ

مَنَابِرُ يَا لَكَ قَدْ أَصْبَحَتْ مَنَاطِرًا (٢) إِنَّ قَدْ عَصَى مَنَبِرُ

(١) ت : « مطلقه وواحد » (؟) (٢) ت : « غاطر » .

فكره أبو العلي ما أتوا به ، واسود وجهه ، فتطير الحاضرون بذلك ، وامتنع أبو العلي بعد هذا المجلس من كلام الخطباء ، وإنشاد الشعراء ، في هذه القضية ؛ وأقام محاصراً لابن هود حتى رحل في السنة الثانية ، وعلم أهلها أنهم لا ينضمهم معه إلا التحريك على ساعد الجد ، وعلم هو أنه لا تجوز عليهم حيلة ولا تنفع فيهم موعظة ، وكان الأمر على ما نطق به القدر على السنة أولئك .

١١٠ - صَدِينَة

من كور شدوة ببلاد الأندلس ، أزلية قاعة الأسوار ، باقية الآثار ، تطرد المياه داخلها من عين ثمة تطحن على جنوبها الأرحاء ، وهي في غاية الحصانة ، لا ينفذ جيش إليها ، ولا يتوصل عسكر للنزول عليها ، وهذه العين غصن نهر بوصة .

صرف الطاء

١١١ - طَارِق

جبل فيه خرج طارق بن زياد ومنه افتتح الأندلس ، وهو عند الجزيرة الخضراء ،
ويجبل طارق مرسى مكن من كل ربح ، وبه غربية ، وهو غار هناك يعرف بغار
الأقدام ، يرى من البطحاء التي تلي الغار أثر قدم أبداً وليس هناك طريق ولا منفذ إلى
غير الغار ، وقد مسحت تلك البطحاء وسويت ، ثم أتوها من الغد ، فوجدوها فيها أثر
القدم ، جرب ذلك مراراً

وكان أحد خلفاء بني عبد المؤمن أمر ببناء مدينة على جبل طارق ، فندب إليها
البنائين والتجارين وقطاع الحجر للبيان والجيار من كل بلدة ، وخطت فيه المدينة
وقدم إليها من المال ما يعجز كثرة ، واتخذ فيها الجامع وقصرًا له ، وقصورًا تجاوره ١٠
للسادة بنيه ، وتولى العمل في ذلك ، وأقطع أعيان وجوه البلاد فيه منازل ، نظروا في
بنائها ، بعد أن حفروا في سفح الجبل مواضع نبع فيها الماء ، وجمع بعضها إلى بعض
حتى سال منها جدول عم المدينة لأنفسهم ومواشيهم ، من أعذب الماء وأطيبه ، يصب
في صحن عظيم اتخذ له ، وأجرى إلى الجنات المغترسة بها عن أمره ، فلاحين ما جاءت
مدينة تفوت المدن حسنًا وحصانةً ، لا يدخل إليها إلا من موضع واحد ، قد حصن ١٥
بسور منيع من البيان الرفيع ، ومتمت بمدينة الفتح ، وقالت الشعراء فيها ، ثم جاز إليها
في سنة ٥٥٦ هـ ، وورد الوفود عليه هناك ، فتلقاهم بالكرامة ، وفَتَّ ذلك في عهد العدو .

١١٣ - طالقة

مدينة بالأندلس ، بقرب إشبيلية ، وهى من المدن القديمة ، وكانت دار مملكة الأفارقة بالأندلس ، وكانت من مدن إشبيلية المتصلة بها فى سالف الدهر وهى خراب ، إذ كان إشبان بن طيطش غزا طالقة وحاصر ملكهم بها حتى فتحها وتغلب على مملكتهم ، فهدم طالقة ونقل رخامها وآلاتها إلى إشبيلية وبه سميت ، واتخذها دار ملكه ، وكثرت جموعه ، فعلا فى الأرض وغزا من إشبيلية إبلية بعد سنتين من ملكه ؛ خرج إليها فى السفن فغنمها وهدمها ، وقتل من اليهود مائة ألف ، واسترق مائة ألف ، وفرق فى البلاد مائة ألف ، وانتقل رخام إبلية وآلاتها إلى الأندلس ، والغرائب التى أصيبت من مغنم الأندلس كجائدة سليمان التى ألفاها طارق بن زياد بكنيسة طليطلة ، وقليلة الدر التى ألفاها موسى بن نصير بكنيسة ماردة وغيرها من الذخائر ، إنما كانت مما صلو لصاحب الأندلس من غنيمة بيت المقدس إذ حضر فتحها مع بخت نصر .

وحكوا أن الخضر وقف بإشبان هذا وهو يحرق الأرض فى حديثه فقال له : يا إشبان ، إنك لدوشان ، وسوف يحطيك زمان ، ويعليك سلطان ؛ فإذا أنت غلبت على إبلية ، فارفق بذرية الأنبياء ! فقال له إشبان : أسأجرك أنت ورحمك الله ؛ أتى يكون هذا وأنا ضيف مدين ؟ فقال : قدّر ذلك من قدر فى عصاك اليابسة ما تراه ! فظفر إشبان إلى عصاه فراحا قد أورقت ، فريع لما رأى ، وذهب الخضر عنه وقد وقر ذلك الكلام فى نفسه ، والثقة بكونه ؛ فترك الامتهان ، وداخل الناس ، وصحب أجل الناس ، وسما به جدّه ، فارتقى فى طلب السلطان حتى نال منه عظيماً ؛ وكان ملكه عشرين سنة .

- واتصلت مملكة الإشبانيين بعده إلى أن ملك منهم الأندلس خمسة وخمسون ملكاً^(١).
 وكانت بطائفة آتار وعجائب غربية؛ فمن ذلك صورة جارية من مَرَمَر لم تُسمع
 في الأخبار، ولا رُوي في الآثار، صورة أبدع منها في قالب جارية، كاملة القد، حسنة
 الجسم، جميلة الوجه، صُورَ كلُّ عضوٍ من أعضائها، وكلُّ جارية من جوارحها
 على أتم ما يكون، وأفضل ما يُستحسن في جوارح المرأة؛ وفي حِضْنِها صورة صبي
 على مثل من الحكمة والإتقان، وقد صُوِّرت حَيَّةٌ تصعد من قدمها كأنها تريد نهش
 الصبي، فنظرها بين مَصْعَدِ الحَيَّة ومكان الطفل كالمشفقة الحذرة يتبين ذلك في التقلُّب،
 ولو وقف الناظر لتأملها عامَّة نهاره لم يَسَأَمْ ذلك ولا مله، لدقيق صنعها وغريب
 حكمها؛ وهذه الصورة موضوعة في بعض حمامات إشبيلية، وقد تعشَّقا^(٢) جماعة من
 العوام، وشغف بها أناس من الطغام؛ فتمطلت أشغالهم، وانقطعت متاجرهم ١٠
 بالنظر إليها.

١١٣ - طيرة

لا أدري أهي طلبة بزيادة لام أو غيرها، فإن كانت هي فهي مذكورة بعد.

١١٤ - طرسونة

- بالأندلس، كانت مستقرَّ العمَّال والقواد بالثغور، وكان أبو عثمان عُبيد الله بن
 عثمان المعروف بصاحب الأرض اختارها محلاً، وآثرها على مدن الثغور منزلاً؛ وكانت
 تردُّ عليه عشر مدينة أربونة وبرشلونة، ثم عادت طرسونة من بنات تطيلة عند تكاثر
 الناس بتطيلة، وإيثارهم لها، لفضل بُقعتها، واتساع خطتها، وبينهما اثنا عشر ميلاً.

(١) ما تقدم هو تكرار بعض ما في ترجمة الأندلس • راجع أعلاه • •

(٢) ت و ص: «تعشقا» •

١١٥ - طُرُوشَة

من بلنسية إلى طُرُوشَة مائة ميل وعشرون أميال ، مسيرة أربعة أيّام .
 * وهي في سفح جبل ، ولها سورٌ حصينٌ ، وبها أسواقٌ وعماراتٌ وضياعٌ ^(١) وفقعة ،
 وإنشاءٌ للمراكب الكبار من خشب جبالها ، وبجبالها خشب الصنوبر الذي لا يوجد
 له نظيرٌ في الطول والغلط ، ومنه تتخذ الصواري والقُرى ، وهو خشب أحمر صافي
 البشرية ^(٢) بعيد التغير ، لا يفعل فيه السوس ما يفعله في غيره من الخشب ، ومنها إلى
 طُرُ كونة خمسون ميلاً ، وبينها وبين البحر الشاطئ عشرون ميلاً ^(٣) .

وقصبة طرطوشة على صخرة عظيمة سهلة الأعلى ، وفي الشرق من القصبة جبل
 الكهف ^(٤) (وهو جبل أجرد) والمصلى ؛ والمدينة في غربي القصبة وجوفيتها ؛ وعلى
 المدينة سورٌ صخر من بناء بني أمية ، على رسم أوليّ قديم ؛ ولها أربعة أبواب ، وأبوابها
 كلّها ملبسة بالحديد ، ولها أرباض من حومة الجوف والقبلة ودار الصناعة قد أحرق على
 ذلك كله سورٌ صخر حصين ، بناه عبد الرحمن بن النّظام ، وبها جامع من خمس بلاطات ،
 وله رَحبة واسعة ، بنى سنة ٣٤٥ ؛ وبها أربعة حمامات ، وسوقها في الرّبط القبليّ جامعة
 لكلّ صناعة ومتجر ، وهي باب من أبواب البحر ، ومرّقي من مرّاقيه ^(٥) ، تحلّها التجار
 من كلّ ناحية ، وهي كثيرة شجر البقس ، ومنها يفترق إلى النواحي ، وخشبها الصنوبر
 له خاصيّة في الجودة تفوق جميع خشب الأمصار . وقصبة طرطوشة في المنعة والسّموّ

(١) ار : د صناع (٢) ار : د البصرة (٣) ار ص ١٩٠ ، راجع ار ص ص ٦٩

(٤) ت : « الكهن » ، سي : « الكهر » (٥) كذا في س ، مصححا . وفي ت . « مرنا

إلى حدٍّ لم يستوفِهِ بالصفة إلاَّ عبد الملك بن إدريس الكاتب المعروف بالجزيريّ، حين سجنه بها المنصور بن أبي عامر، فقال يصفُ حاله هناك من قصيدة طويلة مشهورة [كامل]:
 في رأسٍ أجردٍ شاهقٍ على الذرى ما بعده لمؤملٍ من مُنصرٍ
 يَهْوِي^(١) إليه كلُّ أعور^(٢) ناعقٍ وتهبُّ فيه كلُّ ريحٍ صرصرٍ
 ويكاد من يرقى إليه مرّةً من دهره^(٣) يشكو انقطاع الأبر^(٤)

وأول هذا الشعر:

ألوى بعزم تجلدى وتصبرى نأى الأجبّة واعتماد تذكرٍ
 شحط المزارُ فلا مزارَ ونافرت عيني المجوع فلا خيال يعترى
 وقصرت عنهم فاقصرت على جوى لم يدع بالواني ولا بالمقصير
 ومن أهل طرطوشة، الفقيه الإمام الزاهد، أبو الوليد الطرطوشى الفهرى؛
 نزل الإسكندرية، صاحب التعلّقة فى الخلاف، وكتاب الحوادث والبدع وغير ذلك؛
 سكن بغداد، وتفقه على أبى بكر الشاشى، وسمع بها الحديث وهو مالكي المذهب.
 قالوا: وزهده أكثر من علمه، وانتفع به جماعة، وانجلب إليه أكثر من مائتى فقيه
 مُفتٍ؛ ومن كبار أصحابه أبو الطاهر بن عوف، وسند بن عنان الأزديّ؛ وعاصر
 الغزاليّ، وله فى إحيائه كلامٌ، وكان منحرفاً عنه، سبّ الاعتقاد فيه؛ وكانت وفاته
 بعد العشر والحسمائة.

١١٦ — طرّكُونة

بالأندلس، يَبْنِها ويَبْنِ لاردة خمسون ميلاً. وطرّكُونة مدينة أزلّية، قاعدة من

(١) موه: «ياوى» (٢) ت و سم: «جرد» (٣) موه: «من عمره»

(٤) راجع المطبع للفتح ص ١٥ (ط. مصر)، وموه ج ١ ص ٣٨٦.

قواعد العاقلة^(١) ، وجعلها قُسْطَنْطِينَ في القسم الثالث من الأندلس ، وأضاف إليها مُدُنَ ذلك القسم .

- * وهي مَبْنِيَّة على ساحل البحر الشَّامِي ، ومعالمُها باقيةٌ لم تتغيَّر ، وأكثر سورها باقٍ لم يهدم ، وهي أكثر البلاد رخامًا محكَّمًا ، وسورها من رخام أسود وأبيض ، وقليلًا ما يوجد مثله^(٢) ؛ ومن الغرائب بطرٌ كونه أرحلًا نصَّبها الأول ، تطحن عند هبوب الريح وتسكن بسكونها ؛ وذكر أهلُ العلم باللسان اللطيني أن معنى طرٌ كونه « الأرض المشبهة بالجنة »^(٣) ، وكانت في قديم الزمان خاليةً ، لأنها كانت فيما بين حدِّ المسلمين والروم ؛ والأخياس^(٤) بها كثيرة ، ومبانيها كبيرة ، وبها أساطين زفيعة ، مما تفضل الأوهام في حكمته ، ويمجز المتكلفون اليوم عن صنعته . وذكر شيخ ثقة من أهل شَبْرَانَة ، يقال له ابن زَيْدَان ، أنه كان يخرج في السرايا إلى تلك الناحية ، فنزل في بعض خرجاته مع جماعة من أصحابه في البنيان الذي تحت مدينة طرٌ كونه ، فأرادوا التحول منه فضلُّوا ولم يهتدوا منه لمخرج ، وتردَّدوا كذلك ثلاثة أيام ، حتَّى هُدُوا في آخر اليوم الثالث لما أراد الله تعالى من إبقائهم . وزعم قومٌ أنهم وجدوا هناك بيوتًا مملوءة قعًا وشعيرًا من الأزمان السالفة ، قد اسودَّ حُبُّه ، وتغيَّر لونه ؛ وفي هذه المدينة يكمن المسلمون عند طلب الفرصة في الغزو ، وفيها يكمن العدو أيضًا للمسلمين .

١١٧ - طَرِيَانَة

من كور إشبيلية بالأندلس ، كان بها الفُتُش بن فَرَزْدَنْد الطاغية واعد قوَّاد

(١) ت و س : « العاقلة » (٢) د و س س ٦٩ (٣) ت : « بالجنة » .

(٤) ت : « الأخياس » ، س : « الأخياس » وله « الأخناس » .

جيوشه للاجتماع فيها عام الزلافة لمحاصرة ابن عبّاد بإشبيلية في سنة ٤٧٩ ، فأخاف الله ظنّه ، وعكس عليه أمّله ؛ وكان ما كان في الزلافة من نصر الله تعالى للمسلمين والفتح لهم ، فله الحمد ؛ وقد مرّ ذلك في رسم الزلافة . ومن كلام عامّة إشبيلية لفتك^(١) :

« وطريانة تؤدى الجعل ! »

١١٨ - طريف

اسمُ بلدٍ جزيرة طريف ، على البحر الشأمي ، في أوّل المجاز المسَمّى بالزقاق ، ويتصل غربها ببحر الظلمة ؛ وهي مدينةٌ صغيرة عليها سورُ ترابٍ ؛ ويشقّها نهرٌ صغير ، وبها أسواقٌ وفنادقٌ وحماماتٌ ؛ ومن جزيرة طريف إلى الخضراء ثمانية عشر ميلاً .

وكتبَ موسى بن نصير إلى الوليد يستأذنه في اقتحام الأندلس ؛ فراجعته : خضها بالسرايا ، ولا تفرّج بالمسلمين في بحرٍ شديد الأهوال ! فراجعته : ليس يبحر زخار إنما هو خليجٌ يتبيّن للناظر ما خلقه ! لجأويه : وإن كان فلا بد من اختبارِه بالسرايا قبل اقتحامه ! فبعث موسى رجلاً من مواليه من البربر اسمه طريف ، يكنى أبا زرعة ، في أربعمئة رجل ، معهم مائة فرس ، في أربعة^(٢) صراكب ؛ فنزل بالخضراء التي هي معبر سفائهم^(٣) ؛ وهي التي يقال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله بها ؛ فأغار عليها ، فأصاب سبيك ، لم ير موسى ولا أصحابه مثله حسناً ، ومالاً جسيماً ، وأمتعة ؛ وذلك سنة ٩١ .

١١٩ - طليبة

بالأندلس أيضاً ، بينها وبين وادي الرمل خمسة وثلاثون ميلاً ؛ وهي أقصى ثغور

(١) كذا في س مصحح وفي ت : « لك » (٢) ت و س : « أربعة »

(٣) كذا في ت و س .

المسلمين ؛ وباب من الأبواب التي يُدْخَلُ منها إلى أرض المُشْرِكِينَ ، وهي قَدِيمَةٌ أَزَلِيَّةٌ على نهر تَاجُجْ . وهي في الجزء الثالث من قِسْمَةِ قُسْطَنْطَيْنِ .

* وهي مدينةٌ كَبِيرَةٌ ، وقَلْعَتُهَا أَرْفَعُ الْقِلَاعِ حِصْنًا ، ومَدِينَتُهَا أَشْرَفُ الْبِلَادِ حَسَنًا ، وهو بلد واسع الساحة ، كثير المنافع ، به أسواق وديارٌ حَسَنَةٌ ؛ ولها على نهر تَاجُجْ أَرْحَامٌ كَثِيرَةٌ ، ولها عَمَلٌ واسعٌ ، ومزارعها زَاكِيَةٌ ؛ وبينها وبين طَلِيْطَلَة سبعون مِيلًا ^(١) .

١٢٠ - طَلَمَنْكَة

مدينةٌ بَشْعَرُ الْأَنْدَلُسِ ، بناها الأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ منها أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لُبِّ بْنِ يَحْيَى الْمَعَارِيُّ الطَّلَمَنْكِيُّ الْمُقَرِّيُّ ؛ وبينها وبين وادي الْحِجَارَةِ عَشْرُونَ مِيلًا .

١٢١ - طَلِيَّاطَة

بِالْأَنْدَلُسِ ، يَنْتَهَا وَبَيْنَ إِسْبِيلِيَّةٍ عَمَلَّةٍ مِنْ عَشْرِينَ مِيلًا ، وَمِنْ طَلِيَّاطَةِ إِلَى لَبْلَةِ عَمَلَّةٍ مِثْلَهَا .

وَفِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٦٢٢ كَانَتْ الْوَقِيعَةُ عَلَى أَهْلِ إِسْبِيلِيَّةٍ بِفَحْمِ طَلِيَّاطَةِ ، فَأَغَارَ الرُّومُ الْفَرِثِيُّونَ عَلَى تِلْكَ الْجُمَةِ ، وَغَنَمُوا مَا وَجَدُوا ، وَسَاقُوا مَا أَصَابُوا ، وَالْعَادِلُ صَاحِبُ الْمَغْرِبِ يَوْمَئِذٍ بِإِسْبِيلِيَّةٍ ، وَوَزِيرُهُ أَبُو زَيْدِ بْنِ وَجَّانَ ، وَمَعَهُمَا أَهْلُ الدَّوْلَةِ وَأَشْيَاخُ الْأَمْرِ ، وَلَا غَنَاءَ لَدَيْهِمْ ، وَلَا مَدْفَعَ عِنْدَهُمْ ، إِذْ كَانَ الْأَمْرُ قَدْ أَدْبَرَ وَرَوْنَقُ الدَّوْلَةِ قَدْ

تَغَيَّرَ . ومن نزلت به من الناس مصيبةٌ أو أُغِيرَ له عَلَى سَرَجٍ لَمْ يَزُجْ مُغِيثًا وَلَا يَجِدْ
نَصِيرًا ؛ وكان خَبْرُ هؤلاء الرُّومِ بلغ إِشْبِيلِيَّةَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ ، واجتمع جمعٌ كثير من
العامة في المسجد الجامع ، فلما فُرِغَ من صلاة الجمعة قاموا فصاحوا بالسلطان يَحْمِلُونَهُ
عَلَى الْخُرُوجِ ؛ فلَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ خَرَجَ الْمُتَنَادِي يُنَادِي النَّاسَ بِالْخُرُوجِ ، فَأَخَذُوا فِي
ذَلِكَ وَتَجَهَّزُوا ، وخرج بعضهم في ذلك اليوم ، ولما كان يوم الأحد جَدَّ النَّاسُ ،
فخرجوا عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ ، كبارُهم وصِغارُهم ، بسلاحٍ وبغير سلاح كما يَخْرُجُونَ
إِلَى نَزَاهَتِهِمْ فِي الْبَسَاتِينِ وَالْجَنَاتِ ، فَتَكَامَلَ بَعْضُهُمْ فِي جِهَةِ طَلِيَّاطَةِ يَوْمِ الْأَحَدِ ، ولم
يُخْرِجْ مَعَهُمْ مِنَ الْخَيْلِ إِلَّا دُونَ الْمِائَةِ ؛ وَالرُّومُ فِي عَدَدٍ ضَخْمٍ ، عَلَيْهِمُ الدَّرُوعُ ، وَأَيْدِيهِمُ
الْأَسْلِحَةُ ، وَأَكْثَرُ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ سِلَاحٍ إِلَّا مَا لَا قُدْرَةَ لَهُ ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ الْأَسْوَاقِ
وَالْبَاعَةِ ؛ وَكَانَ فِي مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجُنْدِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ يَزِيدٍ ، وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْحَرْبِ مِنْ هَؤُلَاءِ الرِّعَاعِ وَالْفَوَغَاءِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ، فَصَاحُوا بِهِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى لِقَاءِ
الْعَدُوِّ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ وَنَهَاهُمْ وَحَذَّرَهُمْ ؛ فَأَبَوْا عَلَيْهِ إِلَّا اللَّقَاءَ ، وَسَبَّوْهُ ، وَأَذَوْهُ بِالْقَوْلِ ؛
فَزَهَمَهُمْ وَانصَرَفَ عَنْهُمْ ، هُوَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْخَيْلِ ، إِذْ رَأَوْا مَا لَمْ يَرَوْهُ ، وَعَايَنُوا
مَا لَمْ يُعَايِنُوهُ ، وَأَبْصَرُوا مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ ؛ فَلَمَّا رَأَى الرُّومُ ذَلِكَ مَالُوا عَلَى أُولَئِكَ الْعَامَّةِ ،
فَلَمَّا رَأَوْهُمْ مُسْتَقْبِلِينَ لَهُمْ أَخَذُوا فِي الْفِرَارِ ، فَوَقَعَ الْقَتْلُ بِهِمْ ، فَأَفْنَى مِنْهُمْ بِالْقَتْلِ وَأَسِيرَ
مِنْهُمْ كَثِيرٌ ، وَأَفْلَتَ كَثِيرٌ ؛ وَكَانَ النَّاسُ بَعْدُ يَخْتَلِفُونَ فِي مَقْدَارِ مَنْ أَتَى الْقَتْلُ عَلَيْهِ مِنْ
أَهْلِ إِشْبِيلِيَّةِ وَالْأَسْرُ ، فَمُقَلَّلٌ وَمُكَثَّرٌ ، فَالْمُكَثَّرُ يَقُولُ بَلَّغُوا عَشْرِينَ أَلْفًا ، وَقِيلَ دُونَ
ذَلِكَ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَخَرَجَ الْعَادِلُ مِنْ إِشْبِيلِيَّةٍ مُتَوَجِّهًا إِلَى حَضْرَةِ مَرَاكُشٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ
مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَهِيَ سَنَةُ ٦٢٢ .

١٢٢ - طليطلة

بالأندلس ، بينها وبين البرنج المعروف بِوَادِي الْحِجَارَةِ خمسة وستون ميلاً ، وهي مركزٌ لجميع بلاد الأندلس ، لأنَّ منها إلى قرطبة تسع مَرَّاحِلَ ، ومنها إلى بلنسية تسع مَرَّاحِلَ أيضاً ، ومنها إلى المريّة في البحر الشاميّ تسع مَرَّاحِلَ أيضاً .

* و طليطلة عاصمة القطر ، كثيرة البشر ، وهي كانت دار الملك بالأندلس حين دخلها طارق ؛ وهي حصينة ، لها أسوارٌ حسنة ، وقصبة حصينة ، وهي أزليّة من بناء العماليقة ، وهي على ضفة النهر الكبير ، وقل ما يرى مثلها إتقاناً وشماخةً بنيان ، وهي عالية الندى^(١) ، حسنة البقعة ، ولها قنطرة من عجائب البنيان ، وهي قوسٌ واحدة ، والماء يدخل تحتها بعنفٍ وشدة جري ، ومع آخر القنطرة^(٢) ناعورة ، وارتفاعها في الجو تسعون ذراعاً ، وهي تُصبغ الماء إلى أعلى القنطرة ، ويجري الماء على ظهرها فيدخل المدينة^(٣) .

وكانت طليطلة دار مملكة الروم ، وكان بطليطلة بيتٌ مُعلّقٌ مُتّحاتي الفتح على الأيام ، عليه عدّة من الأقفال ، يلزمه قومٌ من ثقات القوط قد وُكِّلوا به لثلاً يفتح ، قد عهد الأوّل في ذلك إلى الآخر ، فلما قعد لُدْرِيقُ مَلِكاً أتاه أولئك الموكّلون بالبيت يسألونه أن يقفل على الباب فقال : لا أفعل حتى أعلم ما فيه ولا بد لي من فتحه فقالوا : أيّها الملك إنّه لم يفعل هذا أحدٌ قبلك فلم يلتفت إليهم ومضى إلى البيت ، فأعظمت ذلك العَجَمُ ، وضرع إليه أكابرهم ، فلم يفعل وظنَّ أنّه بيتٌ مالٍ قد احترمته الملوك ؛

(١) ت و س : « الندر » . (٢) ت : « النهار » ، س : « النهار » . (٣) ا و س : ١٨٧ .

فَقَضَّ الْأَقْفَالَ عَنْهُ ، وَدَخَلَ ، فَأَصَابَهُ فَارِغًا لَاشَى فِيهِ إِلَّا تَابُوتًا عَلَيْهِ قِفْلٌ ، فَأَمَرَ بِفَتْحِهِ
 فَأَلْفَاهُ أَيْضًا فَارِغًا لَيْسَ فِيهِ إِلَّا شَقَّةٌ مُدْرَجَةٌ صُوِّرَتْ فِيهَا صُورُ الْعَرَبِ ، عَلَيْهِمُ الْعِمَامُ
 وَتَحْتَهُمُ الْخَيْلُ الْعَرَابُ ، مُتَقَبِّلِي السِّیُوفِ ، مُتَنَكِّبِي الْقِیْسِ ، رَافِعِي الرِّیَاحِ ،
 وَفِي أَعْلَاهَا أَسْطُرٌ مَكْتُوبَةٌ بِالْعَجْمِيَّةِ فَقُرِئَتْ فَإِذَا فِيهَا : إِذَا كُثِرَتِ الْأَقْفَالُ عَنْ هَذَا
 الْبَيْتِ ، وَفُتِّحَ هَذَا التَّابُوتُ ^(١) ، وَظَهَرَ مَا فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصُّوَرِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمُصَوَّرَةَ ٥
 فِي هَذِهِ الشَّقَّةِ تَدْخُلُ الْأَنْدَلُسَ فَتَغْلِبُ عَلَيْهَا وَتَمْلِكُهَا ! فَوْجٌ لِنَدْرِيقٍ وَنَدَمٌ عَلَى مَا فَعَلَ ،
 وَعَظْمُ غَمٍّ وَغَمُّ الْعَجَمِ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِرَدِّ الْأَقْفَالِ ، وَإِقْرَارِ الْخُرَّاسِ ، وَأَخَذَ فِي تَدْيِيرِ
 مُلْكِهِ ، وَذَهَلَ عَمَّا أَنْذَرِيهِ ، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِ يِلْيَانَ عَامِلٍ لِنَدْرِيقٍ عَلَى سَبْتَةِ وَأَمَرَ
 ابْنَتَهُ فِي الْخَبْرِ الْمَشْهُورِ مَا سَبَّبَ إِثَارَةَ عِزِّهِ عَلَى إِدْخَالِهِ الْعَرَبَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، إِلَى أَنْ
 كَانَ ذَلِكَ وَسَبَّبَ اللَّهُ فَتْحَهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ ^(٢) ، وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ يُذَكَّرُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ . ١٠
 * وَوَجَدَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ فِيهَا ذَخَائِرَ عِنْدَ افْتِتَاحِ الْأَنْدَلُسِ ، كَادَتْ تَفُوقُ الْوَصْفَ
 كَثَرَةً ؛ فَفِيهَا مِائَةٌ وَسَبْعُونَ تَاجًا مَرْصُوعَةً بِالذَّرِّ ، وَأَصْنَافُ الْحَجَارَةِ الثَّمِينَةِ ، وَوَجَدَ فِيهَا
 أَلْفَ سَيْفٍ مَجُوهَرٍ مَلُوكِيٍّ ، وَوَجَدَ بِهَا مِنَ الذَّرِّ وَالْبَاقُوتِ أَكْبَالًا وَأَوْسَاقًا ، وَمِنْ
 آيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَنْوَاعِهَا مَا لَا يَحِيطُ بِهِ وَصْفٌ ^(٣) ، وَوَجَدَ بِهَا مِائَةَ سَلِيمَانَ بْنِ
 دَاوُدَ ، وَكَانَتْ فِيمَا يُذَكَّرُ مِنْ زَمْرُودَةٍ ، وَهَذِهِ الْمِائَةُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ رُومِيَّةٍ ^(٤) . ١٥
 وَزَعَمَ رِوَاةُ الْعَجَمِ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ لِسَلِيمَانَ ، وَإِنَّمَا أَصْلُهَا أَنَّ الْعَجَمَ ، فِي أَيَّامِ مُلْكِهِمْ ، كَانَ
 أَهْلُ الْحَسْبَةِ فِي دِينِهِمْ ، إِذَا مَاتَ أَحَدُهُمْ أَوْصَى بِأَلٍ لِلْكَنَائِسِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ عَنْدهُمْ ذَلِكَ

(٢) راجع ما قد ذكر أعلاه ص ٨ .

(٤) ارجع ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(١) ت و س : « البيت » .

(٣) ارجع « تمصيل » .

المال صاغوا منه آلات من الموائد والكراسي وغيرها ، من الذهب والفضة ، يحمل
 الشماسة والقسوس فوقها مصاحف الأناجيل إذا أُرِزَتْ في أيَّام المناسك ، ويضعونها
 على المذابح في الأعياد لمباهاة بزيتها ، فكانت تلك المائدة بطليطلة ممَّا ضُيِّعَ^(١) في هذه
 السبيل ، وبالغت الأملاك في تحسينها^(٢) ، يزيد الآخر منهم فيها على الأوَّل ، حتَّى
 برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات ؛ وطار الذِّكر بها كلَّ مطار . وكانت مَصُوغَةً
 من خالص الذهب ، مرصَّعةً بفاخر الدُّر والياقوت والزُّبرجد^(٣) ، لم ترَ الأعْيُنُ مثلها ،
 فولع في تحسينها من أحلَّ دار الملكة^(٤) . وأنه لا ينبغي أن يكون بموضع آلهِ جمالٍ
 أو متاعٍ مباهاةٍ إلَّا دون ما يكون فيها ؛ وكانت توضع على مذبح كنيسة طليطلة
 فأصابها المسلمون هناك . وقصَّةُ اتِّصالها إلى سليمان بن عبد الملك ومنازعة موسى بن
 نصير وطارق مولاه في رحلتها مشهورة . ١٠

١٥ . قال ابن حيَّان : ومضى طارق خلف فرار أهل طليطلة ، فسلك إلى وادي
 الحجارة ، ثمَّ استقبل الجبلَ فقطعه ، فبناغ مدينة المائدة ؛ والمائدة خضراء من زبرجدة ،
 حافاتها منها ، وأرجلُها ؛ وكان لها ثلاثمائة وخمسة وستون رجلاً ، فأحرزها عنده .
 * وبطليطلة بساتين محدقة ، وأنهار مخترقة ، ودواليب دائرة ، وجنات يانعة ،
 وفواكه عديمة المثل ؛ ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ، وقلاع منيعة ؛ وعلى بُعد منها
 في جهة الشمال ، الجبل العظيم المعروف بالشارَّات ، فيه من البقر والغنم الشيء الكثير ،
 الذي يتجهَّز به الجلابون إلى سائر البلاد ؛ ولا يوجد شيء من أبقاره وأغنائه إلَّا في

(١) ت و س : « صنع » . (٢) موه : ج ١ ص ١٧٢ : « تأقت الأملاك في تفخيما » .

(٣) موه : « الزمرد » . (٤) موه : « فبولع من تحسينها من أجل دار الملكة » .

لحاية من السمن ، ولا يوجد مهزولاً ألبتة ، ويُضرب به المثل في ذلك في جميع الأقطار بالأندلس ؛ وعلى مقربة من طليطلة قرية تُسمى بِنَمَام ، وجبالها وتراها الطين المأكول يتجهز به منها إلى مِصرَ والشَّام والعراق . وليس على قرار الأرض مثله في لذة أكله ، وتنظيف غِسل الشَّعرِ به ؛ وفي جبل طليطلة معادن الحديد والنحاس^(١) .

* وزعموا أنَّ اسم طليطلة بالأطيني «تولاظو» معناه «فرح ساكنوها» ، يريدون
لحصانتها ومنعتها ؛ وفي كتاب الحدثنان كان يقال : « طليطلة الأطلال ، بُنيت على المهرج
والقتال ؛ إذا وادعوا الشرك ، لم يقيم لهم سوقة ولا ملك ؛ على يدي أهلها يظهر الفساد ،
ويخرج الناس من تلك البلاد . »

ومدينة طليطلة قاعدة القوط ودار مملكتهم ، منها كانوا يغزون عدوهم ، وإليها
كان يجتمع جيوشهم ، وهي إحدى القواعد الأربع ، إلَّا أنَّها أقدمهن ؛ ألفتها القياصرة
مبنيَّة ، وهي أوَّلُ الإقليم الخامس من السبعة الأقاليم التي هي ربع معمور الأرض ،
وإليها ينتهي حدُّ الأندلس ، ويبتدئ بعدها الذكرُ للأندلس الأقصى ، أوفت على
نهر تاجه ، وبها كانت القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها ، [وكان خرابها أيامَ
الإمام محمد^(٢)] .

ومن خواص طليطلة أنَّ حنطتها لا تسوس على مرِّ السنين ، يتوارثها الخلف عن
السلف ، وزعفران طليطلة هو الذي يُمُّ البلاد ، ويتجهز به إلى الآفاق ؛ وكذلك
الصبغ السماوي^(٣) .

وأوَّل من نزل طليطلة من ملوك الأندلس لوبيان ، وهو الذي بنى مدينة رقابل ،

(١) ب. ق. م. ٢٠٢ .

(٢) ز. ق. م. ١١٨٨ .

(٣) ز. ق. م. ١١٨٨ .

وهي على مقربة من طليطلة ، وسمّاها باسم ولده ؛ ومنها ولّى الأساقفة على الكُور ، وبها
 مجتمعهم للمشورة ، وكان عددهم ثمانين أسقفًا لثمانين مدينة من حوز الأندلس ، كجَلِيقِيَّة
 وطرّ كونة وقرطاجنة ، وكانت قبل ولايته فرقًا ، فائتلف أمرُ الناس وانقطع الخلاف ،
 وأحبّه الخاصُّ والعامُّ ؛ وهو الذي بنى الكنائس الجليلة ، والمعالم الرفيعة ، وبنى الكنيسة
 المعروفة بالردقة ، واسمه مزبُورٌ على بابها ، وهي بين حاضرة البيرة ووادي آش . ٥

وبطليطلة أُلقيت ذخائر الملوك ، وعلى مقربة من طليطلة قرية قنديشرة ^(١) ، وهي
 حارَتَانِ فيهما عَيْنَا ماء ، إِذَا نَضَبَتِ ^(٢) إِحْدَاهَا جَرَّتِ الأُخْرَى ، هذا دأْبُهُمَا كُلَّ عامٍ ،
 وهما يتعاقبان لا يجريان في زمانٍ واحدٍ ، وغربَيْها على نحو عشرين ميلًا منها تَمَثَّلَانِ
 عَظِيمَانِ على صورة طورَيْنِ قد نُحِتَا من حَجَرٍ صَلْدٍ . وذكر بعضُ المؤرِّخين أن طارقًا
 لما غزا طليطلة اعترض جنده وهو راكب أحدهما . قالوا : لما مضى طارق بن زياد إلى
 طليطلة دار مملكة القوط ألفاها خاليةً ، وقد فرَّ أهلها عنها ، فضمَّ إليها اليهودَ وخلقى بها
 رجالاً من أصحابه ، ومضى خلف فرار أهل طليطلة ، فسلك إلى وادي الحجارة ، ومنه
 اقتحم أرض جَلِيقِيَّة فخرَّبها ودَوَّخَ الجهة ، ثمَّ انصرف إلى طليطلة ، وذلك في سنة ٩٣
 من الهجرة . ١٠

وفي سنة ٥٠ ؛ نَجَتْ بَغْلَةٌ بطليطلة فُلُوًا في صورة مهرٍ ، وكانت بَغْلَةً كَمِينًا
 لبعض السقّاتين ، فنشأ به النَّصارى ، ولم يزالوا يَحْتَلُونَهُ حَتَّى عَقَرُوهُ ؛ وَبِقُلَّةِ الْعِهْنِ
 من جوفِ طليطلة على خمسة وعشرين ميلًا منها بئرٌ لا يُعرف فيها قطُّ علقٍ ، فنبُشت
 في بعض السنين ليكثرَ ماؤها ، فكثرَ العَلَقُ فيها كثرةً مُفْرِطَةً ، فنظروا فيها ١٥

(١) ت : « قنديشه » . (٢) ت و س : « انضبت » .

استخرجوه من نبشها فإذا فيه علقه نحاس، فرُدَّتْ في البئر فانقطع العلق منها . وقيل
إنما ذلك في حصن وقش في عين نحو الحصن . وفي قرية على عشرة أميال من طليطلة
في طريق تجريط بئر معروفة ، إذا شرب من ماء المعلق أسقطت العلق ، إنساناً
كان أو دابةً أو غير ذلك .

وكان أخذ النصارى لطليطلة في منتصف محرم سنة ٤٧٨ .

١٢٣ - طيلاقة

بينها وبين إسبيلية ميلان .

حرف العين

١٢٤ - عَفْص

بالأندلس ، بقرب مُرسية ، فيها كانت وقعة للروم على أهل مُرسية في رَجَبِهَا ، ذهب فيها من أهل مُرسية بين قتيل وأسير نحو أربعة آلاف رجل ؛ وكان الروم أغاروا على تلك الجهة ، فخرج إليهم أهل مُرسية ، وكانوا عاثوا على أهل إشبيلية مثلها ، حين وقعت عليهم الهزيمة بفحص طليّطة ، ونسبوا إلى الضعف والخَوَر وقلة الدربة^(١) بالحروب ، فلم تمضِ الأيام حتى امتحنهم الله بهذه الواقعة ؛ وكان صاحب جيش هذا اليوم أبو علي بن أشرق .

قال صاحب المُلتَمَس : كائنة عَفْص هي أختُ كائنة طليّطة المتقدمة في سنة ٦٢١ ، كانت هذه في غَرْبِ الأندلس وهذه في شَرْقِهَا ، وكان عُباد الصليب قد وصلوا إلى عَفْص من عمل مُرسية ، فخرج عسكر مُرسية ومعهم العائمة ، فقتل منهم كثيرٌ وأسر منهم كثيرٌ . وفيها يقول أحدُ المرسيين [مقارب] :

موقمة عَفْص وطلّيطاة تكامل إقبال أَيْامِنَا
فبالغَرْبِ تلك وبالشرق ذى أنا على شَمِّ أَعْلَامِنَا
وفي وَسَطِ الأَرْضِ قَيْبَاطَةٌ^(٢) ولَوْشَةٌ قَا^(٣) بأحلامنا

١٥

(١) ت و سه : « الذرية » . (٢) ت و سه : « قبطاجة » .

(٣) كذا في ت و سه .

وليس الصليبُ يرى جائعاً تواتر أعداء^(١)..... مِنّا
وسيدنا ناظرٌ في الجواز يروم النجاةَ بِإِسْلَامِنَا

١٢٥ - العقاب

(بكسر العين) بالأندلس بين جيان وقلعة رباح ، كانت في هذا الموضع موقعة عظيمة ، وهزيمة على المسلمين شنيعة ؛ في منتصف صفر من سنة ٦٠٩ . وذلك أن الملك الناصر أمير المؤمنين ، محمد بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك المغرب ، كان تحرك من مراكش إلى الأندلس ، فأحلّ بإشبيلية ، ثم تحرك منها إلى قرطبة ، ثم نزل على حصن شلبطرة واللجّ خاصرهما ، وضيق عليهما . فلك حصن اللجّ أولاً ، ثم حصن شلبطرة ، ونصب عليها المجانيق الضخام ، ورُميت بالحجارة الضخمة حتى ملكها على رغم الإذفونش صاحب طليطلة وقشتيلة ، ولم يكن له يومئذ قدرة على دفاعه . وكان ذلك في سنة ٦٠٨ ، حتى انتصف في العام الذي يليه في هذه الواقعة . وكان الملك الناصر أعجب بفتح شلبطرة وكتب بذلك إلى الآفاق ، وخفي عنه ما فرط الغيوب من خبر العقاب ، ورجع إلى إشبيلية ظافراً غانماً ، ثم استغاث الإذفونش بأهل ملته ، وحشهم على حماية دينهم ، فاستجابوا واثالوا عليه من كل مكان .

وخرج إليه الناصر من إشبيلية في العشرين من محرم سنة ٦٠٩ بحشود لا غرض لهم في الغزو ، وقد أمسكت أرزاقهم ، وقتر عليهم ، مع ما كان من قتله لابن قاذس صاحب قلعة رباح ، بسبب إسلامه القلعة للنصارى ، من غير أن يسمع حجته ،

(١). يانز نحو كلمة واحدة في ت و سم .

وإخراجه من مجلسه الحشود الأندلسية غضبا عليهم ، ومخادعة التصارى لباقي الأجناد
 باشتهار الصلح والعمل على ضده ، حتى خالطوهم على غفلة ، فأخذ المسلمون في فرار ما سمع
 بمثله ، وكان ذلك في العقاب بين جيان وقلعة رباح ، في منتصف صفر من سنة ٦٠٩ كما
 ذكرناه ، وكانت شنيعة ؛ وفرّ الناصر لا يلوى على شيء حتى وصل إشبيلية ، وتبهم
 العدو حتى حال بينهم الليل ، وأخذوا خباء الساقة ، وماتت تحتهم الخيل ، فشى ودافع
 بكل طريق سلكوه ، ومنهاج وردوه ، وأتى القتل على خلق كثير من المسلمين ،
 وقتل فيها من الأعيان والطلبة جملة ، منهم علي بن الغاني الميورقي وابن عات الفقيه^(١)
 وغيرهما ؛ وكان فرس الملك الناصر بادنا فلم يطق الحركة ، فنزل له بعض العرب عن
 فرسه وقال له : اركبه فهو خير لك من هذا ! وكان أمرا أبا بكر بن عبد الله بن
 أبي حفص بالوقوف تحت الراية ، وحملت الروم فقصدت الراية ظنا منها أن الناصر
 عندها ، فوضعت السيف فيمن واجها ، فقتلت خلقا ، وقتل أبو بكر هذا ، وانهزم
 الناس ، واستولى العدو على جميع الحملة وأكثر مضاربها .

ثم استولى الروم بعد ذلك على مدينتي بسطة وبأغو ، وما جاورهما من القرى
 والحصون ، وقتلوا الرجال وسبوا الذرية ، وكانت هذه الواقعة أول وهن دخل على
 الموحدين . فلم تقم بعد ذلك لأهل المغرب قائمة ؛ ولما انتهى الناصر إلى إشبيلية آنس
 البلاد بخطاب كتبه إليهم بزخرفه الكاذب ، ثم جاز البحر إلى مرآكش فتوفي
 في قصره من مرآكش سنة ٦١٠ ؛ قيل عضه كلب وقيل غير ذلك .

مرف الغين

١٢٦ - غافق

بالأندلس بقرب حصن بطرؤش .

* وهو حصن حصين ، ومقفل جليل ، في أهله نجدة وحزم ، وجلادة وعزم ؛

وكثيراً ما تسرى إليهم سرايا الروم ، فيستنقذون منهم غنائمهم ، ويخرجونهم من أرضهم ،
والروم تعلم بأسهم وبسالتهم فيجتنبونهم^(١) .

حرف الفاء

١٢٧ - فَحَصُ الْبَلُّوطِ

[الترجمة في حرف الباء]

بالأندلس من ناحية قرطبة ، منه القاضى أبو الحكم مُنْذِرُ بن سعيد البلوطى . كان متفنتاً في ضروب من العلوم ، وكانت له رَحْلَةٌ لَتِيَّ فيها جماعة من العلماء في الفقه واللغة ، وكان كثير المناقب والخصال الحميدة غير مدافع ، مع ثبات الجنان وجهارة الصوت وحسن الترتيل ؛ وله تفسير على الكتاب العزيز .

وَمَا جرى له مع عبد الرحمن الناصر أمير المؤمنين أَنَّهُ بَنَى قُبَّةً وَاتَّخَذَ قِرَامِيدَ الْقُبَّةِ مِنْ فِصَّةٍ ، وَبَعْضُهَا مُغَشًى بِالذَّهَبِ . وَجَعَلَ سَقْفَهَا نَوْعَيْنِ صَفْرَاءَ فَاقِعَةً ، وَبَيْضَاءَ نَاصِعَةً ؛ يَسْتَلِبُ الْأَبْصَارَ شُعَاعُهَا ؛ فَجَاسَ فِيهَا إِثْرُ تَعَامُلِهَا لِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَقَالَ لِقِرَابَتِهِ وَوُزَرَاتِهِ مُفْتَخِرًا عَلَيْهِمْ : أَرَأَيْتُمْ أَمْ سَمِعْتُمْ مَلِكًا كَانَ قَبْلِي صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُ ؟ فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّكَ لَا وَحْدَكَ فِي شَأْنِكَ ؛ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ ، إِذْ دَخَلَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ وَاجِمًا نَاكِسًا رَأْسَهُ ؛ فَلَمَّا أَخَذَ مَجَالِسَهُ قَالَ لَهُ مَا قَالَ لِقِرَابَتِهِ ، فَأَقْبَلَتْ دُمُوعُ الْقَاضِي تَحْدِرُ عَلَى لَحْيَتِهِ وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الشَّيْطَانَ (لَعْنَةُ اللَّهِ) يَبْلُغُ مِنْكَ هَذَا الْمُبْلَغَ ، وَلَا أَنَّ تُسَكِّنَهُ مِنْ قِيَادِكَ هَذَا التَّمَكِينَ ، مَعَ مَا آتَاكَ اللَّهُ تَعَالَى وَفَضَّلَكَ بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى يُنْزَلَكَ مَنَازِلَ الْكَافِرِينَ ! فَاقْشَعِرَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ قَوْلِهِ ، وَقَالَ لَهُ : انْظُرْ مَا تَقُولُ ! كَيْفَ أَنْزَلَنِي مَنَازِلَهُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى

يقول: « وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِدُنْكَ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ »^(١) الآيات . فوجم الخليفة عبد الرحمن ونكس رأسه ملياً ، ودموعه تنحدر على لحيته خشوعاً وتذمناً لما جرى ، ثم أقبل على منذر بن سعيد ، وقال له : جزاك الله عنا وعن الدين خيراً ، وكثر في الناس أمثالك ! فالذي قلت ، والله ! هو الحق ! وقام من مجلسه ذلك يستغفر الله تعالى ، وأمر بقبض سقف القبة ، وأعادته قرمداً على صفة غيرها^(٢) .

ومن أخباره أن الناصر لدين الله أمره بالخروج للاستسقاء ، فخرج واجتمع له الناس في مصلى الربض بقرطبة ، بارزين إلى الله تعالى ، في جمع عظيم ، ثم قام منذر بن سعيد باكية ، خاشعاً لله تعالى ، فخطب فقال : « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ »^(٣) ١٠ ثم قال : « اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا »^(٤) ، قال : فضج الناس بالبكاء ، وارتفعت أصواتهم بالاستغفار ، والتضرع إلى الله تعالى بالسؤال ، فاتم النهار حتى أرسل الله السماء بماء منهمر^(٥) .

وكان رحمه الله ، على متانة دينه ، وجزالته في أحكامه ، حسن الخلق ، كثير الدعابة ، ربما ارتاب بباطنه من لا يعرفه ، حتى إذا رام أن يصيب من دينه نازبه ثورة اللبث العادي ، قيل له : إن قوماً من جيران أحد المتحاكين من أهل ربض الرصافة ، قد تألبوا معه على خصيه ، وأعانوه بشهادة مدخولة ، وهم غادون بها عليك ! وكان كثيراً

(١) قرآن كريم ٤٣ : ٣٢ . (٢) راجع موه ج ١ ص ٣٧٨ والمطبع للفتح ص ٤٥ — ٤٦ .

(٣) قرآن كريم ٦ : ٥٤ . (٤) قرآن كريم ٧١ : ٩ . (٥) راجع موه ج ١ ص ٣٧٦ .

ما تُلْتِيهِ عِيُونُهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَعَدَّوْا عَلَيْهِ بِمَجَاسِ نَظَرِهِ ، وَكَانَتْ أَسْمَاءُ جَمِيعِهِمْ مُتَّفَقَةً فِي
الْوِزْنِ عَلَى مِثَالِ فَعْلُونٍ ، فَأَخَذُوا مَوَاطِعَهُمْ ، وَقَامَ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ لَهُ ؛ فَلَمَّا رَأَى الْقَاضِي
أَسْمَاءَهُمْ قَالَ رَافِعًا صَوْتَهُ : يَا ابْنَ صَيْفُون ، وَيَا ابْنَ زَيْدُون ، وَيَا ابْنَ سَخْنُون ، مَنْ الرَّبِّضِ
الْمَلْعُون ، أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ! فَلَمَّا سَمِعُوا قَوْلَهُ لَازُوا عَنِ الشَّهَادَةِ ، وَخَرَجُوا مُتَسَلِّلِينَ ؛
فَكَتَبْتُ شَأْنَهُمْ .

وَكَانَ نَظَارًا لَا يَقْنَعُ بِالتَّقْلِيدِ ؛ وَمِنْ قَوْلِهِ فِي اسْتِقْصَارِ هَذِهِ الْفَرَقَةِ [طَوِيل] :

عَذِيرِي مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا سَأَلْتَهُمْ دَلِيلًا يَقُولُوا هَكَذَا قَالَ مَالِكُ
فَإِنْ زِدْتُ قَالُوا قَالَ سَخْنُونُ مِثْلُهُ وَقَدْ كَانَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ
فَإِنْ قُلْتُ قَالَ اللَّهُ ضَجُّوا وَأَعْوَلُوا عَلَى وَقَالُوا أَنْتَ خَصْمٌ مِمَّا حِكُ
وَنَوَادِرُهُ كَثِيرَةٌ .

[الترجمة في حرف الفاء]

بِالْأَنْدَلُسِ ، يَبْنِيهِ وَيَبْنِي قَرِيبُهُ مَرَحِلَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ ، وَمِنْ هَذَا الْفَحْصِ جَبَلُ الْبَرَانِسِ
وَفِيهِ مَعْدِنُ الزَّبَقِ ، وَمِنْ هُنَاكَ يُحْمَلُ إِلَى الْآفَاقِ ؛ وَهَذَا الْجَبَلُ الزَّيْتُونُ الْمُتَنَاهِي فِي
الْجَوْدَةِ ؛ وَبِمَوْضِعٍ بَقَرٍ مِنْ مَعْدِنِ الزَّبَقِ جَبَلٌ يَعْرِفُ بِجَبَلِ الْمَعَزِ ، فِي شَعْرَاءِ هُنَاكَ
حَجَرٌ يُسَمَّى حَجَرُ الْعَابِدِ ، فِي وَسْطِهِ قُلَّةٌ ، وَهِيَ حَفْرَةٌ عَلَى قَدْرِ الصَّخْفَةِ بِمَقْدَارِ مَا يُدْخِلُ
الْإِنْسَانُ فِيهَا يَدَيْهِ ، وَيَعْلُوهُمَا مِنْ مَاءٍ هُنَاكَ ، فَيَشْرَبُ أَوْ يَصْنَعُ بِهِ مَا احتَاجُ إِلَيْهِ ، فَيَأْتِي
إِلَيْهِ الْبَقَرُ الْكَثِيرُ فَيَكْفِيهِمْ ، وَيَرْجِعُ إِلَى حُدَّةٍ لَا يَنْبِضُ وَلَا يَنْفُورُ ؛ وَذَكَرَ مَنْ رَأَاهُ أَنَّهُ
جَاءَهُ فِي ثِيَابٍ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَهَذَا مَعْرُوفٌ هُنَاكَ .

وبهذا الفحص بلادُ وأسواقُ. وجباية هذا الفحص في عهد الأمير محمد ألفان اثنان، ويتصل بأخواز فحص البلوط أخواز فريش، وتنتظم قراها بقراها^(١). وإلى فحص البلوط ينسب الفقيه القاضي أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي، وقد مر ذكره في حرف الباء.

١٢٨ - فريش

بالأندلس بقرب حصن المدور. وهي مدينة جليلة، كثيرة الكروم والأشجار، ولها على مقربة منها معادن الذهب والفضة بموضع يُعرف بالمرج^(٢).

١٢٩ - فريش

موضع بالأندلس، بين الجوف والغرب من قرطبة، فيها معدن رخام، والغالب بها أشجار القسطل، وبها معدن حديد؛ ويتصل بأخواز فريش أخواز فحص البلوط، وبينها وبين قرطبة مرحلتان، وبها قرية تُعرف بفسطنطينة، كانت مدينة عظيمة أولية، وفيها آثار الكنائس، ويقال إنها بُنيت في أيام قسطنطين ملك الروم؛ وبينها وبين قرطبة أربعون ميلاً.

١٣٠ - فنيانة

قرية بقرب وادي آش من الأندلس، جامعة خطيرة، كثيرة الكروم والتوت

(١) س: «وشطم قراءة بقراها». (٢) ارم ص ٢٠٧.

والبساتين وضروب الثمار، وكان بها طُرُز الديباج، والمياه تَطَرَّدُ في جميع جَنَّاتها، وأهلها عَجَمٌ، ذوو يَسَارٍ.

١٣١ - الفهمين

مدينة بالأندلس، بالقرب من طَلَيْطَلَة.

* وكانت مدينةً مُتَحَضَّرَةً، حسنة الأسواق والمباني، وفيها مَنْبَرٌ وَمَسْجِدٌ جَامِعٌ، وخطبة قَائِمَةٌ، وملكها الرُّومُ لَمَّا مَلَكَوا طَلَيْطَلَة^(١).

صرف القاف

١٣٢ - قَادِس

جزيرة بالأندلس^(١) عند طالقَة من مدن إشبيلية ، وطول جزيرة قَادِس من القبلة إلى الجوف اثنا عشر ميلاً ، وعَرْضُهَا في أوسع المواضع ميلٌ ، وبها مزارعٌ كثيرةٌ الرِّيع ، وأكثرُ مواشِهَا المَعَز ، وشَعْرَاوُهَا صنوبر ورَّم ؛ فإذا رَعَتْ معزهم خرؤوب ٥ ذلك المكان عند عَقْدِهَا ، أَسْكَرَ لَبْنَهَا ، وَلَيْسَ يكون ذلك في أَلْبَانِ الضَّأْن . وقال صاحبُ الفَلَاحَةِ النَّبْطِيَّة : بجزيرة قَادِس نباتُ رَّم إذا رَعَتْهُ المَعَز أَسْكَرَ لَبْنَهَا إسكاراً عظيماً ؛ وأهلُهَا يحققون هذه الخاصِّيَّة .

وفي طرف الجزيرة الثاني حصنٌ خَرِبٌ أَوَّلِيٌّ ، يَبِينُ الآثار ، وبه الكنيسةُ المعروفةُ بِشَدَتْ بيطر ، وشَجَرُ المِثْنَانِ كثيرٌ بهذه الجزيرة ، وبها شُجَيْرَةٌ تُشَبِّهُ قَسِيلَ النَّخْلِ ، ١٠ لها صَمْعٌ إذا خِلِطَ بِالزَّجَاجِ صَمْعُهُ ، وصارَ حَجَرًا تُتَّخَذُ مِنْهُ الْفُصُوصُ ، وبها آثارٌ للأوَّلِ كثيرةٌ .

وَمِنْ أَعْجَبِ الْآثَارِ بِهَا الصَّمَمُ الْمُنْسُوبُ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ ، بَنَاهُ أَرَكْلِيش ، وَهُوَ هِرَقْلُس ، أَصْلُهُ مِنَ الرُّومِ الْإِغْرِيْقِيِّينَ ، وَكَانَ مِنْ قُوَادِ الرُّومِ وَكُبَرَاءِهِمْ عَلَى زَمَنِ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَام) ؛ وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَعْدُودِ الْمُلُوكِ الْيُونَانِيِّينَ ، وَمَلَكَ أَكْثَرَ الْأَرْضِ ، ١٥ فَغَارِبَ أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَافْتَتَحَ مُدُنَهُمْ ، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الْهِنْدِ ، وَانْصَرَفَ صَادِرًا مُفْتَتِحًا لِبِلَادِ أَوْلَادِ يَافِثَ ، إِلَى أَنْ انْتَهَى إِلَى الْأَنْدَلُسِ ؛ فَلَمَّا بَلَغَ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ الْغَرْبِيَّ ، سَأَلَ عَمَّا

(١) طَرَقَةُ فِي س : « وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ الْيَوْمَ بِقَالَسٍ عِنْدَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ » .

وَرَأَاهُ فَقِيلَ إِنَّهُ لَا يَجَاوِزُ إِلَّا إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ فَعَمِدَ إِلَى جَزِيرَةِ قَادِسَ ، فَبَنَى بِهَا مَجْدَلًا عَالِيًا مُنِيفًا ، وَجَعَلَ صُورَةَ نَفْسِهِ مُفَرَّغَةً مِنْ نَحَاسٍ فِي أَعْلَى الْمَنَارَةِ ، وَقَدْ قَابَلَتِ الْمَغْرِبَ ، كَرَجُلٍ مُتَوَشِّجٍ بُرْدًا مِنْ مَنَكَبِيهِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ ، وَقَدْ ضَمَّ عَلَيْهِ وَشَاحَهُ ، وَفِي يَدِهِ الْيُمْنَى مِفْتَاحٌ مِنْ حَدِيدٍ ، وَهُوَ مَاذَاهَا ^(١) نَحْوَ الْمَغْرِبِ ، وَفِي الْيُسْرَى صَحِيفَةٌ ^(٢) مِنْ رَصَاصٍ مَنقُوشَةٌ ، فِيهَا ذِكْرُ خَبْرِهِ ، وَمَعْنَى الَّذِي بِيَدِهِ أَنَّهُ افْتَتَحَ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْمُدُنِ .

وَالصَّنَمُ فِي وَسْطِ الْجَزِيرَةِ ، وَيُنَنِّهِ وَيُنِ الْخَصْنَ الْمَذْكُورَ سِتَّةَ أَمْيَالٍ ^(٣) ، وَالصَّنَمُ مُرَبَّعٌ ، دَرْعُ أَسْفَلِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَارْتَفَعَ عَلَى قَدَرِ هَذَا الدَّرْعِ ثَمَّ ضَاقَ ، وَارْتَفَعَ عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ الدَّرْعِ الثَّانِي ، ثَمَّ ضَاقَ ، وَارْتَفَعَ عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ الدَّرْعِ الثَّالِثَ ، ثَمَّ خُرِطَ الْبُنْيَانُ مِنْ ابْتِدَاءِ الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ ، إِلَى أَنْ صَارَتْ قَدَمَا الصُّورَةِ عَلَى صَخْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، قَدَرُ تَرْبِيعِهَا فِي رَأْيِ الْعَيْنِ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ ، قَدْ تَقَدَّمَتْ رِجْلُهُ الْيُمْنَى ، وَتَأَخَّرَتْ الْيُسْرَى كَالْمَاشِي ؛ وَارْتِفَاعُ الصَّنَمِ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى رَأْسِ الصُّورَةِ مِائَةٌ وَأَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا ، لِيُطَوَّلَ الصُّورَةُ مِنْ ذَلِكَ ثَمَانِي أَذْرُعٍ ، وَقِيلَ سِتٌّ ؛ وَقِيلَ إِنَّ هَذَا الدَّرْعَ بِالدَّرَاعِ الْكَبِيرِ الَّذِي هُوَ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ وَنِصْفٍ ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ عُمُودٌ نَحَاسٍ أَوْ ذَهَبٍ صَاعِدًا حَتَّى عَلَا فَوْقَ رَأْسِهِ نَحْوَ ذِرَاعَيْنِ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ .

وَكَانَ يَقُولُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِثَانِ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ : يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ مِنْ يَدِ هَذِهِ الصُّورَةِ أَحَدُ الْمِفْتَاحَيْنِ ، فَتَكُونُ بِذَلِكَ يَدُهُ تُحَرِّكُ الْفِتْنِ بِالْأَنْدَلُسِ ، ثَمَّ يَقَعَ الْآخَرُ بَعْدُ فَيَكُونُ حِينَئِذٍ خَرَابُ الْأَنْدَلُسِ . فَذَكَرَ جَمَاعَةُ أَهْلِ قَادِسَ أَنَّ أَحَدَ الْمِفْتَاحَيْنِ سَقَطَ سَنَةَ ٤٠٠ ، وَهُوَ فِي صُورَةِ الْمِفْتَاحِ ، فَحُمِلَ إِلَى صَاحِبِ مَدِينَةِ سَبْتَةَ ، فَأَمَرَ بِهِ فَوْزَنَ ،

فكانت زنته ثمانية أذغال ، وقيل إن الصَّم بُنِيَ لِتَارِيخِ أَلْفَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَإِحْدَى وَخَمْسِينَ مِنْ وَقْتِ الطُّوفَانِ ، وَقِيلَ لِتَارِيخِ أَلْفَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَإِحْدَى وَخَمْسِينَ مِنْ وَقْتِ آدَمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ؛ وَالَّذِي لَا يُشَكُّ فِيهِ أَنَّهُ بُنِيَ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَقَالَ مُوسَى بْنُ شُخَيْصٍ يَعْنِي هَذَا الصَّمَّ [طويل] :

- وَرَجَرَجَةِ الْأَزْدَافِ مَوَّارَةِ الْخُطَا تَهَادَى وَلَيْسَتْ مِنْ حِسَانِ الْأَوَانِسِ ٥
إِلَى أَنْ تَرَى الشَّخْصَ الْمُلْعِمَ مُوفِيًا عَلَى الصَّمِّ الْمُوفِي عَلَى بَحْرِ قَادِسِ
وَلَمَّا نَزَلْنَا تَحْتَهُ قَالَ صَاحِبِي أَعَجِيبُ رُومٍ أَمْ أَعَجِيبُ فَارِسِ
فَقُلْنَا لَهُ خَفْضُ سُوءَالِكَ وَالتَّمِسْ نَجَاتِكَ مِنْ مَرَسَى الْبَحَارِ الْكُؤَانِسِ
وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ التُّوسِطَةَ مِنَ الْبَحْرِ الْعَرَبِيِّ ، الَّذِي كَانَ يَسْتَوْنَهُ بِبِلَايِهِ ،
لَمْ تُسَلَّكَ قَطُّ إِلَى وَقْتِ سَقُوطِ ذَلِكَ الْمِفْتَاحِ [حَتَّى سَقَطَ الْمِفْتَاحُ] ^(١) ؛ فَنَ حِينَئِذٍ سَلَكَ ٦٠
النَّاسُ فِي الْبَحْرِ إِلَى سَلَا وَإِلَى السُّوسِ وَإِلَى غَيْرِهِمَا ، وَكَانَ هَذَا مُسْتَفِيزًا عَنْدهُمْ ،
وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَلِّفِينَ لِفَرَاثِبِ الْحَدَثَانِ ، أَنَّ صَمَّ قَادِسٍ مَوْضُوعٌ عَلَى بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ ، فَجُعِلَ رَأْسُهُ لَطْلِيظَةً ، وَصَدْرُهُ لِقُرْطَةً ، وَكَذَلِكَ أَعْضَاؤُهُ ، قَسَمَهَا عَضْوًا
عَضْوًا ، عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، فَتَى أَصَابَ عَضْوًا مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ آفَةٌ حَلَّتْ بِذَلِكَ
الْقُطْرِ الَّذِي مِنْ قَسِيمَتِهِ آفَةٌ . ١٥

وَفِي بَعْضِ التَّصَانِيفِ : إِذَا هُدِمَ صَمَّ قَادِسٍ اسْتَوْلَى النِّصَارِيُّ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ؛
فَنَظَرُوا فَإِذَا الْوَقْتُ الَّذِي هَدَمَهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ مَيْمُونٍ فِيهِ دَخَلَ النِّصَارِيُّ
قُرْطَةً وَمَلَكُوهَا . قَالَ الْمُخْبِرُ : وَكَانَتْ إِشْبِيلِيَّةٌ تَحْتَ الذَّمَّةِ لِأَنَّ مَرْقِيشَ ^(٢) النِّصَارِيَّ

(١) حَذَفَ فِي الْأَصْلِ سَبِيحَ تَكَرَّرَ لَفْظُ « الْمِفْتَاحِ » . (٢) نَبَطٌ : « رَيْسٌ » .

المعروف بالسُّلَيطِينَ ، لما استَحَوَذَ عليها أَقرُّ أَباز كريات يحيى بن علي بن تايشاً^(١) على ما كان بأيدي المُلثَمِينَ منها ومن غيرها ، وكان حكمُ السُّلَيطِينَ نافذاً فيها ؛ ولقد وقع سنة ٤٤٠ تنازُعٌ بين رجلين من المرابطين في إنزال جنان بقرية من قُرَى إشبيلية ؛ فادَّعاه أحدهما بإنزال ابن غانية له فيه ، وأتى بظهير ؛ وادَّعاه الآخر بظهير السُّلَيطِينَ ؛ وحكم بينهما وإلى إشبيلية تحت نظر يحيى بن علي ؛ وكان هذا المُلثَمُ قد كتب له به السُّلَيطِينَ بطليطلة حين سفر إليه رُسُولاً عن يحيى بن علي .

وكان هَدْمُ علي بن عيسى لهذا الصَّتمَ لَأَنَّهُ خِيَلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ على كنوزٍ صَخْمَةٍ ، وَأَنَّ دَاخِلَهُ مَحْشُوءٌ تَبَرّاً ، فدعا له الرجالَ والبناةَ وأخذوا في قطع حَجَرٍ منه ، وكلَّمَا قطعوا حَجَرًا اذَّعموا مكانه بدعامةٍ من خشب ، حتَّى وقف ذلك الجرم العظيم على الدعائم ؛ ثُمَّ رَمَوْا إلى الخشب النار ، بعد ما ملأوا الخللَ الذي بين الخشب حطباً ، فسقط جميعه ١٠ وكانت له وَهْلَةٌ عظيمة ، واستخرج الرصاص المعقود بالحجارة ، والنحاس الذي كان منه الصَّتمَ ، وكان مُذْهَبًا ؛ وَبَدَتْ في يَدَيْهِ من مطلبه الخَيِّبة . وكان يقال إِنَّ الذي يهدم صَّتمَ قَادِسٍ يموت مقتولاً ؛ وكذلك كان .

ويزعم أهل جزيرة قَادِسٍ أَنَّهُم لن يزالوا يسمعون أَنَّ الرَّاكِبَ في هذا البحر إنَّ أَلَجَّ فِيهِ وغاب عنه صَّتمُ قَادِسٍ ، بدا لَهُ صَّتمٌ ثانٍ مثله ، فإذا وصلوا إليه وجاوزوه حتَّى يغيب عليه ، بدا لَهُ صَّتمٌ ثالث ، فإذا تجاوزوا سبعة أصنامٍ صاروا في بلاد الهند ؛ وهذا مستفيضٌ عندهم ، معروفٌ جارٍ على ألسِنَتِهِمْ ، لم يَزَلْ يأخذه آخرهم عن أولهم . قالوا : ولَمَّا أَحْكَمَ أركليش هذه الآثار عمد إلى بلاد البربر ؛ فعمد إلى مدينة سَبْتَةَ من الزُّقاق الخارج من

البحر المحيط ، ولم يزل يفتتح مدينةً بعد مدينةٍ حتَّى انتهى إلى لوبيا وتراقيا^(١) ؛ فوجد هناك الماء وأوجاعاً في بَدَنه ، فلما اشتدَّ ذلك به أَجَجَ ناراً وألقى نَفْسَه فيها ، واحترق ؛ وكان غرضُه أن يحرق الأوجاع التي في بَدَنه ، فدلَّ هذا من فعله على أَنَّهُ كان من عِبْدَةِ النَّيران . وتفرَّقتْ جِوْعُه ، واتَّخَذَه المَجُوسُ وَثَنًا يعبدونه .

١٣٣ - قَبْتُور

٥

قريةٌ من قرى إشبيلية ؛ وفي سنة ٦٢٣ وصلت شَيْاطِي الرُّومِ الْغَرِيبِينَ نهر إشبيلية ، فَأَسْرَوْا النَّاسَ ، وَحَرَقُوا الْقَوَارِبَ ، ثُمَّ وَصَلُوا إِلَى قَبْتُورِ هَذِهِ ، وَغَلَبُوا أَهْلَهَا ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِمْ عَنُودَةً ، فَفَرَّ مِنْهُمْ مَنْ قَرَّ ، وَأَخَذُوا جَمَلَةً مِنْهُمْ وَمِنْ نِسَائِهِمْ ، وَاسْتَبِيحَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِي الدِّيارِ مِنَ الآلاتِ وَالْمَتَاعِ .

١٣٤ - قَبْرَة

١٠

مدينةٌ بِالْأَنْدَلُسِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ قَرْطَبَةَ ثَلَاثُونَ مِيلًا ، ذَاتُ مِيَاهٍ سَائِحَةٍ مِنْ عِيُونٍ شَتَّى ، مِنْهَا الْعَيْنُ الَّتِي عَلَيْهَا ؛ وَالنَّهْرُ الَّذِي هُنَاكَ تَخْرُجُهُ مِنْ نَاحِيَةِ جَبَلٍ شَيْبَةٍ^(٢) ، عَلَيْهِ أَرْحَالٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَهَذَا الْجَبَلُ شَامِخٌ يُنْبِتُ ضُرُوبَ النَّوَائِرِ وَأَصْنَافَ الْأَزْهَارِ ، وَأَجْنَاسَ الْأَفَاوِيهِ وَالْعَقَاقِيرِ ، وَتَدُومُ غَضَارَةُ نُؤَارِهِ ، وَتَتَّصِلُ بِهِجَةً نَبْتُهُ بِاعْتِدَالِ هَوَائِهِ وَكَثْرَةِ أُنْدَائِهِ ، فَيُقْطَفُ النَّرْجَسُ فِيهِ بِأَعْصَانٍ^(٣) مِنَ الْوَرْدِ ؛ وَالْمَسْجِدُ الْجَامِعُ بِقَبْرَةِ ثَلَاثِ بِلَاطَاتٍ ، وَلَهَا سُوقٌ جَامِعَةٌ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَتَحْسَنُ بِهَا ضُرُوبُ الْفَرَّاسَاتِ ، وَأَنْوَاعُ الثَّمَرَاتِ ؛ وَهِيَ مَخْصُوصَةٌ بِكَثْرَةِ الزَّيْتُونِ .

(١) ت و س : « نوبيا ومراقيا » . (٢) س : « شينة » . (٣) س : « بنصان » .

وعلى مقربة من مدينة قبرة ، المغارة المعروفة بالمروب ، لا يُدْرِكُ قَعْرُهَا ، ولا يُسَبَّرُ
 عَوْرُهَا ، وهى بابٌ من أبواب الرياح ، ويعرفونها ببئر الرياح ، وكان بعضُ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ
 قد أَمَرَ عَامِلَ قَبْرَةٍ بِرَدِّمِ تِلْكَ الْمَغَارَةِ ، وَأَنْ يَحْشِدَ لَذَلِكَ أَهْلَ النَّاحِيَةِ ، وَيُشْرِفَ عَلَيْهِ
 بِنَفْسِهِ ، ففعل ، واعتمل الناس من ذلك مَدَّةً ؛ وكان ممَّا رَدَمَوهَا به التبن والحشيش ،
 ٥ إلى أن استوى الرَّدْمُ ، وجلس العامل على فمِ الْغَارِ لِيُخَاطَبَ الْأَمِيرَ بِذَلِكَ ، فرجف
 الْمَكَانُ ، وانْهَالَ الرَّدْمُ ، ونجا العاملُ ولم يَكْذُ يَنْجُو ، وَبَقِيَتِ الْمَغَارَةُ لَا يُدْرِكُ لَهَا
 قَعْرٌ كَمَا كَانَتْ قَبْلَ الرَّدْمِ ، ولم يُعْلَمْ أَيْنَ ذَهَبَ جَمِيعُ مَا قُذِفَ فِيهَا ؛ إِلَّا أَنَّهُ رُئِيَ مِنْ
 ذَلِكَ التَّبْنِ فِي بَعْضِ يَنَابِيعِ الْمِيَاهِ بِذَلِكَ الْجَبَلِ . وَفِي هَذِهِ الْمَغَارَةِ قُذِفَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّقَالِبَةِ
 الْمَأْسُورِينَ ، فِي هَزِيمَةٍ كَانَتْ ، أَحْيَاءَ .

١٣٥ - الْقَبْطِيلُ

١٠

بِالْأَنْدَلُسِ ، هُوَ مَفْرَغٌ وَادِي طَرُوشَةَ فِي الْبَحْرِ ، وَيُعرفُ أَيْضًا بِالْعَسْكَرِ ، لِأَنَّهُ
 مَوْضِعٌ عَسْكَرَ بِهِ الْمَجُوسُ وَاحْتَفَرُوا حَوْلَهُ خَنْدَقًا أَثَرُهُ بَاقٍ إِلَى الْآنِ .

١٣٦ - قَرْبَاكَةَ

(بِالْبَاءِ) بِالْأَنْدَلُسِ أَيْضًا ، مِنْ إِقْلِيمِ مَوْلَةَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ بِهَا عَيْنٌ مَاءٌ تُولَدُ الْحَصَى
 ١٥ بِطَبْعِهَا ، وَإِذَا طَالَ مَكْنَهُ فِي الْإِنَاءِ مِنَ النِّحَاسِ أَوْ غَيْرِهِ ، تَحْجَرُ بِجَنَابَاتِهِ حَتَّى تَتَضَاعَفَ
 زِنَةُ الْإِنَاءِ ؛ وَعَيْنُ مَاءٍ أُخْرَى تُفْتَتُّ الْحَصَى بِطَبْعِهَا .

١٣٧ - قَرْبَلِيَّان

بالأندلس ، بينها وبين أوريولة عشرون ميلاً ، وهي كثيرة الزيتون ، وبها سقى كثير .

١٣٨ - قَرْطَاجَنَّة

هذا الاسم في ثلاثة مواضع : أحدها بالأندلس عند جبل طارق ، وهي مدينة ٥
للأول غير مسكونة ، وبها آثار كثيرة ، وتُعرف بقرطاجنة الجزيرة ، وبمرساها نهر
يريق في البحر ، يعرف بوادي البحر ؛ والثانية :

١٣٩ - قَرْطَاجَنَّةُ الْخُلَفَاءِ

بالأندلس أيضاً من كورة تَدْمِير .

* وهي فُرْضَةُ مَدِينَةٍ مُرْسِيَةٍ ، وهي مدينة قديمة أزليّة ، لها ميناء ترسو فيها المراكب ١٥
الكبار والصغار ، وهي كثيرة الخصب والرخاء المتتابع ، ولها إقليم يُسَمَّى الْفُنْدُون ،
وقليلاً ما يوجد مثله في طيب الأرض وعذوبة الماء . ويُحكى أَنَّ السَّيْلَ يَحْصَدُ فِيهِ عَنْ
، غلّةٍ واحدةٍ ، وإليه المنتهى في الجودة . ومن مدينة قرطاجنة إلى مُرْسِيَةٍ فِي الْبَرِّ
أربعون ميلاً^(١) .

وبقرطاجنة هذه ، هَزَمَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ تَدْمِيرَ بْنَ عَبْدِ دُوسٍ ، الَّذِي ١٥
سَمَّيَتْ بِهِ تَدْمِيرُ ؛ هَزَمَهُ وَأَصْحَابَهُ ، وَوَضَعَ الْمَسَامُونَ فِيهِمُ السَّيْفَ ، يَقْتُلُونَهُمْ كَيْفَ

شاءوا ، حتى نجا تدمير في شِرْذِمَةٍ من قلالِ أَصْحَابِهِ إلى حصنِ أَرْيُولَةٍ ، وكان مُجْرَبًا
بَصِيرًا ذاهية ؛ فلما رأى قَلَّةَ أَصْحَابِهِ ، أَمَرَ النِّسَاءَ فَنَشَرْنَ شعورهنَّ ، وَأَمْسَكْنَ الْقَصَبَ
بأيديهنَّ فيمن بقي من الرجال ، وقَصَدَ بنفسه كهيئة الرسول واستأمنَ ، فَأُثْمِنَ ،
وانعقد الصُّلْحُ له ولأهل بلده ، وَفُتِحَتْ تدميرٌ صلحا ؛ فلما نفذ أمرُهُ عرفَهُمْ بنفسه
وأدخلهم المدينة ، فلم يروا بها إِلَّا نَفَرًا يسيرًا من الرجال ، فندم المسلمون على ما كان
منهم ؛ وكان ما انعقد من صلح تدمير مع عبد العزيز على إتاوة يؤدِّيها ، وجِزْيَةٍ عن
يَدِ يُعْطِيها ، وذلك على سبع مدائن : منها أوريولة ، ولَقَنْتَ ، وبلانة ، وغيرها . وتأريخ
فتحها سنة ٩٤ .

ومن الغرائب ما حُكِيَ أَنَّ دِيرًا بقرطاجنة الخلفاء ، كان على مقربة منها ، بُنِيَ
لامرأة شهيدة ولها قَدْرٌ عندهم ، وعلى القبر قَبَّةٌ ، في أعلاها كَوَّةٌ ، لا يعلو تلك القَبَّةَ
طائر ، فإن علاها اجتذبتَه قوَّةٌ من تلك الكوَّة ، فسقط في القَبَّةَ .

وقد أَخْبَرَ رَجُلٌ بهذه القِصَّةِ وهو يتصيَّد بقرطاجنة فأنكرَ ذلك ، واعتمد دَفْعُ^(١)
جَوَارِحَ وَصِيدِهِ على القَبَّةِ ، فَتَساقطتْ داخلها . وكان لتلك القَبَّةِ مشهدٌ عظيمٌ في يوم
من العام ، يجتمع إليه الداني والقاضي من نصارى تلك النواحي ، وذلك في
الرابع والعشرين من أغسطس ؛ فلما كانت سنة ٤١٤ ، قَصَدَهُ جماعةٌ من نصارى بلاد
إفريقية في مَرَكَبٍ جَرَى إلى تلك القَبَّةِ ، فاستخرجوا منها الشهيذة وسَحَلُوها ؛ فلما
وصلوا بها إلى جزيرة صِيقَلِيَّةٍ بذل لهم نصاراها مالا عريضاً ليركوا المرأة عندم فيقبِروها
في كنائسهم ، فَأَبَوْا عليهم ؛ ووصلوا بها إلى بلادهم .

١٤٠ - قرطبة.

قاعدة الأندلس ، أم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها ، وآثارهم بها ظاهرة ،
وفضاءئل قرطبة ومناقب خلفائها^(١) أشهر من أن تذكر ؛ وهم أعلام البلاد ، وأعيان
الناس ؛ اشتهروا بصحة المذهب ، وطيب المكسب ، وحسن الزى ، وعلو الهمة ،
وجميل الأخلاق ؛ وكان فيها أعلام العلماء ، وسادة الفضلاء ؛ وتجارها ميسير ،
وأحوالهم واسعة ؛ وهى فى ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضا ، وبين المدينة والمدينة
سور حجاز ؛ وفى كل مدينة مايكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر
الصناعات ؛ وطولها من غربتها إلى شرقها ثلاثة أميال ، وعرضها من باب القنطرة إلى
باب اليهود ميل واحد . وهى فى سفح جبل مطل عليها ، يسمى جبل العروس ،
ومدينتها الوسطى هى التى فيها باب القنطرة .

١٠

وفى المسجد الجامع المشهور أمره ، الشائع ذكره ؛ من أجل مصانع الدنيا كبر
مساحة ، وإحكام صنعة ، وجمال هيئة ، وإتقان بنية ؛ تهتم به الخلفاء الرواثيون ، فزادوا
فيه زيادة بعد زيادة ، وتتميا أثر تميم ، حتى بلغ الغاية فى الإتقان ، فصار يحار فيه الطرف ،
ويعجز عن حسنه الوصف ؛ فليس فى مساجد المسلمين مثله تنميكا وطولا وعرضا ؛
طوله مائة باع ، و [عرضه] ثمانون باعا ، ونصفه مسقف ، ونصفه صحن بلا سقف ؛
وعدد قبيى مسقفه تسع عشرة قوسا ، وسوارى مسقفه بين أعمدته وسوارى قبيه^(٢)
صغارا وكبارا مع سوارى القبلة^(٣) الكبرى وما يليها ألف سارية ؛ وفيه مائة وثلاث

١٥

(١) ام : « خلفها بها » (٢) ام : « قبلته » (٣) ام : « القبة » .

عشرة ثريّا للوقيد، أكبرها واحدة منها تحمل ألف مصباح، وأقلها تحمل اثني عشر مصباحًا، وجميع خشبه من عيدان الصنوبر الطرطوشي، ارتفاع حدّ الجائزة منه شبرٌ وافرٌ، في عرض شبرٍ إلا ثلاثة أصابع، في طول كلّ جائزة منها سبعٌ وثلاثون شبرًا؛ وبين الجائزة والجائزة غلظُ جائزة؛ وفي سقفه من ضروب الصنائع والنقوش ما لا يُشبه بعضها بعضًا، قد أُحْكِمَ تزيينها^(١)، وأبدع تلوينها؛ بأنواع الحمرة والبياض والزرقة والخضرة والتكحيل، فهي تروق العين وتستميل النفوس، يأتقان ترسيمها ومختلفات ألوانها. وسعة كلّ بلاطٍ من بلاط سقفه ثلاثة وثلاثون شبرًا؛ وبين العمود والعمود خمسة عشر شبرًا؛ ولكلّ عمود منها رأسٌ رخامٍ وقاعدةٌ رخامٍ. ولهذا الجامع قبلّةٌ يعجز الواصفون عن وصفها وفيها إتقانٌ يُبهر العقولَ تنميقها، وفيها من الفُسَيْفِساءِ المذهب والمُلُونِ^(٢) ما بعث به صاحب القسطنطينية العظمى إلى عبد الرحمن الناصر لدين الله؛ وعلى وجه المحراب سبع قسيّ قائمة على عمُد، طول كلّ قوس أيف من قامة، وكلّ هذه القسيّ موجهةٌ صنعة القوط^(٣)، قد أعجزت المسلمين والرُومَ بغريب أعمالها، ودقيق وضعها؛ وعلى أعلى الكلّ كتابانٍ منحوتان^(٤) بين بحرَيْنِ^(٥) من الفُسَيْفِساءِ المذهب في أرض الزجاج اللازوردِيّ، وعلى وجه المحراب أنواع كثيرة من التزيين والنقوش، وفي جهتي^(٦) المحراب أربعة أعمدة: اثنان أخضرانِ واثنان زُرْزُورِيَّانِ لا تقوم بمال، وعلى رأسِ المحراب خصّةٌ رخامٍ قطعة واحدة مشبوكة منصّعة بأبدع التنسيق من الذهب واللازورد وسائر الألوان، واستدارت على المحراب حظيرةٌ خشبٍ، بها من أنواع النقش كلُّ

(١) أو: «ترتيبها». (٢) ت و س: «البلور». (٣) أو: «مزججة صنعة القوط».

(٤) أو: «ميجونان». (٥) ت و س: «محرابين». (٦) أو: «غضادقي».

غمرية ، ومع يمين المحراب المنبر الذي ليس بمعمور الأرض مثله صنعة ، خشبه آبنوس
 وبفس وعود المجمر ، يقلل إنه صنع في سبع سنين ، وكان صناعه ستة رجال غير من
 يخدمهم تصرفا ؛ وعن شمال المحراب بيت فيه عدد وطشوت ذهب وفضة وحسك ،
 وكلها لوقيد الشمع في كل ليلة سبع وعشرين من رمضان ؛ وفي هذا المخزن مصحف
 يرفعه رجلان ليقله ، فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان (رضه) الذي خطه يمينه ،
 وفيه نقطة من دمه ؛ ويخرج هذا المصحف في صبيحة كل يوم ، يتولى إخراجَه
 قوم من قومة المسجد ؛ وللمصحف غشاء بديع الصنعة ، منقوش بأعرب ما يكون من
 النقش ، وله كرسى يوضع عليه ، ويتولى الإمام قراءة نصف حزب فيه ، ثم يرفع إلى
 موضعه . وعن يمين المحراب والمنبر باب يقضى إلى القصر بين حائطي الجامع في سباط
 متصل ، وفي هذا السباط ثمانية أبواب : منها أربعة تنقلق من جهة القصر ، وأربعة
 تنقلق من جهة الجامع ؛ ولهذا الجامع عشرون بابا مصفحة بصفائح النحاس وكواكب
 النحاس ؛ وفي كل باب منها حلقتان في نهاية الإتقان ، وعلى وجه كل باب منها في
 الحائط ضروب من الفص المتخذ من الآجر الأحمر المحكوك ، أنواع شتى وأصناف
 مختلفة من الصناعات والتعقيق .

وللجامع في الجهة الشمالية الصومعة الغربية الصنعة ، الجليلة الأعمال ، الرائقة
 الشكل والمثال ؛ ارتفاعها في الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشي ، منها ثمانون ذراعا
 إلى الموضع الذي يقف فيه المؤذن ، ومن هناك إلى أعلاها عشرون ذراعا ؛ ويصعد إلى
 أعلى هذا المنار بمدرجتين ، أحدهما من الجانب الغربي والثاني من الشرق ؛ إذا افترق
 الصاعدان أسفل الصومعة لم يجتمعا إلا إذا وصلا الأعلى . ووجه هذه الصومعة مبطن

بالكذّان ، منقوشٌ من وجه الأرض إلى أعلى الصَّوْمَعَةِ بصنعةٍ تحتوى على أنواع من التزييق والكتابة . وبالأوجه الأربعة الدائرة من الصومعة صَفَّانٍ من قِسيِّ دائرةٍ على مُعَدٍّ^(١) الرخام ، ويبتُّ له أربعة أبواب مُعلَّقةٌ يبيتُ فيه كلُّ ليلةٍ مؤذَّنان . وعلى أعلى القُبَّةِ^(٢) التي على البيت ثلاث تَفَاحَاتٍ ذَهَبًا ، واثنتان من فضةٍ ، وأوراق سُوسَنِيَّةٍ ؛ تَسَعُ الكبيرة من هذه التَفَاحَاتِ ستين رِطْلًا من الزيت ، ويخدم الجامعُ كلَّهُ ستون رجلًا ، وعليهم قائمٌ ينظر في أمورهم^(٣) . فهذا ما حكاه محمد بن محمد بن إدريس .

وقرطبة على نهرٍ عظيم ، عليه قنطرةٌ عظيمةٌ من أَجَلِّ البنيان قرارا ، وأعظمه خطرا ؛ وهى من الجامع فى قبلته وبالقرب منه فانتظم به الشكل . قالوا : بأمر عمر بن عبد العزيز قام على نهر قرطبة الجسرُ الأعظمُ الذى لا يُعرف فى الدنيا مثله ، وحول الأندلس من عمل إفريقية ، وجردَ لها عاملاً من قبله ، ووقعت المغانم فيها عن أمره . ١٠

* وَذَكَرَ أَنَّ تَفْسِيرَ قَرْطَبَةٍ بِلِسَانِ الْقُوطِ « قَرْطَبَةٌ » بِالظَّاءِ الْمَعْجَمَةِ ، وَمَعْنَى ذَلِكَ بِلِسَانِهِمْ « الْقُلُوبُ الْمُخْتَلِفَةُ » وَقِيلَ : إِنَّ مَعْنَى قَرْطَبَةٍ آخَرَ « فَاسْكُنَهَا » . وَدَوَّرَ مَدِينَةَ قَرْطَبَةَ فِي كَمَالِهَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ ذِرَاعٍ ؛ وَلَهَا مِنَ الْأَبْوَابِ بَابُ الْقَنْطَرَةِ ، وَهُوَ بِقَبْلِهَا ، وَمِنْهُ يُعَبَّرُ النَّهْرُ عَلَى الْقَنْطَرَةِ ، وَالْبَابُ الْجَدِيدُ^(٤) وَهُوَ شَرْقِيَّهَا ، وَبَابُ عَامَرٍ وَهُوَ بَيْنَ الْغَرْبِ وَالْجُوفِ مِنْهَا وَغَيْرُهَا ، وَقَصْرُ مَدِينَةِ قَرْطَبَةَ بِغَرْبِهَا مُتَّصِلٌ بِسُورِهَا الْقِبْلِيِّ وَالْغَرْبِيِّ ؛ وَجَامِعُهَا بِإِزَاءِ الْقَصْرِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ ، وَقَدْ وَصَلَ بَيْنَهُمَا بِسَابِاطٍ يَسْلُكُ النَّاسُ تَحْتَهُ مِنَ الْمَحْجَّةِ الْعُظْمَى الَّتِي بَيْنَ الْجَامِعِ وَالْقَصْرِ إِلَى بَابِ الْقَنْطَرَةِ ، وَكَانَ طَوْلُ مُسَقَّفِ

(١) ت و س : « عقد » . (٢) ت و س : « الصومعة » .

(٣) ا و س ٢٠٨ — ٢١٢ . (٤) ت و س : « الباب الجديد » .

- البلاطات من المسجد الجامع ، وذلك من القبلة إلى الجوف قبل الزيادة ، مائتين وخمسا وعشرين ذراعاً ، والعرض من الشرق إلى الغرب قبل الزيادة مائة ذراع وخمس أذرع ، ثم ما زاد الحَكَم في طوله في القبلة مائة ذراع وخمس أذرع ، فكدل الطول ثلاثمائة ذراع وثلاثين ذراعاً ؛ وزاد محمد بن أبي عامر بأمر هشام بن الحَكَم في عَرْضِهِ من جهة المشرق ثمانين ذراعاً ، قَمَّ العَرْضُ بمائتين وثلاثين ذراعاً . وكان عدد بلاطاته أحد عشر بلاطاً ، ٥
- عَرْضُ أَوْسَطِهَا سِتَّةَ عَشَرَ ذراعاً ، وعَرْضُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الَّذِينَ يَلِيَانِهِ شَرْقاً وَالَّذِينَ يَلِيَانِهِ غَرْباً أَرْبَعَةَ عَشَرَ ذراعاً ؛ وعَرْضُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّتَّةِ الْبَاقِيَةِ إِحْدَى عَشَرَ ذراعاً ؛ وزاد محمد بن أبي عامر فيه ثمانى بلاطات ، عَرْضُ كُلِّ وَاحِدٍ عَشَرَ أذْوَاع . وطول الصحن من المشرق إلى المغرب مائة وثمان وعشرون ذراعاً ، وعَرْضُهُ من القبلة إلى الجوف مائة واحدة وخمس أذْوَاع ؛ وعَرْضُ السَّقَائِفِ المُسْتَدِيرَةِ بِصَحْنِهِ عَشْرَةَ أذْوَاع ؛ فَتَكْسِيرُهُ ١٠
- ثَلَاثَةَ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ ذِرَاعٍ وَمِائَةً وَخَمْسُونَ ذِرَاعاً . وعدد أبوابه تسعة : ثَلَاثَةٌ فِي صَحْنِهِ غَرْباً وَشَرْقاً وَجَوْفًا ، وَأَرْبَعَةٌ فِي بَلَاطَاتِهِ : اثْنَانِ غَرْبِيَّانِ وَاثْنَانِ شَرْقِيَّانِ ، وَفِي مَقَاصِيرِ النِّسَاءِ مِنَ السَّقَائِفِ بَابَانِ . وَجَمِيعُ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْمِدَةِ أَلْفِ عَمُودٍ وَمِائَتَا عَمُودٍ وَثَلَاثَةٌ وَتِسْعُونَ عَمُودًا ، رِخَامٌ كُلُّهَا . وَقِبَابٌ مَقْصُورَةٌ الْجَامِعِ مُذَهَّبَةٌ ، وَكَذَلِكَ جِدَارُ الْحَرَابِ وَمَا يَلِيهِ قَدْ أُجْرِى فِيهِ الذَّهَبُ عَلَى الْفُسْفَيْفَسَاءِ ، وَثُرِيَّاتُ الْمَقْصُورَةِ فِضَّةٌ مُحَضَّةٌ ؛ وَارْتِفَاعُ الصُّومَعَةِ الْيَوْمَ ، ١٥
- وَهِيَ مِنْ بِنَاءِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ ذِرَاعًا إِلَى أَعْلَى الْقُبَّةِ الْمَفْتُوحَةِ الَّتِي يَسْتَدِيرُ بِهَا الْمُؤَذِّنُونَ ، وَفِي رَأْسِ هَذِهِ الْقُبَّةِ تَفَاحٌ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، وَارْتِفَاعُهَا إِلَى مَكَانِ الْأَذَانِ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا ، وَطُولُ كُلِّ حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِهَا عَلَى الْأَرْضِ ثَمَانِي عَشْرَةَ أذْوَاعَ ، وَعَدَدُ الْمَسَاجِدِ بِقَرَطِبَةِ عَلَى مَا أُخْصِيَ وَضُبِطَ أَرْبَعُمِائَةٍ وَإِخْدَى وَتِسْعُونَ مَسْجِدًا ^(١) .

وأحوازُ قرطبة تنتهى فى المغرب إلى أحواز إشبيلية ، وتأخذ فى الجوف ستين ميلاً ، ويختلط أحوازها فى الشرق بأحواز جيّات . وعلى الجملة فقد كانت أم البلاد وواسطة عقد الأندلس ، وحوّت من الأكابر من أهل الدنيا والآخرة ، من الملوك والعلماء والصالحين والمفتين وغيرهم خلقاً ، ومتعوا فيها ما أراد الله عزّ وجلّ ، وذلك حين كان جدّها صاعداً ؛ وبعد ذلك * طحنّها النوائب ، واعتورّتها المصائب ؛ وتوالّت عليها الشدائد والأحداث ؛ فلم يبقَ من أهلها إلاّ البشر اليسير على كبر اسمها ، وضخامة حالها ؛ وقنطرُها التى لا نظير لها ، وعددُ أقواسها تسع عشرة قوساً ، بين القوس والقوس خمسون شبراً ، ولها ستائر^(١) من كلّ جهة تستر القامة ، وارتفاعها من موضع المشى إلى وجه الماء ، فى أيام جفوف الماء وقلته ، ثلاثون ذراعاً ؛ وتحت القنطرة يمرّض الوادى برصيف مصنوع من الأحجار والعُمد الجافية من الرخام ؛ وعلى السّدّ ثلاث بيوت أرحاء ، فى كلّ بيت منها أربعة مطّاحين . ومحاسنُ هذه المدينة وشماختها أكثر من أن يحاطَ بها خبراً^(٢) . فلما عثر جدّها ، وخوى نجمها ، وضعف أمرُ الإسلام ، واختلّفت بالجزيرة كلمته ، تعلّب عليها النصارى ، وحكموا عليها فى أواخر شوال من سنة ٦٣٣ .

١٤١ - قرمونة

مدينة بالأندلس فى الشرق من إشبيلية ، وبينها وبين إستجة خمسة وأربعون ميلاً ، وهى مدينة كبيرة قديمة ، وهى باللسان اللّطيني « كارب موية » (وهى الكاف والألف والراء والباء المعجمة بواحدة) معناه « صديق » ؛ وهى فى سفح جبلٍ عليها سورٌ حجارة

من بنيان الأول كان تشلّم في الهدنة ، ثمّ بُني في الفتنة ، وجنبتها حصينة ممتعة على المحاربين إلا من جهة المغرب ، وارتفاع سورها هناك أربعون حجراً ، وبالذراع ثلاث وأربعون ذراعاً ، وفي هذا السور الغربي بُرج يُعرف بالبرج الأجم ، عليه يُنصب العرّادات عند القتال ؛ وفي ركن هذا السور أيضاً ، ممّا يلي الجوف ، بنيان مُرتفع على السور يسمّى سمر ملة ، عليه بُرج للمُحاربين ، وتحت مَرَجٍ نضير لا ينهشم ولا يَصْوَحُ ٥ كلاًه ، ويتّصل بهذا السور خندق عميق جداً أوّلئ ، وتراؤه مستند إلى السور ، وفي السور القبلي موضع فيه صخرة عظيمة منيعة متصبّة كالخائط ، يحسّر عنها الطرف من علوّها ، والسور مبني فوقها ، وقد بقي منها دونه قدر ممشى الرجل ، فيتدلّى من هناك الرجال لاشتيتار العسل ، واصطياد فراخ الطير من صدوع تلك الصخرة ؛ وفي هذا السور القبلي باب يُعرف بباب يرنى ، نُسب إلى قرية بإزائه تسمّى يرنى ، وباب ١٠ قرطبة شرقيّه عليه قسبة وأبراج ، وباب قلشانة بين الشرق والجوف ، ومنه الخروج إلى قرطبة لسهولته ؛ وأمّا باب قرطبة فطريقه وعُرّ ممتنع ، وباب إشبيلية غربيّ ، دونه إلى داخل المدينة باب ثمان بينهما خمسون ذراعاً ؛ وبمدينة قرمونة جامع حسن البناء ، فيه سبع بلاطات ، على أعمدة رخام وأرجل صخر ، وسوقها جامعة يوم الخميس ، وبها حمامات ودار صناعة ، بُدِيت بعد سنة المجوس تخزناً للسلاح ؛ وبداخل مدينة قرمونة ١٥ آثار كثيرة للأول ، ومقطع حجر ، وحواليها مقاطع كثيرة ، منها مقطع بجوفيتها . وإشبيلية بقرب مدينة قرمونة بينهما عشرون ميلاً .

وبقرب قرمونة فخص عريض حمال للزرع فيه قُرَى كثيرة ذات مياه غزيرة وعيون وآبار .

١٤٢ - قَرْنَاطَة

(بالتون) مدينة بالأندلس ، في ناحية مُنتَزَحة عن العُمران ، وفي جبالٍ شاهقةٍ هناك غارٌ فيه رجلٌ مَيِّتٌ لم تُغَيِّرْهُ الأَزمِنَةُ ولا يُدرى له أوَّلُ شَأْنٍ ، وَيَكِفُّ من أَعْلَى الغَارِ ماءٌ في وَقْبٍ ^(١) لَطِيفٍ فلا يفيضُ ذلك الوَقْبُ بدوامِ الماءِ ، وإن شَرِبَ منه العددُ الكثيرُ لم يتقص . ويدُّ كَرَّ أنْ بَعْضُ المستهزئين أَخَذَ من أَكْفَانِ ذلك المَيِّتِ فَصَعَقَ لِقَوْرِهِ .

١٤٣ - قَسْطَلَّةُ دَرَّاج

قَرْيَةٌ في غَرْبِ الأندلس ، منها أبو عمر أحمد بن محمد بن دَرَّاج القسطلِّي ، ودَرَّاج هو الذي تُنسَبُ إليه القرية فيقال قَسْطَلَّةُ دَرَّاج . وكان أبو عمر هذا كاتباً من كُتَّاب الإنشاء في أيام المنصور بن أبي عامر ، وهو معدودٌ في جملة العلماء والمقدِّمين من الشعراء ، واختيرَ واقتُرِحَ عليه فبرز وسبق . فن قوله يَصِفُ السوسن ويمدح الحاجب المظفر سيف الدولة عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر [منسرح] :

إِنْ كَانَ وَجْهُ الرِّيعِ مُبْتَسِماً فَالسَّوسَنُ الْمُجْتَلَى ثَنِيَاءُ
يَا حُسْنُهُ بَيْنَ صَاحِكٍ عَبَقٍ يَطِيبُ رِيحَ الْحَيِيبِ رِيَاءُ
خَافَ عَلَيْهِ الْعَيُونُ غَاشِيَةً فَاشْتَقَّ مِنْ حَدِّهِ ^(٢) فَسْمَاءُ
وَهُوَ إِذَا مَغْرَمٌ تَنَسَّاهُ خَلَّى عَلَى الْأَنْفِ مِنْهُ سِيَاءُ
يَا حَاجِبًا مَذْبَرَاهُ خَالِقُهُ تَوَجَّهَ بِالْعُلَى وَحَلَاءُ
إِذَا رَأَاهُ الزَّمَانُ مُبْتَهَجًا فَقَدْ رَأَى كُلَّ مَا تَمْنَاهُ
وَأَنْ رَأَاهُ الْهِلَالُ مَطْلَعًا يَقُولُ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ

(١) من : « وقت » . (٢) طرقة في سمه : « الحد القطع وهو بالسيف ولذا سمي سيف الدولة » .

١٤٤ - قَشْتَالَة

عملٌ من الأعمال الأندلسيّة ، قَاعِدَتُهُ قَشْتَالَة سُمِّيَ العملُ بها ، وقالوا : ما خلف الجبل المسمّى بالشارّات في جهة الجنوب يسمّى إشبانيا ، وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمّى قشتالة ، ولبعضهم [كامل] :

- الروم تضرب في البلاد وتغنمُ والعرب تأخذ ما بقي المغربِ
والمال يوردُ كلُّهُ قَشْتَالَة فالله يلفظ بالعباد ويرحمُ

١٤٥ - الْقَصْر

مدينةٌ بالأندلس ، بينها وبين شِلْب أربعة مراحل .

- * وهي مدينة حسنة متوسطة ، على ضفّة نهر كبير ، وهو نهرٌ تصعد فيه السفنُ^(١)
- السّفَرِيَّة ، وفيما استدار بها من أرض كلّها شجر الصنوبر ، وبها الإنشاء الكثير ،
- وهي خصيبة ، كثيرة الألبان والسمن والعسل واللحم ، وبين القصر والبحر عشرون ميلاً^(٢) .

١٤٦ - قَصْر أَبِي دَانِس

- بغربيّ الأندلس ، فيه كانت الواقعة على المسلمين للروم في سنة ٦١٤ ، وأعانهم أهلُ الأشبونة وغيرها من مملكة ابن الرّقيق ، فأخذوا في نقب الأرض تحت الحصن ،

(١) في إر : « والمراكب » . (٢) إر ص ١٨١ .

إلى أَنْ قَنِطُوا وَأَفْضَى النَّاسِ إِلَى الْهَلَكَةِ ، وَبَلَغَ الْأَمْرُ إِلَى الْوَلَاةِ الَّذِينَ فِي غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ
وإشبيلية وقرطبة وجيَّان ، فَتَجَهَّزُوا لِدِفَاعِ الْعَدُوِّ ، وَجَاءَ مِنْهُمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ لَكُنْهُمْ
تَخَاذُلُوا عَلَى عَادَتِهِمْ ، فَكَانَتْ الْهَزِيمَةُ عَلَيْهِمْ وَوَلَّوْا مِنْهُمْ مِيزِينَ ، وَوَقَعَ الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ ، وَلَمْ
يَبْرَزْ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الرُّومِ إِلَّا نَحْوُ سَبْعِينَ فَارِسًا ، وَرَأَى أَهْلُ الْحَصَنِ ذَلِكَ فَأَيَقَنُوا
بِالتَّغْلِبِ عَلَيْهِمْ . ٥

١٤٧ - قَلْب

هِيَ قَاعِدَةُ مَوْزُورَ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَدَارُ الْوَلَايَةِ بِهَا ، وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ ، فِيهَا مَسْجِدٌ
جَامِعٌ ، وَسُوقٌ تَرِدُهُ النَّاسُ بِضُرُوبِ الْمَتَاجِرِ ، وَهِيَ كَثِيرَةُ الزَّيْتُونِ وَالْثَّمَارِ ، وَلَهَا
بُطَائِحُ سَهْلَةٍ ، وَجِبَالٌ شَاخِجَةٌ وَعَرَّةٌ ، مِنْهَا جَبَلٌ بِقِبْلَتِهَا مَنِيْعٌ وَغَرْ حَصِينٌ ، وَعَلَى مَقَرَبَةٍ
مِنْهُ جَبَلُ الْقُرُودِ . ١٠

١٤٨ - قَلْشَانَةٌ = قَلْشَانَةٌ

(بِالسَّيْنِ وَالشَّيْنِ) بِالْأَنْدَلُسِ ، مِنْ كُورِ شَذُونَةٍ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ سَهْلِيَّةٌ عَلَى وَادِي
لَكَّهْ ، وَهُوَ بِقِبْلَتِهَا ، وَيَنْصَبُ فِيهِ عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْهَا نَهْرٌ بِوَطَةِ ، وَمَوْقِعُهُ فِي نَهْرِ لَكَّهْ ،
وَلَهَا قَصَبَةٌ مُشْرِفَةٌ بِغَرَبِهَا ، وَتَفْتَحُ بِأُخْرَى إِلَى الْقِبْلَةِ ؛ وَفِي الْمَدِينَةِ جَامِعٌ حَسَنُ الْبِنَاءِ ،
فِيهِ سِتُّ بِلَاطَاتٍ ، بَنَاهُ الْإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَقَلْشَانَةُ مَتَوَسِّطَةُ الْمَدْنِ بِكُورِ
شَذُونَةٍ ، وَبِهَا كَانَ قَرَارُ الْعَمَالِ وَالْقَوَادِ عَلَى شَذُونَةٍ ، وَمَدِينَتُهَا الْأَوَّلِيَّةُ الْمَذْكُورَةُ فِي كِتَابِ
الْقِيَاصِرَةِ مَدِينَةُ شَذُونَةٍ الَّتِي تُعْرَفُ فِي عَصْرِنَا بِمَدِينَةِ ابْنِ السَّلِيمِ ، وَبَنُو السَّلِيمِ قَدِ انْصَرَفُوا

إليها عند خراب مدينة قلشانة وصاروا فيها ، وبين قلشانة ومدينة ابن السَّائِم خمسة وعشرون ميلاً ، وهي بين القَرْب والقبلة من قلشانة ، وتُعمل في قلشانة ثياب تُعرف بالقلشانيَّة مخرعة الصنعة ، غريبة العمل .

١٤٩ — قلعة أيوب

- ٥ بالأندلس بقرب مدينة سالم .
* وهي مدينة رائعة البقعة ، حصينة ، شديدة المنعة ، كثيرة الأشجار والثمار ، كثيرة الخصب ، رخيصة الأسعار ، وبها يُصنع الغضار المذهب ، ويتجهز به إلى كل الجهات ، وهي قريبة من مدينة درُوقة ، بينهما ثمانية عشر ميلاً^(١) .

١٥٠ — قلعة رباح

- ١٠ بالأندلس أيضاً من عمل جيَّان ، وهي بين قرطبة وطليطلة ، وهي مدينة حسنة ، ولها حصونٌ حصينة على نهرٍ ، وهي مدينة مُحدثة في أيام بني أمية ، وإنما عمرت قلعة رباح بخراب أوريط ، وبقرّب قلعة رباح حامضٌ إذا نُحِضَ في سقاءٍ حلاً .
وفي سنة ٢٤١ أمر الإمام محمد بتحسين مدينة قلعة رباح والزيادة في مبانيها ، ونقل الناس إليها وإلى مدينة طليطلة ، ثم ملكها النصارى ولم تزل في أيديهم إلى عام وقبعة الأَرَك ، نفّات قبل الوصول إليها ؛ وكان بقاؤها في أيديهم إحدى وخمسين سنة وعشرة أشهر ؛ فأمر المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بتطهير جامعها ، وصلى فيها ، وقدم على قوادها يوسف بن قاديس .

١٥١ - قَلْبَرِيَّةٌ

(بالميم)، بالأندلس من بلاد بُرْتُقَال، بينها وبين قُورِيَّة أربعة أيَّام .
* وهي على جبلٍ مستدير، وعليها سورٌ حصينٌ، ولها ثلاثة أبواب، وهي في نهاية
من الحصانة^(١).

* وهي صغيرة متحضرة عامرة كثيرة الكروم والتفاح والقراسيا؛ ومكانها في
رأس جبلٍ ثرابٍ، لا يُمكن قتالها، وهي على نهرٍ عليه أرحاب، وبين قَلْبَرِيَّة وسَنْتَرِين
ثلاث مراحل، وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلاً^(٢).

١٥٢ - قَنْطَرَةُ السَّيْفِ

بالأندلس وهو حصنٌ بينه وبين ماردة يومانٍ، * وهو حصنٌ منيع على نهر^(٣) القنطرة،
وأهلها متحصنون فيه، ولا يقدر لهم أحدٌ على شيء، والقنطرة لا يأخذها القتال إلا من
بأنها قَنْطَرُ^(٤)، والقنطرة هذه قنطرة عظيمة على قوسٍ من عمل الأول، في أعلاها سيفٌ
معلقٌ لم تغيِّره الأزمنة ولا يُدرى ما تأويله.

١٥٣ - قُورِيَّةٌ

بالأندلس، قريبة من ماردة، وبينها وبين قنطرة السيف مرحلتانٍ، * ولها سورٌ
منيعٌ، وهي أوليَّة البناء، واسعة الفناء، من أحسن المعاقل، وأحسن المنازل، ولها بَوَادٍ شريفة
خصيبة، وضياحٌ طيبة، وأصنافٌ من الفواكه كثيرة، وأكثرها العنب والتين^(٥).

(١) ارس ١٨٣ . (٢) ارس م ٦٠ . (٣) ارس نفس .

(٤) ارس ١٨٣ . (٥) ارس ١٨٣ .

١٥٤ - قَيَجَاطَة

مدينة بالأندلس من عمل جَيَّان ؛ كان عبد الله المعروف بالبيَّاسي من بني عبد المؤمن ، لما نازعه العادل ونزل عليه في بيَّاسة ، فلم يقدر عليه ، ورجع عنه خائباً ، استدعى البيَّاسي النصارى ، فسلم لهم بيَّاسة ، وأخرج منها المسلمين ، وسار مع الفُش ليدخل معاقِلَ الإسلام باسمه ، فدخل قَيَجَاطَة ^(١) هذه بالسيف ، وقتل العدو فيها خلقاً ، وأسر آخرين ، وكان حديثها شنيعاً تنفر منه الأسماعُ والقلوبُ . ثم سار إلى لَوْشَة من عمل غرناطة ، فقاتل أهلها وقتلوه ، وأسمعوه ما غاظه ، فسلب عليهم النصارى ، فقتلوا فيهم أشدَّ الفتك ، ثم سار إلى يَغُو من عمل غرناطة فدخلها بعد شدة ، وذلك مذكورٌ في حرف الباء ، وكان ذلك سنة ٦٢٢ .

١٥٥ - قَيْشَاطَة

١٠

* حصن بالأندلس كالمدينة ، بينه وبين شوذراثنا عشر ميلاً ؛ وفي قيداطة أسواق ورَبَضُ عامرٍ وحمَّام وفنادق ، وعليها جبلٌ ، يُقَطَّع به من الخشب الذي تُخرط منه القِصَاعُ والأطباق وغير ذلك مما يعمُّ بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب ، وهذا الجبل يتصل ببَسْطَة ، وبين جَيَّان وهذا الحصن مرحلتان ^(٢) .

(١) ت : « قيطاجة » . (٢) ا د ص ٢٠٣ .

صرف الطاف

١٥٦ - حصن الكرس

بالاندلس من عمل جيان ، كان الفُئش نَزَلَ عليه مدّة ، وفيه القائد أبو جعفر بن
فَرَج ، فارسٌ مشهورٌ بالشجاعة ، فرأى منه ضَبْطًا وصَبْرًا وحُسْنَ دَفَاعٍ ؛ وكان عند
الفُئش مهندسٌ من المسامين المُعَاهِدِينَ بِطَلِيظِلَّة ، فصنع له بُرْجًا عَظِيمًا من خشب ارتفع
به على سور الحصن ، فلمّا اكتمَلَ المهندس عمله ، بعث إلى ابن فَرَج في الباطن : إِنِّي
صَنَعْتُ هَذَا الْبُرْجَ اضْطِرَارًّا لِحَفْظِ دَيِّ ، وصَوْنٍ مِّن ورأى من الأهل ، فاحتلَّ في
إحراقه ، لئلاَّ تكون ذنوبُ المسامين في عنقي وعنقك ، إن تركته وأنت قادرٌ عليه
بأنواع الحِيل ؛ وقد طَلَيْتُهُ بِدِهَانٍ خَفِيٍّ يَقْبَلُ ^(١) النار بسرعة ، فاعرف كيف تكون
١٠ في الكرم والإبقاء ^(٢) عَلَى !

فاختار ابن فَرَج من أنجاد الرجال جماعةً ، ونهض بهم ، وبأيديهم القِطْرَان
والكَتَّان والنيران ، ودفع تحت الظلام بهم نحو البُرْج ، فأحرقَهُ حَتَّى صار رَمَادًا ،
ومات مَن كان فيه وَمَن حَامَى عنه ، ورجع سالمًا . فاعْتَمَّ الفُئش وقال : هذا كان رجاؤنا
في فَتْحِ الْحِصْن ، وقد طالت عليه إقامتنا ، ولم يَبْقَ إِلَّا أَنْ نَعْلَمَ قَدْرَ مَا بَقِيَ فِيهِ مِنَ الطَّعَامِ
والماء لبنى أمرنا على حقيقة في ذلك ؛ فانتدب لهذا الشأن نصرانيًّا ما كَرُّ أَشْقَرُ أَزْرَقُ
١٥ أَنَحْسُ ، تقضى الفِرَاسَةَ بِأَنَّهُ جَامِعٌ لِلشَّرِّ ، فأظهر أَنَّهُ أُسْلِمَ وَأَنَّهُ هَرَبَ مِنَ الْوَبَاءِ وَالْفَلَاءِ

(١) تَه : « يفتل » . (٢) كذافي ت و س ، ولله : « والإبقاء » .

الوافعين في معسكرهم ، فقبله المسمون وخالطهم حتى اطلع على أنه لم يبقَ عندهم غير زبيب يقتسمونه بالعدد ، وماء يتوزعونه بالقسط ؛ فسار ونزل من السور ليلاً إلى أهل ملته ، فأعلمهم بحقيقة الأمر ؛ فوجه الفُئش إلى ابن فرَج : إنا قد اطلعنا على خيئاتكم ، ولم يبقَ إلَّا أن تساموا الحصن ، وتستريحوا من التعب ، المفضى إلى العطب ، أو تصبروا قليلاً حتى نظفر بكم رغماً ، فنقتل جميعكم ! فاشترط عليه ابن فرَج أن يقيم لأهل الحصن سوقاً حتى يبيعوا ما لا يُقدَّر على حمله ، وأن يدفع لهم دواب^(١) يحملون عليها أشياءهم إلى جَيَّان فأوفى لهم بذلك . ولما خرج ابن فرَج تعجَّب الفُئش من طوله وعظم خلقته ، وأنكر عليه كونه سلمَّ عليه بالإشارة ولم يُقبَّلْ يده ، وتكلَّم معه الترجان في ذلك فقال : لو كُنتُ أخدمه أكان يجوز أن أقبَّلَ يَدَ خَصْمِهِ ؟ فذكر ذلك للفُئش فقال : لا يجوز ! وضحك الفُئش وقال : مثل هذا ينبغي أن تكون الرجال ! وأحسن إليه ١٠ وأعطاه فرسه وسلاحه وقال له : يعجبني أن يكون مثلك عند مثلي^(٢) .

قال : وشغل الله تعالى الفُئش مدَّةً طويلةً بهذا الحصن عن بلاد الإسلام ، وكان الناس يرون ذلك في صفيحة ابن فرَج ، وكان ذلك في سنة ٦٢٠ .

(٢) سمه : « مثله » .

(١) ت : « دواب » .

هرف السلام

١٥٧ - لآردة

في ثمر الأندلس الشرق ، وهي مدينة قديمة ابْتُدِيتْ على نهرٍ يخرجُ من أرض جليقية ، يُعرَفُ بشيقر ، وهو النهر الذي تُلْقَطُ منه شَذَرَاتُ الذَّهَبِ الخالصِ ، وهي بشرق مدينة وشقة . وكانت مدينة لآردة قد خربت وأقُفرت ، فَجَدَّدَ بِنَايَها إسماعيل ابن موسى بن لُبِّ بن قسي سنة ٢٧٠ . وحصنها منيعٌ ، فلا يُرامُ بقتالٍ ، ولا يُطمعُ فيه بطول حصار ؛ وبأعلاه مسجدٌ جامعٌ مُتَقَنُّ البناء ، بُنِيَ سنة ٢٨٨ . والحصن مُشرفٌ على فَخْصٍ عَرِيضٍ يُعرَفُ بِفَخْصٍ مشكيجان (بتفخيم الجيم) ؛ ومدينة لآردة خصيبة على الجدوب ، ولها بساتين كثيرة ، وفواكه غزيرة ، وهي مخصوصة بكثرة الكتَّان وطيبه ، ومنها يتجهَّز بالكتَّان إلى جميع نواحي الثغور ؛ وفَخْصٍ مشكيجان كثيرة الضياع والمزارع والمراعي ، ولا تخلو ضيعةٌ منها أن يكونَ بها برجٌ أو سِرْدَابٌ يمتنع فيه العايرُونَ بها من العدو ؛ وأهل الثغور في عملها يُخْرِجون الأموال من الوصايا والصدقات .

١٥٨ - لَبَلَّة

في غَرب الأندلس مدينةٌ قديمةٌ بها ثلاث عيون : إحداها عين تهشرو وهي أغزرُها ، والثانية عينُ تنبعثُ بالشبِّ ، والثالثة عينُ تنبعثُ بالزاج ، ومن إشبيلية إلى طلياطة مرحلة من عشرين ميلاً ، ومن طلياطة إلى لَبَلَّة مرحلةٌ مثلاً ؛ وتُعرف لَبَلَّة بالحمراء ، وفيها آثارٌ للأول كثيرة ، وسور لَبَلَّة قد عُقِدَ على أربعة تماثيل : صنمٌ تسميه العامة

دردب ، وعليه صَمَّ آخر ، وصَمَّ تُسَمِّيهِ العامة مكبح ، وعليه صَمَّ آخر ؛ ويُخَيَّلُ إلى الناظر أن ذلك البنيان موضوع على أعناقهم ، وانفردت بهذه البنية من بين سائر المُدُن ؛ ومن مدنها مدينة جبل العيون .

* ولَبْلَةُ مدينةٌ حسنةٌ أزلَّةٌ متوسطةُ القدر ، ولها سورٌ منيع ، ونهرٌها يأتياها من ناحية الجبل ، ويُجَازُ عليه في قنطرة إلى لبلة ، وبها أسواقٌ وتجارا ، وبينها وبين البحر المحيط ستة أميال^(١) .

وكُور لبلة جامعةٌ لفوائد الكُور ، كثيرة الزيتون والشجر وضروب الثمار ، يكون فيها القرنفل الفاضل ، ويجود بها المُصْفَر ، وهي سهليَّةٌ جبليَّةٌ ؛ وكانت جباية كورة لبلة في أيام الأمير الحَكَم بن هشام خمسة عشر ألفاً وستمئة .

١٥٩ - لَكَّة

١٠

مدينة بالأندلس ، من كورة شدونة ، قديمة ، من بنيان قيصر اكتبيان ، وآثارها باقية ، ولها حمةٌ من أشرف حمات الأندلس .

وعلى نهر لَكَّة هذه ، التقي لُذْرِيْق مَلِك الأندلس في جموعه من العجم ، وطارقُ ابن زياد في مَنْ معه من المسلمين ، يوم الأحد لِلْيَلَتَيْنِ بَقِيَّتَا من شهر رمضان لسنة ٩٢ من الهجرة ؛ فاتصلت الحربُ بينهم إلى يوم الأحد لحس خَلَوْن من شوالٍ بعده ، ثم ١٥ هزم الله المشركين ، فقتل منهم خلقٌ عظيمٌ ، أقامت عظامُهُم بعد ذلك دهرًا طويلاً بتلك الأرض ، وحاز المسامون من عسكرهم ما يجِلُّ قدره ؛ فكانوا يعرفون كبار العجم

(١) اوس ١٧٨ .

وملوّكهم بخواتم الذهب يجدونها في أصابعهم ، ويعرفون مَنْ دونهم بخواتم الفضة ،
ويعيرون عبيدهم بخواتم النحاس .

١٦٠ - لَمَايَة

إقليم لَمَايَة من أقاليم كورة رِيّه بالأندلس ، وبهذا الإقليم جبلٌ يتّصل بفحص
قرطبة ، ويُعرف واديه بوادي لَمَايَة ؛ وفي سَنَد هذا الجبل تمثالٌ صورة إنسانٍ بموضع
لا يصلُ إليه إلّا مَنْ تدلّى بالجبال ؛ ويُذكر أنّه لا يزال يسقط من منخر ذلك التمثال
الأيمن قطُ ماء ، وأنَّ العذراء من النساء تُختَبِرُ به ، وذلك بأن تُحاذِي يدها التمثال ،
فإن كانت بكرًا قطر الماء في يدها ، وإلّا لم يوافق يدها ، ولو جهدت في ذلك جهدها ؛
هذا عند أهل الناحية مستفيضٌ وأُخبر به الثقات .

١٦١ - لَقَنْت

١٠

من بلاد الأندلس ، وبينها وبين دانية على الساحل سبعون ميلًا .
* وهي مدينةٌ صغيرةٌ عامرةٌ ، وبها سوقٌ ومسجدٌ جامعٌ ومنبرٌ ، ويُتجهزُ منها
بالخلفاء إلى جميع بلاد البحر ، وبها فواكه وبقل كثير وتينٌ وأعنابٌ ، ولها قصبَةٌ منيعةٌ
جداً ، في أعلى جبلٍ يُصعدُ إليه بِمَشَقَّةٍ وتعبٍ ، وهي على صِغَرها تُنشأُ بها المراكبُ
السفريّة والحَرَاريق ، ومن لَقَنْت إلى الشّس في البرِّ مرحلةٌ ^(١) .

١٦٢ - لورقة

بالأندلس من بلاد تَدْمِير ، إحدى المعاقل السبعة التي عاهد عليها تَدْمِير ، وهي كثيرةُ الزرع والضرع والخر .

* وهي على ظهر جبل ، وبها أسواق ورَبَضٌ في أسفل المدينة ، وعلى الرَبَضِ سورٌ ، وفي الرَبَضِ السوقُ ، وبها مَعْدِنُ تربةٍ صفراءُ ، ومَعَادِنُ مَغْرَةٍ تُحْمَلُ إلى كثير من الأقطار ، وبينها وبين مُرسية أربعون ميلاً^(١) ، وفيها مَعَادِنُ لَزَوْرْد .

ومن أغرب الغرائب الزيتونة التي على مقربة من حصن سرنيط ، وهو حصن من حصون لورقة البرائية منها ، وهي زيتونة في حُرمة الجبل ، فإذا كان وقت صلاة العصر من اليوم الذي يستقبل أول ليلة من شهر ميّه ، نَوَّرَتِ الزيتونة فلا يَجِنُّ عليها الليل إلا وقد عقدت ، ولا تُصْبِحُ إلا وقد اسودَّ زيتونها وطاب ، قد عرف ذلك الخاصةُ والعامةُ ووقفوا عليه .

وذكر إبراهيم بن يوسف الطُرْطُوشِيُّ أَنَّ مَلِكَ الروم قال له سنة ٣٠٥ : إني أريد أن أرسل إلى مَلِكِ الأندلس قُومِسًا بهديّةٍ ، وإن مِن أعظم حوائجي عنده ، وأعظم مطالبي لَدَيْهِ أَنَّ القاعةَ الكرسيّةَ الكنيسةَ التي في الدار التي فيها الزيتونة المباركة ، التي تنور وتعقد ليلة الميلاد ، وتطم من نهارها ، فيها قَبْرُ شهيدٍ له حَمَلٌ عظيمٌ عند الله عزَّ وَجَلَّ ؛ فإنا أسأله مُدَارَاةَ أهل تلك الكنيسة ، وملاطفتهم ، حتى يَسْمَحُوا لي بِعِظَامِ ذلك الشهيد ؛ فإن حصل لي فهو أَجَلٌ عندي من كل نعمةٍ في الأرض !

وبهذه الناحية موضعٌ معروفٌ، من أراد أن يتخذ فيه جناحاً، صرف إلى الموضع العناية بالتدمين والعمارة والسقي من النهر، فتنبت الأرض هناك بطبعها شجر التفاح والكمثرى والتين والرثمان وضروب الفواكه، حاشا شجر التوت، من غير غراسة ولا أعمال: وهذا الموضع يعرف بأشكوني^(١).

وتفسير لورقة باللطيني «الزرع الخصب» وهذا الاسم وافق معناه، لأنها من المعال الخصبية، وعلى نهر مجراه إلى الشرق من هذا القطر، كما يختبر في أرض مصر، ولهذا النهر هناك مجريتان، أحدهما أعلى من الثاني، فإذا احتيج إلى السقي به عوّل بالسداد حتى يرقى المجرى الأعلى فيسقى به. وعلى هذا النهر نواعير في مواضع مختلفة، تُسقى به البساتين، ويخرج منه الجداول العظيمة، يسقى الجدول عشرة فراسخ وأكثر. وطعام لورقة يبقى مطمراً تحت الأرض عشرين عاماً لا يُفسد، وكثيراً ما يُجأحُ زروع لورقة بالجراد، ويزعم أهلها أنه كان فيها جرادة من ذهب طليماً^(٢) لدفع مضار الجراد، فسرقت من هناك، فلم يزل الجراد من حينئذٍ ظاهراً عندهم فاشياً. ويزعمون أن البقر كانت لا تُقتل عندهم، ولا يقع عندهم فيها الموتان العام لها في بعض الأعوام، حتى وُجد في بعض الأساس من مباني الأول ثوران من صخر، أحدهما أمام صاحبه، ينظر إليه، فلما انتزعت من ذلك الموضع وقع الموتان في البقر عندهم ذلك العام.

وللورقة الفحص الذي لا يعلم في الأرض مثله، وهو المعروف بالفندون، المتصل بفحص شتقنية، ومسافة ذلك خمسة وعشرون ميلاً.

(١) راجع أعلاه ترجمة أشكوني رقم ١٦ ص ٢٢. (٢) ت: « طلبا ».

وكان قدم قرطبة أيتام الأمير محمد قوم من وجوه المضريّة واليمانيّة بتدبير ،
فسألهم عن هذا الفحص فذكروا فضله ونحو ما يزرع فيه فأكثرُوا وقالوا : إنّ
الحبّة تنفّر عن أصلها ثلاثمائة قصبة ! فأنكر ذلك بعضهم ، فكذّبه ، فوجّهوا رسولا
أمرّوه بإغراء اليقين ، وبجمل أصول من ذلك الزرع فأحضرها ، فأحصى في كلّ
أصل ثلاثمائة قصبة وأكثر ، في كلّ قصبة سنبلَةٌ .

وبقرية تازة ، من قرى لورقة ، عُنّ تخرج من حجرٍ صلد ، تجري في قناةٍ منقورة
في الحجر ، عمقها أكثر من قامة ، نحو ميلين ، ثمّ يتصل الماء بنقّب من الحجر الصلد ،
ومنّا هِد مفتوحة إلى أعلى المنافس للهواء ، ثمّ يفضى إلى بيت في داخل الجبل ظليم مملوء
ماءً ، والجبل كله معتمد له على أرجلٍ ، ومن دخل إليه لا يعلم ما وراء تلك الأرجل .

١٦٣ - لوشة

١٠

بالأندلس من أقاليم البيرة ، بينهما ثلاثون ميلاً ، وبها جبل فيه غار يُصعدُ إليه ،
وعلى فيه شجرة ، وهو في حجرٍ صلد ، عمقه نحو قامتَيْن ، فيه أربعة نقرٍ موتى لا يعلم
أولُ أمرهم ولا وقتُ موتهم ، يذكر الأبناء عن الآباء أنّهم ألفوهم هكذا ، إلّا أنّ
الملوك والولاة لم يزالوا يراعون أمورهم ، ويتعهدون تجديد أكفانهم ، ولا توضع عليهم
إلّا بعد أن يُقطع فيها قطوعٌ^(١) كثيرة لئلا يطعم الفسنة بالانتفاع بها فيخلعونها عنهم .
وهو غارٌ موحش مُظلم مُرهَب ، لا يدخله إلّا رابطُ الجأش جرّى النفس .
وكان صاحب بيّاسة عبد الله المعروف بالبيّاسيّ من بني عبد المؤمن ، أمّا ضايقه

(١) ت : « يقطر فيها قطوع » .

العادل في سنة ٦٢٢ استعان بالنصارى وسلم لهم يياسة ، فدخل قِبْطَاة^(١) بالسيف ،
وسار بالعدو إلى لَوْشَة هذه ، فقاتلهم أَشَدَّ قِتَالٍ ، وسقط عليهم عدو الدين ، فقتلوا فيهم
أَشَدَّ الْقَتْلِ ، ثم سار إلى يِغُو من عمل غرناطة ، فاحتوى عليها بعد شدة .

١٦٤ - أَيُون

٥ * قاعدة من قواعد قتالة ، عامرة ، بها معاملات وتجارات ومكاسب ، ولأهلها
همة ونفاسة^(٢) .

(١) ت : « قِبْطَاة » (٢) ارسى من ٦٦ - ٦٧ .

صرف الميم

١٦٥ - مَارْتُلَّة

- على نهر بَطْلَيْوُس ، بجزيرة الأندلس ، منها الزاهد موسى بن عمران المارْتَلِي ،
اشتهر بإشبيلية بالصلاح ، وله شعرٌ مُدَوَّنٌ منقولٌ ، مِنْهُ [كامل] :
أوصيك لا تُرِدِ الشَّهَاءَ دَةَ والإِمَامَةَ والأَمَانَةَ
تسلم من التجريح والجسد المبرِّح والخيانة
ولمَّا جاز المنصور الموحِّدِي البحر إلى الجهاد عام الأَرَك ، زاره ثمَّ وَجَّهَ إليه مالاً ،
فقال للرسول : هو أَحْوَجُ في ماله اقلُّ له : هذه مائة دينار من حلالٍ خُذْهَا لنفقتك في
هذه الغزوة ، إِنِّي أَرْجُو إِن لَمْ تَطْعَم إِلَّا الحلالَ أَنْ تنصُرَ ! فيقال إِنَّ المنصور قبل منها
ما نابه لخاصَّته في تلك الحركة ، فلم يَزَلْ يتعرَّف بِبَرَكتها حتَّى نصرَهُ الله تعالى . وتوفَّى ١٠
في سنة ٥٩١ .

١٦٦ - مَارِدَة

- * مدينةٌ بجوفٍ قرطبة ، منحرفة إلى الغرب قليلاً ، وكانت مدينةً ينزلها الملوكُ
الأوائل ، فكثُرَتْ بها آثارُهُم والمياهُ المستجَلَبَةُ إليها ^(١) ، واتَّصل ملكُهُم إلى أن ملك
منهم سبعة وعشرون ملكاً ؛ ويقال إِنَّ ذَا القرنَيْنِ كانَ منهم ، وكان يقال لهذه الأُمَّة ١٥
الشُّبُونَقَات ^(٢) ، ثمَّ دخلت أُمَّة القُوط فغلبوا على الأندلس ، فاقتطعوها من صاحب

(١) ب و ه من ٢٦٢ (٢) ت و سه : « البشروعات » .

رُومة ، واتَّخذوا طليطلة دارَ مُلكهم وأَقَرُّوا فيها سريرَ مُلكهم إلى أن دَخَلَ عليهم الإسلامُ ؛ وكان آخرهم لُذْرِيْق ، وكان قد أَحْدَقَ بِمَارِدَة سورًا عَرْضُهُ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعًا ، وارتفاعه ثَمَانِي عَشَرَ ذِرَاعًا ، وكان على بابها مِمَّا يَلِي الغرب حَنَائِكُ يكون طولُها خَمْسِينَ ذِرَاعًا ، متقنَةُ البناء ، عددها ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ حَنِيَّةً ، وفي وسط قنطرتها بُرْجٌ مُخَنَّى ، يسلك تحته مَنْ سَلَكَ فِي القنطرة ؛ وتفسيرُها بِاللَّسَانِ اللَّطِينِي « مسكن الأشراف » .

وقيل بل * كَانَتْ دَارَ مَمْلُكَةٍ لِمَارِدَة بنت هَرْسُوسِ الْمَلِكِ ، وبها من البناءِ آثارٌ ظاهرة تنطق عن مُلْكٍ وَقُدْرَةٍ ، وتُعْرَبُ عن نَحْوَةٍ وَعِزٍّ وَتُقْصَحُ عن غِبْطَةٍ وَعِثْرَةٍ ؛ ولها في قَصَبَتِهَا قُصُورٌ خَرِبَةٌ ، وفيها دَارٌ يُقَالُ لها دار الطبخ ، وهي في ظهر القصر ، وكان الماءُ يَأْتِي في دار الطبخ في ساقية ، هي الآن باقية الأثر ، فتُوضَعُ صحافُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بأنواع الطعام في تلك الساقية على الماء حتى تَخْرُجَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكَةِ ، فترفع على الموائد ، ثمَّ إِذَا فُرِغَ مِنْ أَكْلِ مَا فِيهَا وَضِعَتْ فِي الساقية ، فتستدير إلى أن تَصِلَ إلى يد الطَّبَّاخِ بدار الطبخ ، فيرفعها بعد غَسْلِهَا ، ثمَّ يَمُرُّ ذَلِكَ الماءُ فِي سُرُوبِ القصر ؛ ومن أَغْرَبِ الْغَرَائِبِ جَلْبُ الماءِ الَّذِي كَانَ يَأْتِي إلى الْقَصْرِ على عُمْدٍ مَبْنِيَّةٍ تَسْمَى الْارْجَالَاتِ ، وهي أَعْدَادٌ كَثِيرَةٌ باقية إلى الآن ، قائمةٌ على قِوَامٍ لَمْ تُخْلَعْ بِهَا الْأَزْمَانُ ، وَلَا غَيَّرَتْهَا الدُّهُورُ ، فَنَها قِصَارٌ ، ومنها طَوَالٌ ، بحسب الأماكن التي كان فيها البناءُ ، وأطولُها يكون غُلُوةً سَهْمٍ ، وهي على خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ ؛ وكان الماءُ يَأْتِي عليها في قِنِّي مصنوعة خَرِبَتْ وَفَنِيَتْ ، وَبَقِيَتْ تلك الْارْجَالَاتُ قائِمةً ، يُحْيِلُ إلى النَّاضِرِ إِلَيْهَا أَنَّهَا مِنْ حَجَرٍ وَاحِدٍ لِحِكْمَةِ إِتْقَانِهَا وَتَجْوِيدِ صِنْعِهَا ؛ وفي الجنوب من سور هذه المدينة قَصْرٌ آخَرٌ صَغِيرٌ ، وفي بُرْجٍ مِنْهُ مَكَانٌ مِرْآةٌ كَانَتْ الْمَلِكَةُ مَارِدَة تنظر إلى وجهها فيه ،

ومحيط دورِه عشرون شبراً ، وكان يدور على حَرْفِهِ ، وكان دورائه قائماً ، ومكانه إلى الآن باقٍ ؛ ويقال إنما صنَعته ماردةٌ لتَحَاكِي به مِرآةَ ذِي الْقَرْنَيْنِ التي وضعها في منارة الإسكندريَّة^(١) .

- وقال هاشم بن عبد العزيز ، وقد تذاكروا شَرَفَ ماردة وفضَّلَ ما فيها من الرخام ؛ قال^(٢) : كُنْتُ كَلِيفاً بِالرَّخَامِ ، فَلَمَّا وَلِيْتُ مَارِدَةَ تَتَبَعْتُهُ لِأَنْتَقِلَ مِنْهُ كُلُّ مَا اسْتَحْسَنْتُهُ ، ٥
فِينَا أَطُوفُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ بِالْمَدِينَةِ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى لَوْحٍ رَخَامٍ فِي سُورِهَا ، شَدِيدِ الصَّفَاءِ ، كَثِيراً مَا يُخَيَّلُ لِلنَّازِلِ أَنَّهُ الْجَوْهَرُ ، فَأَمَرْتُ بِاقْتِلَاعِهِ ، فَقُلِعَ بَعْدَ مَعَانَاةٍ ، فَلَمَّا أُنْزِلَ وَجِدَ فِيهِ كِتَابٌ أُعْجِبُنِي ، فَجُمِعْتُ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ بِمَارِدَةَ مِنَ النَّصَارَى ، فَرَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْجُمَتِهِ إِلَّا أَعْجَبُنِي ذِكْرُهُ يُعْظَمُونَهُ ، فَأَتَقَذْتُ فِيهِ رَسُولاً ، فَأَتَيْتُ بِشَيْخٍ هَرِيمٍ كَبِيرٍ ، ١٠
فَلَمَّا وُضِعَ اللُّوحُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ ، وَاسْتَعْبَرَ مَلِيئاً ، ثُمَّ قَالَ لَتَرْجُمَتِهِ : بَرَاءَةٌ لِأَهْلِ إِيلِيَاءَ مِنْ عَمَلٍ فِي سُورِهَا خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعاً ، فَقَدْ كَانَ فِي افْتِتَاحِ الْأَنْدَلُسِ وَجِدَ فِي كُنَائِسِ مَارِدَةَ مَا وَقَعَ إِلَيْهَا مِنْ ذَخَائِرِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ عِنْدَ اتِّهَابِ بُخْتِ نَصَرٍ لِإِيلِيَاءَ ، وَكَانَ يَمُنُ حَضْرَهُ فِي جُنُودِهِ إِشْبَانَ^(٣) مَلِكِ الْأَنْدَلُسِ ، وَوَقَعَ ذَلِكَ وَغَيْرُهُ فِي سَهَامِهِ .
وَقَصْرَ مَارِدَةَ بَنَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ كُلَيْبٍ بْنُ ثُمَلْبَةَ ، وَهُوَ مَنِيعٌ ، طُولُ كُلِّ شَقَّةٍ مِنْ سُورِهِ ثَلَاثُمِائَةِ ذِرَاعٍ ، وَعَرْضُ الْبِنَاءِ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعاً ؛ وَقَنْطَرَةُ مَارِدَةَ عَجِيبةُ الْبِنْيَانِ ، ١٥
طُولُهَا مِيلٌ بِأَبْدَعِ مَا يَكُونُ مِنَ الْبِنْيَانِ . وَمِنْ مَارِدَةَ إِلَى بَطْلَيْوُسَ عَشْرُونَ مَيْلًا .

١٦٧ — مَالَقَةُ

بِالْأَنْدَلُسِ ، مَدِينَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، عَلَيْهَا سُورٌ صَخِرٌ وَالْبَحْرُ فِي قِبَلَتِهَا ، وَهِيَ

(١) ارم ١٨١ — ١٨٣ (٢) راجع اقتباس الأنوار للرشاطي في ترجمة الماردي .

(٣) مي : برمان .

حسنة عامرة أهلة، كثيرة الديار، وفيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إليها، وهي تُحمل إلى مضر والشام والعراق، وربما وصل إلى الهند، وهو من أحسن التين طيباً وعذوبةً، ولها ربضان كبيران، وشرب أهلها من الآبار، ولها وادٍ يجري في زمان الشتاء، وليس بدائم الجرى^(١).

وهي من تأسيس الأول، وأكثر المدينة على جسر من بناء الأول، والجسر داخل في البحيرتين هناك، قد بُني بصخر كأنوف الجبال؛ وقصبتها في شرق مدينتها، عليها سور صخر، وهي في غاية الحصانة والمنعة. وفي هذه القصبة مسجد بناه الفقيه المحدث معاوية بن صالح الحنصلي، وكان ممن حضر وقعة مروان بن محمد ليلة بؤصير، فأتجه الفراء، ولجأ إلى الأندلس فرقامن المسودة، ومات بها، وله روايات وتقدم في السنة والعلم؛ وجامع مدينة مالقة بالمدينة، وهو خمس بلاطات، ولها خمسة أبواب، بابان منها إلى البحر، وباب شرق يعرف بباب الوادي، وباب جوف يعرف بباب النخوة، وبها مبان نعمة، ومقامات حسنة، وأسواق جامعة كثيرة في الربض والمدينة؛ وذكرها الأول في كتبهم فقالوا: مدينة مالقة لا بأس عليها، ولا فرق، آمنة من جوع وسبي ودم، مكتوب ذلك في العلم الذي يُكتب؛ وقد قيل إن هذه الكلمات وجدت في بعض حجارها نقشاً بالقلم الإغريق.

قال: وجميع هذه الآثار التي أُنشأ منها، وبقاؤها عنها، قد لحقت بها، وجمعت لها سنة ٤٥٩، بمحاصرة عباد بن عباد لها، واستطالة برابر قصبتها على أهلها، فسلمهم الضر، وعمهم الفقر؛ ثم استحلّت حرماهم وسفكت مهجاتهم؛ فأنجا في البحر إلا

الشريد ، ولا تخلص إلا السعيد ؛ فَخَلَّتْ ديارُهُمْ ، وتعطَّلتْ آثارُهُمْ . انتهى .
وكذلك عندما نشأت الفتنة في آخر أيام المُلثَمين وصَدَرَ دولة الموحِّدين ، بقيام
ابن حَسَّون فيها ، وبعد ما قُتل فيها من قَتَلَ وَغَرَّبَ من غَرَّبَ ، قتل نفسه عند قيام أهل
البلد عليه ، فَسُيِّتَ حريمُهُ ، ومُزَّقوا في البلاد كلَّ مُزَّقٍ ، وأُسيطَ حاله ، والله
الحَكَمُ البالغة .

ومن مالقة إلى أَرَشْدُونَة ثمانية وعشرون ميلاً ، ومَرَسَى مالقة صيفيٌّ يكنُّ
بالغربيّ ، وبإزائه ممَّا يلي المدينة الجسرُ الذي ذكرناه ، ينكسر عليه الموجُ .
ولما وَلِيَ القاضى المحدثُ الشهيرُ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الله الأنصارى
قضاء مالقة ، وقدم عليها ، خرج طلبتها إلى لقائه ، فأنشدهم [سريع] :

١٠ مالقةٌ حَيَّتْ ياتينها الفلكُ من أجلك ياتينها
نَهَى طيبي عنك في علِّي ما لطيبي عن حياتي نَهَا

١٦٨ - مَدِينَةُ الْمَائِدَةِ

في أحواز طَلِيظَلَة سُمِّيَتْ بذلك لَأَنَّهَا وُجِدَتْ فيها المائدةُ المنسوبةُ إلى سليمان بن
داود (عليهما السلام) ، وهى خَضْرَاءُ من زَبَرَجَد ، حافاتها وأرجلها ، وفيها ثلاثمائة
وخمسة وستون رجلاً ؛ وانتهى إليها طَارِقُ حين مضى إلى طليظلة سنة ٩٣ .

١٥

١٦٩ - مَجْرِيْط

مدينةٌ بالأندلس شريفةٌ ، بناها الأميرُ مُحَمَّدُ بن عبد الرحمن ، ومن مجريط إلى
قنطرة ماقدة ، وهو آخر حَيَزِ الإسلام ، إحدى وثلاثون ميلاً ، وفي مجريط تربةٌ

يُصْنَعُ مِنْهَا الْبِرَامُ ، وَتُسْتَعْمَلُ عَلَى النَّارِ عَشْرِينَ سَنَةً لَا تَنْكَسِرُ ، وَمَا طُبِخَ فِيهَا لَا يَكَاذُ
يَتَغَيَّرُ فِي حَرِّ الْهَوَاءِ ؛ وَحَصْنٌ مُجَرِّيطٌ مِنَ الْحَصُونِ الْجَلِيلَةِ ، وَهُوَ مِنْ بِنَاءِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ
ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . وَذَكَرَ ابْنُ حَيَّانٍ فِي تَأْرِيخِهِ الْخَنْدَقَ الَّذِي خُنِدِقَ بِخَارِجِ سُوْرِ مُجَرِّيطِ
قَالَ : عُثِرَ فِيهِ عَلَى قَبْرِ بَرِمَّةٍ عَادِيَةٍ ، كَانَ طَوْلُهَا إِحْدَى وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا ، الَّتِي هِيَ مِائَةٌ
شَبْرٌ وَشَبْرَانِ ، مِنْ نُزْمَةٍ ^(١) رَأْسِهِ إِلَى طَرَفِ قَدَمَيْهِ ، وَصَحَّ هَذَا بِالثَّبُوتِ مِنْ مُخَاطَبَةِ
قَاضِي مُجَرِّيطِ ، وَوُقُوفِهِ عَلَيْهِ ، وَمُعَايِنَتِهِ إِثْبَاهَ ، وَمُعَايِنَةِ شَهْوَدِهِ ذَلِكَ ، وَأُخْبِرَ أَنَّ مِقْدَارَ
مَا وَسِعَهُ تَجْوِيفٌ قَحْفٍ دِمَاغِهِ مَا قَدَرُهُ ثَمَانِيَةُ أَرْبَاعٍ أَوْ نَحْوَهَا ، فَسَبْحَانَ مَنْ لَهُ فِي كُلِّ
شَيْءٍ آيَةٌ !

* وَجَرِّيطُ مَدِينَةٍ صَغِيرَةٍ ، وَقَلْعَةٌ مُنِيعَةٌ ، وَكَانَ لَهَا فِي زَمَنِ الْإِسْلَامِ مَسْجِدٌ جَامِعٌ
وَخُطْبَةٌ قَاعَةٌ ^(٢) ، وَهِيَ بِمَقْرَبَةٍ مِنْ طَلِيطَلَةِ .

١٧٠ - مَرَبَلَّةُ

بِالْأَنْدَلُسِ بِقَرَبِ مَرَسَى سُهَيْلٍ وَمَرَسَى مَالِقَةَ ، وَمَرَبَلَّةُ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ مَسُورَةٌ
مِنْ بِنَاءِ الْأَوَّلِ ، مُحْكَمَةُ الْعَمَلِ ، مُمْتَنِعَةُ الْمَرَامِ ؛ وَهَنَّاكَ جَبَلٌ مُنِيفٌ عَالٍ ، يَزْعُمُ أَهْلُ تِلْكَ
النَّاحِيَةِ أَنَّ النَّجْمَ الْمُسَمَّى سُهَيْلًا يُرَى مِنْ أَعْلَاهُ ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو الْقَاسِمِ الْأُسْتَاذُ الْحَافِظُ ،
مُؤَلِّفُ الرُّوضِ الْأَنْفِ ، السُّهَيْلِيُّ .

١٧١ - مَرِيْطَرُ

حَصْنٌ بِالْأَنْدَلُسِ ، قَرِيبٌ مِنْ طَرُطُوشَةِ ، وَهُوَ عَلَى جَبَلٍ ، وَالْبَحْرُ بِقَبْلَتِهِ ،

ويظهر منه شرقاً وغرباً ؛ ومريبطر جامعٌ ومساجدٌ ، وفيها آثَارٌ للأول : دارُ مَلْعَبٍ وأصنامٌ وغير ذلك ؛ وهي كثيرةُ الزيتون والشجر والأعْنَابِ وأصناف الثمار ؛ ومن مريبطر إلى أوَّل قُرَى بُرِّيَّانة تسعةَ عشر ميلاً ونصف ميلٍ .

١٧٢ - مرج الأمير

بالأندلس عند قرية مليس ، بقرب وادي آش ، وبه عَسْكَرَ عبد الرحمن بن محمد .
إِذْ كَانَ مُحَاصِرًا لِحِصْنِ اشْتَبِينَ .

١٧٣ - مرسانة

مدينة بكورة إشبيلية ، ومرسانة أيضاً من حصون المريّة .

١٧٤ - مرسية

- ١٠ بالأندلس ، وهي قاعدة تُدْمِير ، بناها الأميرُ عبد الرحمن بن الحكم ، وأتخذت داراً للعمال ، وقراراً للقواد . وكان الذي تولى بنائها ، وخرج العهدُ إليه في اتِّخَاذِهَا جَابِرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ لَبِيدٍ ؛ وكان تأريخ الكتاب يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأوَّل سنة ٢١٦ ؛ فلما بناها ورد كتابُ الأمير عبد الرحمن على جابر بن مالك بخرابِ مدينةِ أَلِّهِ مِنَ الْمَضَرِّيَّةِ وَالْيَمَانِيَّةِ ؛ وكان السببُ في ذلك أَنَّ رجلاً من اليمانيّة استقى من وادي لُورَقَةٍ قُلَّةً ، وأخذَ وَرَقَةً من كَرَمٍ لرجلٍ مِنَ الْمَضَرِّيَّةِ ، ففطى بها القلّة ، فأنكر ذلك الْمَضَرِّيُّ وقال : إِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِخْفَافًا بِي إِذْ انْقَطَعَتْ وَرَقٌ كَرْمِي ، وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ بَيْنَهُمَا حَتَّى تَحَارَبَ الْحَيَّانِ ، وَعَسْكَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، واقتتلا أشدَّ قتالٍ .
- ومرسية على نهر كبير يسقى جميعها كنيل مِصْرَ ، ولها جامعٌ جليلٌ ، وحمامات

وأسواق عامرة ، وهي راخية أكثر الدهر ، رخيصة الفواكه ، كثيرة الشجر والأعنان وأصناف الثمار ، وبها معادن فضة غزيرة متصلة المادّة ؛ وكانت تُصنع بها البُسْطُ الرفيعة الشريفة ؛ ولأهل مرسية حذق بصنعتها وتجويدها لا يبلغه غيرهم .
ومن مرسية أبو غالب تمام بن غالب ، المعروف بابن التّياني اللّغوي المُرسي صاحب الموعب ؛ وكان أبو الجيْش مُجاهد بن عبد الله ، صاحب دانية ، قد تغلّب على مرسية وأبو غالب إذ ذاك بها ، فأرسل إليه ألف دينار على أن يزيد في ترجمة الكتاب أنّه ألفه لأبي الجيْش مُجاهد ، فرَدَّ الدنانير وأبى من ذلك وقال : والله لو بُدِّلَتْ^(١) لي الدنيا على ذلك ما فعلتُ ، ولا استجرتُ الكذب ، فإني لم أجمعه لك خاصّة ، وإنما جمعته لكلّ طالب علم .

١٠ وعلى أربعين ميلاً من مرسية عين ماء عذب ، يقصدها من علق العلق بحلقه ، فيفتح به ، فيسقط العلق حينه ، وذلك بإقليم إياش ؛ وقال بعضهم : هذا طِبُّ تمام يوجد في كلّ ماء عذب بارد إذا فتح فيه عليه من علق العلق به أسقطه في الأغلب ، وذلك لأنّ العلق إنّما ينشأ في الماء العذب ، فيطراً عليه من خلاف ذلك المزاج ما يستروح منه إلى الماء ، وكثيراً ما يطبُّ به الأطباء فيستغنون به عن شجر أناغاليس الذي من شأنه قتل العلق ، وعن العكوب وعن الخلل وأمثال هذه الأشياء .

١٥ * ومرسية في مستوٍ من الأرض ، ولها ربض عامر أهل ، وعليها وعلى ربضها أسوار ، وحظائر متقنة ، والماء يشق ربضها ، وهي على ضفة النهر ، ويُجاز إليها على قنطرة مصنوعة من المراكب ، ولها أرحاء طاحنة في مراكب تنتقل من موضع إلى

موضع ، وبها شجر التين كثير ، ولها حصون وقلاع وقواعد وأقاليم معدومة المثال ، ومنها إلى بلنسية خمس مراحل ، ومنها إلى قرطبة عشر مراحل^(١) .

ويخرج من نهر مرسية جدول على مقربة من قنطرة اشكابه ، قد تفرته الأول في الجبل وهو حَجَر ، وجأؤه نحو ميل ، وهذا الجدول هو الذي يسقى قبل مرسية ، ونقبوا بإزاء هذا النقب في الجبل الموازي لهذا الجبل نقباً آخر ، مسافته نحو ميلين ، أخرجوا فيه جدولاً ثانياً ، وهو الذي يسقى جوفى مرسية ؛ ولهذين الجدولين منافس في أعلى الجبلين ، ومناهد إلى الوادى ؛ تنقى الجدولان منه بفتحها وانحدار الماء مما اجتمع من الغشاء فيهما ؛ ولا يسقى من نهر مرسية شئ بغير هذين الجدولين إلا بما رُفع^(٢) بالدواليب والسواني ؛ وبين موقع هذين النقيرين^(٣) ومرسية ستة أميال .

١٧٥ - المرية

١٠

بالأندلس مدينة محدثة ، أمر ببنائها أمير المؤمنين ، الناصر لدين الله ، عبد الرحمن ابن محمد سنة ٣٤٤ . وفيها يقول الشاعر [مُجْتَثَّ] :

قالوا المرية صِفها فقلت نطّ وشيخ

وقيل فيها معاش فقلت إن هب ريح

وكان المجوس لما قدموا المرية ، وتطوّفوا بساحل الأندلس والمُدْوَة ، فاتخذها^{١٥} العرب مِرْأَى ، وابتنت بها محارس ، وكان الناس يتجَمَّعونها ويرابطون فيها ، وهى اليوم أشهر مراسى الأندلس وأعمرها ، ومن أجل أمصارها وأشهرها ، وعليها سور حصين منيع بناه أمير المؤمنين عبد الرحمن ، وعلى ربضها المعروف بالمصلّى سور تراب ،

(١) ارس ١٩٤ - ١٩٥ (٢) ت : « وقع » (٣) ت : « النقيرين »

بناء خَيْرَانِ الْعَامِرِيِّ ، وكان قد وُصِّلَ إلى هذا الرَّبَضِ ماء العين التي هناك ، وأجرأه في ساقية ، ثُمَّ وَصَّلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ صُمَادِحٍ إلى ساقية عند جامعها داخل المدينة ، واستطرد منه ، ولا يصبُّ في أسفل القصبة ويُرفع بالدواليب إلى أغلاه ؛ ووادي بَجَانة يَمُّ بِالسَّقِيَّ بِسَاتِيْنِ المَرِيَّةِ ، والبحر بقبلى مدينة المَرِيَّةِ ، وقَصَبَتُهَا بِجَوْفِيَّهَا ، وهو حصنٌ منيعٌ لا يُرام ، مديدٌ من المشرق إلى المغرب ، ولها بابٌ قبلى يُفْضَى إلى المدينة ، مسافةٌ ما بينَ أوَّلِ المَصْعَدِ في الجبل وبينَ مائتا ذِرَاعٍ وثمانون ذراعاً ، ولها بابٌ شرقى خارجٌ عن أسوار المدينة ، والرَّبَضُ مُتَّصِلٌ بِجِبَالِهَا ، وهى أَسهَلُ مُرْتَقَى مِنَ البابِ القبلى ؛ وعرضُ نَمَشَى السورِ الدائرِ بالقَصَبَةِ خمسة أشبار ، ومرسى المَرِيَّةِ صِيفِيٌّ يَكُنُّ بِشَرْقِيَّهِ وَغَرْبِيَّهِ .

* وكانت المَرِيَّةُ في أيامِ الْمُتَمَثِّلِينَ مدينةَ الإسلام ، وكان بها من كلِّ الصناعات كلُّ غريبة ، وكان بها من طُرُزِ الحرير ثمانمائة طِرَاز ، يُعْمَلُ بها الحُلَلُ والديباج والسِّقْلَاطُون والإصْبَهَانِيُّ والجُرْجَانِيُّ والسُّتُورُ المُكَلَّلَةُ ، والثياب المَعِينَةُ ، والعَتَابِيُّ ، والفاخر^(١) وصنوف أنواع الحرير ؛ وكانت فيما تقدَّم يصنع بها صنوف آلات النحاس والحديد وما لا يحاد ؛ وكان بها من فواكه واديها الكثير الرخيص ؛ وكانت المَرِيَّةُ تقصدها مراكبُ التجار من الإسكندرية والشَّام ، ولم يكن بالأندلس أكثرُ من أهلها مالاً .

والمَرِيَّةُ في ذاتها جَبَلَانِ ، بينهما خَنْدَقٌ مَعْمُورٌ ، وعلى الجبل الواحد قَصَبَتُهَا المشهورة بالحصانة ، وفي الجبلِ الثانى رِبَضُهَا ، والسورُ يحيط بالمدينة وبالربض ؛ ولها أبوابٌ عدَّةٌ ؛ والمدينة كبيرةٌ كثيرةُ الخيرات ، وفيها ألف فُنْدُقٍ إلا ثلاثين فُنْدُقاً ؛ وكان الروم ملوكوها فغَيَّرُوا محاسِنَهَا وَسَبَّوْا أَهْلَهَا وَخَرَّبُوا دِيَارَهَا^(٢) .

١٧٦ — حصن النار

بالأندلس، قريب من مدينة لكه، وهو مُنتَهَى الركن الثالث من أركان الأندلس،
التي هي حدودها؛ وهو على ضفة البحر المحيط من الغرب والجوف، وتتصل به الكنيسة
المعظمة عندهم المسماة عندهم بشنت ياقوب. وهذا الموضع ضيق ما بين البحرين في حدود
الأندلس، وعرضه من البحر إلى البحر ثمانون ميلاً. ٥

١٧٧ — مندوجر

بالأندلس، بينه وبين المريّة مرحلة، * وهو حصن على تلّ ترابٍ أحمر، والمنزل
في القرية، ويُنَاعُ بها للمسافرين الخبزُ والسّمكُ وجميعُ الفواكه^(١).

١٧٨ — منرقة

هي جزيرة تقابلُ برشلونة، بينهما تجرّى، وبينها وبين سرّذانية أربعة بحارٍ؛
وهي إحدى جزيرتي ميورقة، وهما منرقة هذه وبابسة. وما زالت في يد المسلمين تحت
هدنة الطاغية البرشلوني ومصالحته بعد أن جرى على ميورقة ما جرى؛ وكان عاملُ
ابن يحيى صاحب ميورقة المتحنٍ بعباب البرشلوني بعد استيلائه على ميورقة حتى مات
رحمه الله تعالى مُقيماً بجزيرة منرقة هذه؛ وهو سعيد بن حَكَم، وقد ضبطها وقام عليها
أحسن قيام، وهادئ الأعداء؛ وطالت مُدَّتُهُ في ذلك وحسنت سيرته إلى أن مات، ١٥
فقصدَها العدو وأغتم فرصتها واستولى عليها.

(١) اوس ٢٠١.

١٧٩ - المنكب

بالأندلس ، مَرَمَى المنكب سَيْفٌ يَكُنُّ بِشَرْقِيَّهِ ، وَلَهُ نَهْرٌ يَرِيقُ فِي الْبَحْرِ ،
وعليه حصن كبير لا يُرام ، بِهِ رِبْعٌ وَسُوقٌ وَجَامِعٌ ، وفيه آثارٌ للأول كثيرة ،
وكانت لهم فيه مائة حِجَابَةٍ وَأَبَارٌ فَيَسْقِي بِهَا إِلَى الْيَوْمِ ؛ وبِقَرَبِ الْحَصَنِ مِنْ نَاحِيَةِ
الشَّامِ دِيَارٌ عَظِيمٌ ، مَبْنِيٌّ مِنْ حِجَابَةٍ ، صَرَبَعُ الْأَسْفَلِ مُحَدَّدُ الْأَعْلَى ، ارتفاعه نحو مائة
ذراع ، فِي رَأْسِهِ مَنَافِيسٌ لِلْمَاءِ الْمَجْلُوبِ إِلَيْهِ ، وَقَدْ نُحِتَ فِي عَرْضِ جِهَةِ الدِّيَارِ الْجَنُوبِيَّةِ
مَنْ أَمْلَأَهُ إِلَى أَسْفَلِهِ ، فَصُبَّ الْمَاءُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْأَرْضِ فَدَلَّ أَنَّ الْمَاءَ كَانَ مَجْلُوبًا مِنْ
مَوْضِعٍ هُوَ أَرْفَعُ مِنْ هَذَا الصَّخْرَةِ .

وبهذا الموضع خرج الإمام عبد الرحمن بن معاوية عند دخوله الأندلس ، وذلك
١٠ في ربيع الأول من سنة ١٣٨ هـ ، يَتَلَوُّ مَرَمَى الْمُنْكَبِ * مَدِينَةً حَسَنَةً مُتَوَسِّطَةً كَثِيرَةً
مَصَائِدِ السَّكَنِ ، وَبِهَا قَوَاكِمُ حُجَّةٍ (١) .

قال بعض أهل الأخبار ما هو كالتفسير لما قدَّمناه : * فِي وَسْطِ الْمُنْكَبِ بَنَاءٌ
صَرَبَعٌ كَالصَّخْرَةِ ، أَسْفَلُهُ وَاسِعٌ ، وَأَعْلَاهُ ضَيِّقٌ ، وَبِهِ حَفِيرَانِ مِنْ جَانِبَيْهِ ، مَتَّصِلَانِ مِنْ
أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ ، وَيُزَانُّهُ مِنَ النَّاحِيَةِ فِي الْأَرْضِ حَوْضٌ كَبِيرٌ يَأْتِي إِلَيْهِ الْمَاءُ مِنْ نَحْوِ
١٥ مِيلٍ عَلَى ظَهْرِ قَنَاطِرٍ كَثِيرَةٍ مَسْقُودَةٍ مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ ، يَنْصَبُ مَاؤُهَا فِي ذَلِكَ الْحَوْضِ ؛
وَيَذْكُرُ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ مِنْ أَهْلِ الْمُنْكَبِ أَنَّ ذَلِكَ الْمَاءَ كَانَ يُصْعَدُّ بِهِ إِلَى أَعْلَى الْمَنَارِ ،
يُنْزَلُ إِلَى النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى ، فَيَجْرِي هُنَاكَ إِلَى رِجِّ صَغِيرَةٍ كَانَتْ ، وَبَقِيَ أَثَرُهَا الْآنَ ،
عَلَى جَبَلٍ مُجَلَّلٍ عَلَى الْبَحْرِ ، وَلَا يُعْلَمُ مَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ ، وَمِنْ الْمُنْكَبِ إِلَى غَرْبِهَا
الْمَوْضِعُ (٢) .

١٨٠ - مَنِيَّةُ نَصْرٍ

قَرْيَةٌ بِالْأَنْدَالِ قَرِيبَةٌ مِنْ قَرْطَبَةٍ ، مَوْفِيَّةٌ عَلَى النَّهْرِ ، وَهِيَ فِي شَرْقِيَّهَا ، وَتُشْرَفُ
بِأَرْحَاءِ الْحَنَاءِ ؛ وَهِيَ مَدِينَةٌ فَسِيحَةٌ ذَاتُ مَبَانٍ رَفِيعَةٍ ، وَالَّذِي ابْتَنَى مَنِيَّةَ نَصْرِ الْإِمَامِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عُثَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى مِنْ قَصِيدِهِ لَهُ (طويل) :

لَعَلَّ زَمَانِي يَسْتَجِدُّ بِوَضَائِهَا يُجَدِّدُ عَهْدَ الْمَلِكِ فِي مَنِيَّةِ النَّصْرِ
فَكَمْ صَدَفَتْ عَنْهَا الْخُطُوبُ وَأَحْرَزَتْ جَنَّاتِ الْمُصَلَّى دُونَ مَسَافَةِ النَّجْرِ
جَفَاهَا الْبَلَاءُ إِذْ وَصَلَ الْمُلُوكُ رَبْعَهَا وَتَمَّ بِهَا قَصْرُ يَضَاهِي سَنَى الْبَسْطَرِ
قَرِيبُ الْمَدَى رَحْبُ الْمَحَلِّ تَحْفَهُ رِيَاضُ وَنَهْرٌ تَحْتَ عَقْرَتِهِ يَنْجَرِي

وَالرَّكْنُ الشَّرْقِيُّ مِمَّا يَلِي الْقِبْلَةَ مِنْ هَذِهِ الْمَنِيَّةِ يُعْرَفُ بِالرَّكْنِ ، وَهُوَ عَلَى النَّهْرِ وَفِيهِ
ثَمَرَاتُ زَيْتُونٍ ؛ وَبَيْنَ النَّهْرِ وَبَيْنَ الرَّكْنِ مَوْضِعٌ يُدْعَى بِهِ النَّبِيدِيُّونَ ، وَيُسَمَّى بِهِ الْبُلْدَانُ ؛
فَلَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْهُمْ ، يَمْكُثُونَ فِي ظِلِّهِ وَيَعْدَمُونَ فِي غَيْرِهِ لَا شَبَاهَ لَهُ وَبِرْدِهِ ؛ وَفِي ذَلِكَ
يَقُولُ مُحَمَّدُ بْنُ شُعَيْبٍ عَلَى لِسَانِ ابْنِ الْحَمَّالَةِ إِذْ كَانَ غَائِبًا فِي الْقِسْطِ الْمَنِيَّةِ فِي شِعْرِ لَهُ
طَوِيلٍ [كامل] :

أَقْرَ السَّلَامَ عَلَى الرَّكْنِ وَقُلْ لَهُ مُذْ نَبِئْتُ لَمْ أُرْتَجِ لِفِطْلٍ نَسِيمِ
سَقِيًّا لِفِطْلِكَ بِالْعَشَى وَبِالضُّحَى وَلَبَرْدٍ مَائِكَ فِي اجْتِرَامِ سَمُومِ
لَوْ كُنْتُ أَمْلَكَ مَنْعَ مَائِكَ لَمْ يَقُمْ فِي ظِلِّ (١)

نَقْلُ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ مَعْنَى شِعْرِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ وَكَثِيرٌ مِنْ لَفْظِهِ وَهُوَ :

اقْرَأْ عَلَى الْوَسْلِ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ كُلُّ الْمَشَارِبِ مَذْهُبَتْ ذَمِيمِ (٢)

(١) ت : سَأَلَكَ مِنْهُمْ الْمَنِي (؟) .

(٢) لَيْسَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ نَظْمِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ بَلْ هُوَ لِأَبِي الْقَعْقَاعِ الْأَسَدِيِّ (رَاجِعْ مَعْجَمَ الْبُلْدَانِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ خَالَوْنٍ فِي تَرْجُمَةِ

الْوَسْلِ وَكَذَلِكَ حَمَاسَةُ أَبِي تَمَّامٍ (طَبْعُ أَوْرِيَا) ص ٦٠٤) .

١٨١ - موزور

كورة موزور متصلة بأحواز قرمونة من جزيرة الأندلس ، وهى فى الغرب
والجوف من كورة شدونة ، وأحوازها متصلة بأحوازها ، وهى من قرطبة بين القبلة
والغرب ؛ وقاعدة قلب قاعدة موزور ودار الولاية بها ، وكانت جباية كورة موزور
أيام الحكم بن هشام بن عبد الرحمن إحدى وعشرين ألف دينار .

١٨٢ - ميورقة

هى جزيرة فى البحر الزقاقى تسميتها من القبلة بجاية من بر العدو ، بينهما ثلاثة
بحار ، ومن الجوف برشلونة من بلاد أرغون ، وبينهما بحر واحد ، ومن الشرق
إحدى جزيرتيها منرقة ، وبينهما بحر فى البحر طوله أربعون ميلاً ؛ وشرق ميورقة
هذه سرذانية بينهما فى البحر بحر تان ، وغربيها جزيرتها يابسة بينهما بحر فى البحر
طوله سبعون ميلاً ؛ وميورقة أم هاتين الجزيرتين ، وهما بنتاها ، وإليها مع الأيام
خرأجهما ؛ وطول ميورقة من الغرب إلى الشرق سبعون ميلاً ، وعرضها من القبلة إلى
الجوف خمسون ميلاً .

فتحها المسلمون سنة ٢٩٠ إلى أن تغلب عليها العدو البرشلونى وخرّبها سنة ٥٠٨ ،
وهى المرة الأولى ، ودخل المدينة فلم يجد سوى العيال والأطفال والشيخ الفانى ،
فلحسبهم أحوال السيف عليهم ، فلما قضى وطره من الجزيرة أسرع بالرجوع إلى
بلاده ، ثم اختلفت عليها ولاية ابن تاشفين ، ثم وليها محمد بن على بن غانية المسوفى ،
وهو أول ولاية بنى غانية ، ثم تعاقبوا على ولايتها إلى أن كان آخرهم عبد الله بن إسحق ،

فوجه إليه الملك الناصر محمد بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ،
 فاجتمعاً بدانية ، فعرض كل واحد منهما من أسند إليه ، فكان الفريقان ألفي فارس
 ومائتي فارس ، والرؤماة سبعمائة ، والرجالة خمسة عشر ألفاً ، غير غزاة القطع ؛ وكان
 الأسطول ثلاثمائة جفن ، منها سبعون غراباً ، وثلاثون طريدة ، وخمسون مركباً
 كبيراً ، وسائرهما قوارب متنوعة ؛ وأما العدد وال سلاح والمجانيق والسلام والمساحي
 والفؤوس والمعاول والرقائق والحبال فشئ لا يأخذه عدد ، وكذلك الدروع والسيوف
 والرماح والبيضات والأتراس والدَرَق والقسي وصناديق النشاب وجملة وافرة من
 الطعام ؛ فصلوا الجمعة يابسة ، وأقلعوا غدوة السبت الرابع والعشرين من ذي الحجة
 مكملاً سنة ٥٩٩ هـ ؛ فاتوا ميورقة ونزلوا ، وتقرّب العسكر من المدينة ، ودار الأسطول
 بالمرسى مع السيد أبي العلي .

١٠

وخرج إليهم عبد الله بمجموعه ، فنشّبوا في القتال ، ودافعوا كل الدفاع ، وآخر
 ذلك انهزم ثم صرع فقتل ؛ وغلق باب المدينة فأحاطت بها الرؤماة وغزاة البحر ،
 فتغلبوا عليها فدخلت ونهبت ولم يسلم إلا قصبتها ؛ ودخل السيد أبو العلي وأبو سعيد
 البلد ورأس عبد الله معهما على قنّاة بيد رجل غزّي كان قطعه ، فنها الناس عن النهب
 وأمرأ بضرب عنق رجل فعل ذلك وخالف النهي ، وطيف برأسه ؛ وأمنّا الناس ،
 ونوّدوا بالأمن في الأزقة والقصبة ، فخرج الناس وأمنوا ، وكتبنا إلى الملك
 الناصر بالفتح .

١٥

وكان السبب في التوجيه إلى ميورقة أن المنصور يعقوب كان وجهه إلى صاحب
 ميورقة علي بن إسحق بن محمد بن غانية يستدعي بيغته ، فأنيف من ذلك وأساء الرد

واحتال على الرُّسل حتَّى اعتقلهم وأودعهم في السجون ، ثمَّ تحرَّك من ميورقة على المذكور إلى بجاية ، فاحتال حتَّى استولى عليها وملكها ، ولَمَّا تمَّ له ذلك أتى الجَزائر فدخلها ، ثمَّ مِلْيَانَة وَمَازُونَة ، ثمَّ دخل أُشِيرَ عَنوَة ثمَّ أتى القلعة فليكنها ؛ وبعد ثلاث من دخولها كانت له في العرب الحُطْمَة المشهورة ، وبثَّ في هذه البلاد عُمَّالاً وحُكَّامًا ٥
 ثمَّ قَعَسَد قُسْنَطِينَة فسار إليها وحاصرها أشهراً فلم يُفلح ؛ وهنا بلغه أنَّ عسكراً برِّيَّاً ، وأسطولاً بَحْرِيَّاً هاتئذٍ أتياهُ من المغرب ، ووصل الأسطول والعسكرُ إلى بجاية ، فأخرج نائبه منها ، وهو أخوه يحيى ، فتوجَّه إلى أخيه على وهو على قُسْنَطِينَة وخبَّى للقوم بلدهم ، ثمَّ توجَّهوا معاً نحو القلعة ، ومرَّ بالقلعة فاستأصلها ، ثمَّ سار على قَفْصَة فأخذها ، ثمَّ تُوَزَّر ، ومع ذلك جاء عسكر المغرب فيه المنصور يعقوب ، فجهَّز إليه ١٠
 عسكراً ، فالتقوا بوطاء عمرة ؛ فكانت الواقعة المشهورة والهزيمة العظيمة على عسكر المنصور بعد الإخفاق الكثير في أصحابه وتبدَّدوا في الصحراء .

وكان أوَّلُ خروج ابن غانية من ميورقة لذلك في سنة ٥٨٠ ، وهى السنة التى مات فيها صاحب مَرَّاكُش والمغرب يوسف بن عبد المؤمن ، ثمَّ بقى على بن إسحق وأخوه يحيى يهيان في تلك الجهات ؛ ولما بلغ المنصور خبر وقعة عمرة وما جرى فيها على عسكره ، امتعض من ذلك واستبَدَّ برأيه ، فتوجَّه بنفسه حتَّى نزل على قَفْصَة فحاصرها ١٥
 حصاراً عظيماً ، إلى أن نزلوا على حكمه ، فحكم فيهم بالسيف ، وأثر فيهم الأثر الشنيع ، وهدم سورها .

ولابن مَجْبَر في ذكر ذلك قصيدة مليحة جدًّا . منها [بسيط] :

ما غَبَر قَفْصَة إِلَّا أَنَّهَا اجْتَرَمَتْ فلم يكن عند أهل الحلم تَثْرِيْبُ

ما بالها زار^(١) حوزتها فلم يكن عندها أهل وترحيب
وقد ذكرنا ذلك في حرف العين عند ذكر عمرة ؛ وبعد ذلك كله مات على بعد أن
تفرق جمعه ، قيل سهم أصابه وهو على توزر سنة ٥٨٥ ؛ وتعادت ميورقة على امتناها
إلى أن توفي المنصور في شهر ربيع الأول سنة ٥٩٥ ؛ وولى ابنه الملك الناصر فوجه
إليها الجيوش وحكم عليها كما قلناه . ثم لم تزل ولاية الملك الناصر تتخلف على ميورقة إلى ٥
أن كانت المصيبة العظمى والحادث الشنيع بهزيمة العقاب عليه سنة ٦٠٩ ؛ ثم إن
الطاغية البرشلونية تحركت إلى ميورقة عازماً عليها ، فنزل عليها أسطوله في شوال
سنة ٦٢٦ ، فأراها من القتال وشدة الحصار وأنواع المحن ما لم يجز مثله في زمان ، وحكم
عليها عنوة بعد طول الحصار والقتل والسبي ، ثم أخذ واليها ابن يحيى فعذبته أشد العذاب
حتى مات ، واستولى الشرك على الجزيرة في عام ٦٢٧ .

١٨٣ - ميرتة

مدينة بالأندلس شرق مدينة باجة ، بينهما أربعون ميلاً ، وهي على [وادي] آنة ،
وبمقربة من شاطئ البحر مرسى هاشم ، وهو حصن أولي فيه آثار قديمة ، وبه كنيسة
هظيمة بنيت في أيام قسليان قيصر الذي بُنيت في أيامه كنيسة طليطلة المعروفة بكنيسة
الملك ، وقيصر هذا أول من نسج في ثيابه وفرشه الذهب ، وهو الرابع والثلاثون ١٥
من القيصر .

(١) ت و م : زار من (٩) .

هرف الواء

١٨٤ - وادى آش

مدينة بالآندلس قريبة من غرناطة ، كبيرة خطيرة تطرد حولها المياه والأنهار ، ينحط نهرها من جبل شلير وهو فى شرقها وهى على صفته ، ولها عليه أرحاء لاصقة بسورها ، وهى كثيرة الثوت والأعنان وأصناف الثمار والزيتون ، والقطن بها كثير ، وكان بها حمامات ، ولها بابان شرقى على النهر وغربى على خندق ، وقصبتها مشرفة عليها ، وعليها سور حجارة ، وهى فى ركنها الذى بين المغرب والقبلة .

وبقرب وادى آش قرية بها عين تجرى سبعة أعوام وتغور سبعة أعوام ، قالوا : وهذا معروف على قديم الزمان ، تسكن بجران عينها وتخلو بغورها .

١٠ منها عبد البر بن فرسان الوادى أشى المتصل بعل بن غانسة الميورق ، ثم استوزره بمداه أخوه يحيى الطويل الفتنة بإفريقية وجهاتها ، فكان صاحب رئاسة السيف والقلم ، وإليه تنسب الأبيات المشهورة ^(١) [طويل] :

أجبتنا ورؤى ناصرى وحسامى وعجزاً وعزى قائدى وزمامى ^(٢)
ولى منك بطاش اليدى غصنفر يضارب ^(٣) عن أشباله ويحمى
ألا غنىانى بالصهيل فإنه سمعى ورقراق الدماء مدامى
وخطاً على الرماء رحلى فإنها مهادى وخفاق البنود خيامى

(١) راجع مر ج ٢ ص ٣٨١ (٢) مر : « اامى » (٣) مر : « يحارب »

وأكثر شعره فيما يكتنى به طول مدّة الميروق من الحروب ، كقوله [طويل]:
أديروا مداماً للدماء فإنني بها أنتشى طيباً وبالنوح أطربُ
معيشة ليث ليس يأوى لراحة يخال إذا ما جدّت الحرب يلعبُ
ذكره ابن سميّد وابن بُجَيْر ، ومات بفزان ^(١) سنة ٦٣٢ .

١٨٥ - وادی الحجارة

وهي مدينةٌ تعرفُ بمدينة الفَرَج بالأندلس ، وهي بين الجوف والشرق من قرطبة ، وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً .
* وهي مدينةٌ حسنة كثيرة الأرزاق ، جامعة لأشتات المنافع والغلات ، ولها أسوارٌ حصينة ، ومياهٌ مَعِينَةٌ ؛ وبغربيها نهرٌ صغيرٌ ، لها عليه بساتين وجنّاتٌ وكروم وزراعات ، وبها من غلّة الزّعفران الشيء الكثير ، يتجهّز به منه ويُحمّل إلى سائر البلاد ،
وبينها وبين مدينة سالم خمسون ميلاً ^(٢) .

١٨٦ - وادی لکه

مَوْضِعٌ من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الأندلس القبليّ ، فيه التقى طارق ابن زياد مولى ابن نُصَيْر وجوؤه الداخلون الأندلس ، مع لُذْرِيْق طاغية الأندلس آخر ملوك القوط ، الذين عدّة ملوكهم بالأندلس ستّة وثلاثون ملكاً ؛ وكانت مُدّة مُلْكِهِمْ ثلاثمائة سنة واثنين وأربعين سنة . ولم يكن لُذْرِيْق هذا من أبناء الملوك ولا صبيح النسب في القوط ، إنّما اغتصب الملك وتسوّر عليه عند موت الملك الذي كان قبله ،

(١) ت : « بفران » (٢) ا و ص ١٨٩

واستصغر أولاده ، واستمال طائفة من الرجال مالوا معه فانتزع الملك من أولاده ، وكانت الواقعة سنة ٩٢ من الهجرة ، فانهزم القوط أعظم هزيمة ، وقتل لُذْرِيْق ، وغلبت العربُ على الأندلس .

١٨٧ - عين وَالْعَر

٥ بالأندلس بمقربة من جِيَّان ، وعين وَالْعَر هذه كثيرةٌ تجري سبعة أيام متوالية وتفيض سبعة أيام كذلك دائماً .

١٨٨ - وَالْمُو

١٠ بالأندلس إقليمٌ من أقاليم قونكة وهو على نهر شُقْر ، وإقليم وَالْمُو قريةٌ ، فيها غربيةٌ ، وذلك عينٌ راکدةٌ قد علاها الطُحَّاب ، فإذا فاجأها إنسانٌ وصاحَ عليها بشدةٍ صياحه دَرَّتْ بالماء ، وغَلَّتْ غَلَى البرام على النار ، وينقطع طُحُّبُها بشدةٍ غليان الماء ثمَّ يعود إلى حاله .

١٨٩ - وَبْدَة

١٥ مدينةٌ بالأندلس وهي حصنٌ على وادٍ بقرب أَقْلِيْش ، وعلى وادى وبدة قريةٌ يقال لها بَتْنِيج أهلها نصارى ، ينعقد ماؤها فى الإناء فيصير حَجَرًا أَصْفَر ، وكذلك أينما جَرَى ، وينعقد على أسنان أهلها ، ويُسَمَّى عِلَّة الحصى .

١٩٠ - وَشَقَّة

مدينة بالأندلس لها سوران من حجر ، بينها وبين سرقسطة خمسون ميلاً ، ووشقة مدينة حسنة

- * لها أسواق عامرة وصنائع قائمة^(١)، وأحواضها تتصل بأحواض بريطانيا، ووشقة بشرق مد [ينة تطيلة وهي] مدينة كبيرة أولية قديمة، رائحة البنيان، قد اتقن سورها أتم إتقان، وبها ونهر يشق مدينتها ويمر في حمامين من حماماتها، ويسقى بفضل مائه بساتين، وهي كريمة التربة، ويحيط بها من جهاتها جنات معروشة وحدائق من الثمار ملففة. وهي مخصوصة بطبيب الكثرى والزعور.
- ٥ وحاصر المسلمون مدينة وشقة منذ فتح الأندلس حصاراً طويلاً، حتى بنوا عليها المساكن، وغرسوا الفروس، وحرثوا لمعايشهم، واتصل ذلك من فعلهم سمعة أعوام والنصارى في القسبة القديمة محصورون، فلما طال عليهم الحصار استأمنوا لأنفسهم وذرائعهم، فن دخل في الإسلام ملك نفسه وماله وحرمة، ومن أقام على النصرانية أذى الجزية، فليس بوشقة من أهلها المتأصلين رجل ينتهي إلى أصل صحيح من العرب.
- ١٠

١٩١ - وشكة

- مدينة بئر سرقسطة، منها أبو عبد الله محمد بن أحمد الوشكي، سكن مرسية، وعاش صفوان صاحب « زاد المسافر » وبينهما مراسلات، ومن شعره [رمل]:

لست أهوى الجذ إلا مثل ماء دون طحلب
والذي يلقاه يهوى ذاك كالهائم يطلب

١٥

[سريع]:

إن عضك الدهر بأنيابهِ فاصبر عسى ينزع^(٢) من عضهِ
ودار من تبصره مبيضا فإنما يصجر من بفضهِ

١٩٢ - وَقْش

قريةٌ بشعر الأندلس ، يُنسَبُ إليها أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام بن خالد الكِنَانِيُّ الوَقْشِيُّ من أهل طليطلة ، وَلِيَ قِضَاءَ طَلَبِيرَةَ ، وَعُني بِالْهَنْدَسَةِ وَالْمَنْطِقِ ، مَلِيحُ النَادِرَةِ ؛ ذُكِرَ أَنَّهُ اخْتَصَمَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا : يَا فُقَيْهَ اسْتَرَيْتُ مِنْ هَذَا اثْنَيْ عَشَرَ تَيْسًا حَاشَاكَ ! فَقَالَ لَهُ : قُلْ أَحَدَ عَشَرَ ! تَوَفَّى بِدَانِيَةِ سَنَةِ ٤٨٩ .

١٩٣ - وَقْعَةُ الْحِمَارِ

مَوْضِعٌ مِنْ عَمَلِ إشبيلية كَانَتْ فِيهِ وَقْعَةٌ لِلْمَسَامِينِ عَلَى النَّصَارَى وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٦١٠ ، اتَّفَقَ صَاحِبُ قِشْتَالَةِ وَصَاحِبُ بِلَادِ الْجُوفِ أَنْ يُخْرِجَا بِعَسْكَرِهِمَا عَلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا دَافِعَ عَنْهَا بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ وَقْعَةِ الْعِقَابِ ، فَأَمَّا صَاحِبُ بِلَادِ الْجُوفِ فَنَجَّاهُ فِي الشَّمَالِ إِلَى عَمَلِ إشبيلية فَاصْطَلَمَ كُلٌّ مَا مَرَّ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ اتَّهَى إِلَى مَرْجِ الْحِمَارِ ، نَفَرَ إِلَى أَبِي زَكْرِيَاءَ بْنِ أَبِي حَفْصٍ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ صَاحِبِ إشبيلية بِعَسْكَرِ الْأَنْدَلُسِ الْوَافِرِ الَّذِينَ لَمْ تَلْحَقْهُمْ مَعَرَّةُ الْعِقَابِ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ ، فَوَعَدَهُمْ وَمَنَّاهُمْ وَأَثَارَ حَفَائِظَهُمْ ، وَزَحَفَ بِهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ نَعْلَ النَّصْرِ ؛ فَيَقَالُ إِنَّهُ قَتَلَ مِنْهُمْ ثَيْفًا عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ ، وَامْتَلَأَتْ أَيْدِيهِمْ مِمَّا كَانَ فِي عَسْكَرِهِمْ . وَكَانَتْ وَقْعَةٌ تُحَدِّثُ بِهَا زَمَانًا ، وَمَا زَالَ أَهْلُ إشبيلية يَعْتَرِضُونَ بِمَا اتَّفَقَ فِيهَا ، فَيُخْرِجُونَ مَتَى هُمْ عَدُوًّا بِجَهَاتِهِمْ ، فَيُرْجَعُونَ إِلَى أَبْجَسِ حَالَةٍ ، وَأَكْثَرِهِمْ أُسِيرٌ أَوْ قَتِيلٌ .

حرف الباء

١٩٤ - يَابِرَة

مدينةٌ من كُورِ بَاجَة بالأندلس ، وهى قديمةٌ ، وتنتهى أحوازُ بَاجَة فيما حوالِها
مائة ميلٍ ، ويُنسبُ إليها ابن عَبدون اليا بَرِيُّ الشاعر ، وفى قصيدة عيسى بن الوكيل
المشهورة التى مدح بها على بن القاسم بن محمد بن عَشْرَة قاضى سَلا ، التى أولها [طويل] : ٥
سَلِ الْبَرَقَ إِذْ يَلْتَأَحُ مِنْ جَانِبِ الْبَرَقَا أَفِرْطَى سُلَيْمَى أَمْ فَوَادَى حَكَى خَفَقَا
وَلَمْ سَيَلَتْ تِلْكَ الْعِمَامَةُ دَمْعَهَا أَرِيَعَتْ لَوْشَكَ الْبَيْنِ أَمْ ذَاقَتْ الْعِشْقَا
يقول فيها :

غَرِيبٌ بِأَرْضِ الْغَرْبِ فُرِّقَ قَلْبُهُ فَآوَتْ سَلاَ فَرَقَا وَيَابِرَة فَرَقَا
إِذَا مَا بَكَى أَوْ نَاحَ لَمْ يَلْقَ مُسْعِدًا عَلَى شَجْوِهِ إِلَّا الْغَمَامَ وَالْوَزَقَا ١٠
ومنها فى المدح :

حَيَاءٌ يَغْضُ الطَّرْفَ إِلَّا عَنِ الْعُلَى وَعِرْضُ كَلَاءِ الْمَرْنِ فِي الْحَزَنِ بَلْ أَنْقَا
وَفَضْلُ نَمِيرِ الْمَاءِ قَدْ خَضَّرَ الرُّبَا وَعَدْلُ مُنِيرِ النَّجْمِ قَدْ نَوَّرَ الْأَفْقَا
بَلَّغْنَا بِنِعْمَتِكَ الْأَمَانَى كُلَّهَا فَمَا بَقِيَتْ أُمْنِيَّةٌ غَيْرَ أَنْ تَبْقَا
وسبب مدحه له بهذه القصيدة أنه كان مستعملاً بغير ناطقة فى الدولة اللامتونية ، ١٥
فحكى أنه انكسر عليه مالٌ جليلٌ يبلغ عشرة آلاف دينارٍ ، فقبض عليه ،
وأشخص منكبواً إلى مراكش ، فلما بلغ الموكلون به مدينة سَلا ، وبها يومئذ
بنو القاسم المروفون ببني عَشْرَة ، رباب السباح ، وأرباب الأمداح ، قال هذه القصيدة

يمدح القاضي أبا الحسن منهم ، ويستجيرُ به ، وسأل إيصالها إليه ، فبادر عند الوقوف عليها إلى المخاطبة بتضمّن المال وتحمله ، وسوّال الصّفح عنه والإبقاء عليه بإعادته على عمله ، فصار جوابه الإسعاف والإسعاد ، وعاد ابن الوكيل إلى غرناطة^(١) .

١٩٥ - يَابَسَة

• جزيرةٌ تلي جزيرة ميورقة ، ويقال لهذه الجزيرة ولمنورقة بالنون ، بنتا جزيرة ميورقة .

* وهي جزيرةٌ حسنةٌ كثيرةُ الكروم والأعناب ، وبها مدينةٌ حسنةٌ صغيرةٌ مُتَحَضَّرَةٌ ، وأقرب برٍّ إليها مدينة دانية ، بينهما بحريٌّ والمجرى مائة ميل^(٢) ، وفي شرق يابسة جزيرة ميورقة بينهما بحريٌّ .

١٠ وبجزيرة يابسة عشرة مَرَّاسٍ ، وبها أنهارٌ جارية ، وقرى كثيرة ، وعمائرٌ متصلةٌ ، وأرضها يُنبِتُ الصنوبر الجيّد المودِ للإنشاء وعُدّة المراكب ، وبها ملاحَةٌ لا ينفد ملحها ، ويتّصل بها في القبله جزيرتان ، بينهما وبينها مجازات تُسمّى الأبواب .

١٩٦ - يَبُورَة

مدينةٌ بالأندلس بينها وبين مدينة القصرين مرحلتان .

١٩٧ - يَنْشَة

حِصْنٌ من حصون الأندلس ، على نحو مرحلتين من جَنَجَالَة التي تُعمل فيها البُسْطُ .

(١) أكثر هذه الترجمة منقول من كتاب إعتاب الكتاب لابن الأبار ، راجع النسخة المخطوطة المحفوظة بالمكتبة العامة برباط الفتح رقم ٤٠٩ ص ٩٩ (٢) أو ص ٢١٤ .

- [وإليها^(١) يُنسب أبو العباس] س الينشتي صاحب سبنة ، كان قيامه فيها سنة ٦٣٠ ، ويلقب بالموفق [وكان أمره بها] مستقيماً براً وبحراً ، يُخافُ ويُمدح ويُفصد ويُخاطبه الملوك من البلاد إلى أن اغترَبَ بـ [....] بن مسعود الكوفي من جهة الزهد وأطراح الدنيا ، فكان إذا وردَ سبنة يُكرِّمُهُ ويُنزِلُ [له و....] السماع ويتبرك به ، ويستريح إليه ، وهو في أثناء ذلك يعلم القلوب المائلة إليه ، والقلوب المتغيرة عليه ، ويتأمل
- الأماكين التي يدخل منها إلى إفساد دولته وإعادتها [إلى بني عبد] المؤمنين ، حتى أطلع من ذلك على المطلب ، وظفر بالعرض ، ولم يشعره الينشتي المغترُّ بزُهد [ه حتى] نثر عليه سلكه ، وابتز منه ملكه ؛ فصَبَّحَهُ بِمِثْلِ رَاغِيَةِ الْبَكْرِ ، وجاء مع جيش من قبل [الملك الرشيد] عبد الواحد ، فخرج جنده القليل ورجالُه وعَامَّةُ أَهْلِ سَبْنَةَ فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ [الجيش] حملةً فُقدَ فيها من السبتيين نحو ستمائة ، وتخاذل الباؤون فهلك عليه
- ١٠ [الأهل] والولد وألقى الينشتي يده فخلع نفسه ، وقيد مع جماعة من أهل سبنة [فكان] وثوب على مثل ما وثب عليه الينشتي ، وكان له ولدان فاختفى الأكبرُ محمد [فكان خ] لموصه إلى البحر ، ثم حبسه بجاية ، ثم وصوله بالإسكندرية وحوقه باليمن [وموت] أيه فيقال إنَّ وباء جارفاً كان بحضرة مراكش أهلك الجميع من الغرباء ؛ [وقيل إنه و] الولد هلكا بشرية لبن ؛ واستمرت بسبنة دولة الرشيد عبد [الواحد إلى] آخر أيامه .
- ١٥

وكان أبو العباس هذا سلك مَسَلَكَ الْأُدْبَاءِ^(٢)

وهو يقول وقد رآه على فرسي عتيق وعليه ثياب ملوكية و [تكنفته الرجال] بالرماح وبجانيبه الحجاب : ذا العار بن العار يُريدُ أن يحكي بني عبدالمؤمن افازال ... العار من

(١) لم توجد هذه الترجمة إلا في نسخة في آخر النسخة وفيها بتركيز لحرق وقع في طرف الورقة .

(٢) خرق نحو سطرين .

لا يحكى بنى عبد المؤمن ؟ ثم خَلَّ سبيله فلم يُصبح المرّا كُشَى إِلَّا فى طريق مرّا كُشَى . . .
 وكان من جهةٍ أخرى فى نهايةٍ من الغيرة على الملكِ ، بَلَغَهُ أَنَّ طَلْحَةَ بن الشرقى من
 أقا [رب بنى] عبد المؤمن قد قال : لو كان فى سَبْتَةِ رَجُلٍ ما مَلَكَها هذا ! وأشار إليه
 فَأَحْضَرَهُ وقال : زَعَمْتَ [أَلَّا بِسَدِّ] تَةِ رَجُلٍ ؟ وأنا أَكْذُبُكَ ! احمَلُوهُ وَغَرُّوهُ فى اللَّجَّةِ !
 ٥ فَحُمِلَ فى زَوْرَقٍ وَغُرِّقَ .

« انتهى »

ما تَضَمَّنَهُ كتاب الروض المِطْطَار من صِفَةِ الجزيرة الأندلسية وذِكْرِ كُورِها
 وتُغُورِها ومُدُنِها وأَقَالِيمِها ، والبلاد النصرانية المُصَاقِبَةِ لها ، وما اشتهر بها من العجائب
 والآثار ، والوقائع والأخبار .

فهرس الأعلام الجغرافية الأندلسية

أريولة = أوريولة	(١)	إبارية : ٢
إستجة : ١٣ ، ١٤ - ١٥ ، ٢٣ ، ٦٢ ، ١٥٨		أبال : ١٠
إشبالي : ١٨		أبذة : ١١
إشبانيا : ١ ، ٢ ، ١٩ ، ١٦١		أبرونية : ٧٦
أشبونة (والأشبونة) : ٣ ، ١٦ - ١٨ ، ٢٩		أبطير : ١١
١٦١ ، ١١٤ ، ٤٦		آبله : ٣٩
إشبيلية : ١ ، ٥ ، ١٣ ، ١٨ - ٢٢ ، ٣٦ ، ٤٦		أتنسية : ٥٠
١٥٨ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٨٥		الأخوان : ١٩
٨٦ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١١٤		أربونة : ١١ - ١٢ ، ١٢٣
١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨		أرجونة : ١٢
١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٥		أرحاء الحناء : ١٨٧
١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢		أرش اليمن : ٣٧ ، ٣٩
١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٩٦		ارشذونة : ١٢ ، ١٧٩
أشتين : ٢٢ ، ١٨١		أرغون : ١٢ ، ٤٨ ، ١٨٨
إشكابه : ١٨٣		الأرك : ١٢ - ١٣ ، ١٦٣ ، ١٧٥
أشكوني : ٢٢ ، ١٧٢		أركش : ١٤
أشونة : ٢٣		أرنيط : ١٤
إصطبة : ٢٣		

أولية السهلة: ٣٤	إغرناطة: ٢٣-٢٤، ٧٨، ٨٥ (وانظر
أونبة: ١١١، ٣٥	غرناطة)
إيلش: ١٨٢	إفراغة: ٢٤-٢٥
(ب)	إفريجة: ٦، ٢٦-٢٧، ١٥٢
باجة: ١٨، ٢٠، ٣٦-٣٧، ٨٥، ١٠٦، ١١٣،	أقش: ٢٨، ٦٧
١٩٧، ١٩١، ١١٤	أقليش: ٢٨، ١٩٤
باطقة: ٢	أقيانس: ٢٨-٢٩
باغو: ١٣٨	أكشونبة: ١٠٦، ١١٤
بيشتر: ٣٧	إلبيرة: ٢٣، ٢٤، ٢٩-٣٠، ٥٣، ٧١،
بجانة: ٣٧-٣٩، ٤٧، ١٨٤	١٧٣، ١٣٤
بحر الزقاق: ٧، ٨٣	ألش: ٣١، ٣٤، ١٧٠
بحيرة بلنسية: ٥٣	ألش (بفتح اللام وبضم اللام): ٨٠
براقرة: ٦٦	أله: ٦٣، ١٨١
بربشتر: ٣٩-٤١	أندارة: ٣١
بربطانية: ٣٩، ١٩٥	أندراش: ٣١-٣٢
برتقال: ١٦٤	الأندلس (ترجمة خاصة): ١-١٠
برذال: ٤١	أندوجر: ١٠٩
برذيل: ٢، ٤١-٤٢	أندة: ٣١
برشانة: ٤٢	أنيشة (وأنيجة): ٣٢-٣٣، ٤٩
برشلونة: ٤٢-٤٣، ١٢٣، ١٨٥، ١٨٨،	أوريط: ٣٣، ١٦٣
	أوريولة: ٣١، ٣٤، ٦٣، ١٥١، ١٥٢

البونت : ٥٦	برغش : ٤٤، ٤١
بيارة : ٥٦	بريانة : ١٨١، ٤٤
بياسة : ١١، ٥٧-٥٩، ٦٠، ٧٠، ١٦٥،	بزليانة : ٤٤
١٧٤، ١٧٣	بسطة : ٤٤-٤٥، ١٣٨، ١٦٥
بيانة : ٥٩-٦٠	بطروش : ١٣٨، ٤٥
بيراب : ٦٠	بطيرير : ١٠٠
ينغو : ٦٠-٦١، ١٦٥، ١٧٤	بطليوس : ٣، ١١، ٤٦، ٨٣، ٨٥، ٨٩،
يمونة :	١٠٦، ١٧٥، ١٧٧
(ت)	بلاطة : ٤٦
تاجه : ٦٢، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٣	بالانة : ٦٣، ١٥٢
تازة : ١٧٣	بلتنة : ٦٣
تاكرونا : ٦٢، ٧٩	بلطش : ٤٧
تدمير : ٢٢، ٣١، ٣٤، ٣٩، ٥٣، ٦٢-٦٣،	بلكونة : ٥٦
١٨١، ١٧٣، ١٧١، ١٥١، ١١٢	بماللة : ١٠٧
ترجالة : ١٣، ٦٣	بلنسية : ٣١، ٣٢، ٤٤، ٤٧-٤٨، ٥٦، ١٠٢،
تطيلة : ١٤، ٦٤، ٩٦، ١٢٣، ١٩٥	١١٨، ١٢٤، ١٣٥، ١٨٣
التوبة : ٦٣	بلون (نهر) : ٧٠
(ج)	بنبابش : ٥٥
جبل البيرة : ٢٤، ١١٢	بنبلونة : ٥٥-٥٦، ١١٤
جبل البرانس : ١٤٢	بنبيج : ١٩٤
	بنشكلة : ٣٢، ٥٦

- جبل الثلج : ١١٢، ٢٤
 جبل شبة : ١٤٩
 جبل طارق : ١٥١، ١٢١، ٧٥، ٧٤، ٩
 جبل العروس : ١٥٣
 جبل العيون : ١٦٩، ٣٥
 جبل القروء : ١٦٢
 جبل الكحل : ٤٥
 جبل الكهف : ١٢٤
 جبل المعز : ١٤٢
 الجبل الواسط : ١٠٠
 الجرف (بيلنسية) : ٤٩
 جرف مواز : ٦٥-٦٦
 جرونة : ٤١
 جزيرة أم حكيم : ٧٤، ٧٣
 الجزيرة الخضراء : ٨٣، ٧٥-٧٣، ٩، ٨
 ١٩٣، ١٢٧، ١٢١، ٨٧
 جزيرة شقر : ١٠٤-١٠٢، ٥٣، ٤٩
 جزيرة طريف : ١٢٧، ١٠٧، ٨
 الجسر (بيلنسية) : ٥٢، ٤٩
 جلطراء (جبل) : ٦٥
- جليقية : ١٦٨، ١٣٤، ٦٧-٦٦، ٤١، ٣
 جئات المصلى (يا شبيلية) : ٢١
 جنجاله : ١٩٨، ١١٦، ٧٠-٦٧
 جيان : ٧٠، ٦١، ٥٨، ٥٧، ٥٣، ٤٥، ١٣
 ٧٠-٧٢، ١٥٨، ١٣٨، ١٣٧، ١١٨، ١٠٥، ٧٢-
 ١٩٤، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٣، ١٦٢
- (ح)
 الحارة (بيلنسية) : ٤٩
 حدره (نهر) : ٢٣
 الحلة (بيلنسية) : ٤٩
 حصن الثلج : ١٠٨
 الحمراء (اسم لبله) : ١٦٨
 حصص (اسم ا شبيلية) : ٥٣
 الحمة (بقرب الأشبونة) : ١٦
 الحمة (بقرب بجانة) : ٣٩، ٣٨
- (خ)
 الخضراء = الجزيرة الخضراء
- (د)
 دانية : ١٩٦، ١٨٢، ١٧٠، ٧٦، ٥٣
 دروقه : ١٦٣، ٧٧-٧٦

الزلافة: ٨٣-٩٥، ١٢٧	دلالية: ٧٧
الزهراء: ٨٠، ٨٤، ٩٥	(ر)
(س)	الرباط (بالمريّة): ٣٧
سرقسطة: ٤، ٤١، ٤٧، ٥٥، ٦٤، ٧٧،	الرصافة (بقرب بلنسية): ٤٩، ٥٢، ٧٨
٧٨، ٩٦-٩٨، ٩٥	الرصافة (بقرب قرطبة): ٧٨، ١٤١
سرينط: ١٧١	الرصيف الأعظم: ١٥
سمورة: ٩٨-٩٩	رقابل: ١٣٣، ١٣٤
السهلة (بلنسية): ٤٩	الرقيم: ٧٨
سهيل: ١٨٠	ركلة: ٧٨-٧٩
(ش)	الركين: ١٨٨
الشارات: ١٣٢، ١٦١	الرملة (بلنسية): ٤٩
شاطبة: ٥٣، ١٠٠، ١٠٢	الرملة (بقرطبة): ٣٤، ٦٥
شبرانة: ١٢٦	رندة: ٦٢، ٧٩
شجش: ١٠٠	روطة: ١٠٦
شدونة: ٢٣، ٣٦، ٧٥، ١٠٠-١٠١، ١٠٢،	رومية يوليش: ١٩
١١٣، ١٢٠، ١٢٦، ١٦٩، ١٨٨	ريمية: ٧٩
الشرف: ١٨، ١٩، ٢٠، ١٠١-١٠٢	ريّة: ٣٩، ٥٣، ٧٩، ١١٢، ١٧٠
شرق الأندلس: ٣١، ٤٧، ١١٦، ١٣٦	(ز)
شريش: ١٠٢، ١٠٠	الزاهرة: ٨٠-٨٢، ٩٥
الشطّ (بشقر): ١٠٣	الزقاق: ٨٣، ١٢٧، ١٤٨

شنقنيرة : ١٧٢	شُقُر = جزيرة شُقُر
شوذر : ١١٧ ، ١٦٥	شقندة : ١٠٤
شيقر (نهر) : ١٦٨	شقوية : ١٠٤
(ص)	شقورة : ١٠٥
الصخور : ١١٨ - ١٢٠	شلب : ١٠٦ - ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٦١
صدينة : ١٢٠	شلبطرة : ١٠٨ - ١١٠ ، ١٣٧
صقلب : ١١٤	شلطيش : ١١٠ - ١١١ ، ٤٦
(ط)	شلاوينية : ١١١
طارق = جبل طارق	شَلِير : ١١٢ ، ١٩٢
طالقة : ١٩ ، ٢٠ ، ١٢٢ - ١٢٣ ، ١٤٥	شنت بول : ٣١
طبيرة : ١٢٣	شنت يطر : ١٤٥
طرسونة : ٦٤ ، ١٢٣	شنت مرتين : ١٠٥
طرطوشة : ٤٣ ، ١٢٤ - ١٢٥ ، ١٥٠ ، ١٨٠	شنت ياقوب : ١١٥ - ١١٦ ، ١٨٥
طر كونة : ٣ ، ٤٢ ، ٥٦ ، ١٢٤ ، ١٢٥ - ١٢٧ ، ١٣٤	شنتبرية : ٢٨
طريانة : ١٢٦ ، ١٢٧ - ١٢٨ ، ١٦٣ ، ١٩٦	شنتجاله : ١١٢
طريف = جزيرة طريف	شنترلانه : ١١٣
طلبيرة : ١٢٣ ، ١٢٧ - ١٢٨ ، ١٦٣ ، ١٩٦	شنترين : ١١٣ ، ١١٤ - ١١٥ ، ١٦٤
طلسونة : ٦٧	شنترة : ١١٢ ، ١١٣
طلمنكة : ١٢٨	شنتمرية (حصن) : ١١٤
	شنتمرية الغرب : ١١٤ - ١١٥
	شنتفيرة : ١١٦

غريانة : ١٠٩ ، ٢٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٨ ، ١١٢ ،
١١٨ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ،

١٩٨

الغور : ٤٦

(ف)

فخص البلوط : ١٤٠ — ١٤٣

فخص القصر : ٥٨

فرنجولاش : ١٤٣

فريش : ١٤٣

فلوم (نهر) : ٢٣

الفندون : ١٥١ ، ١٧٢

فنيانة : ١٤٣ — ١٤٤

الفهمين : ١٤٤

(ق)

قادس : ٢ ، ٣ ، ١٤٥ — ١٤٩

قبتور : ١٤٩

قبرة : ٥٩ ، ١٤٩ — ١٥٠

القبطيل : ١٥٠

قرباكة : ١٥٠

قربليان : ١٥١

طلويرة (جبل) : ٧٩

طلياطة : ١٢٨ — ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٦٨

طليطة : ٦ ، ٧ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ،

٦٢ ، ٩٣ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ،

١٣٠ — ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،

١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩١ ،

١٩٦ ، ١٩٣

طودة : ٦١

طيلاقة : ١٣٥

(ع)

العاصرية : ٥٤

العروب : ١٥٠

العسكر : ١٥٠

عفص : ١٣٦ — ١٣٧

العقاب : ١١ ، ١٣٧ — ١٣٨ ، ١٩١ ، ١٩٦ ،

عقبة أنيشة : ٣٢ ، ٤٤

(غ)

غافق : ١٣٩

غرب الأندلس : ٤٦ ، ٦٦ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،

١٠٧ ، ١٣٦ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٨

قلشانة (وقلشانة): ١٥٩، ١١٣، ١٠٢، ٧٣،

١٦٣—١٦٢

قلعة أيوب: ١٦٣، ٩٦، ٧٨، ٧٦،

قلعة رباح: ١٣٨، ١٣٧، ١٠٨، ٣٣، ١٢،

١٦٣

قلمرية: ١٦٤، ١٠٦،

قلّة المهن: ١٣٤

قنطرة السيف: ١٦٤، ٦٢،

قنيطرة: ١٣٤

القوبة (بيسطة): ٤٥

قودية: ١٦

قورية: ١٦٤

قونكة: ١٩٤

قيجاطة: ١٧٤، ١٦٥، ١٣٦، ٦١،

قيشاطة: ١٦٥

(ك)

كالش (نهر): ٦٤

الكرس (حصن): ١٦٧—١٦٦،

كركي: ٣٣

الكرزم: ٣٦

قرطاجّة: ١٥١، ٧٥،

قرطاجّة الخلفاء: ١٥٢—١٥١، ١٣٤، ٣٤،

قرطبة: ١٨، ١٤، ١٣، ١٢، ١٠، ٩، ١،

٤٥، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٤، ٢٨، ٢٣، ٢٠،

٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦، ٥٥، ٥٣، ٤٧، ٤٦،

٨٢، ٨١، ٨٠، ٧٩، ٧٥، ٦٨، ٦٥، ٦١،

١٣٠، ١١٨، ١٠٧، ١٠٤، ٩٥، ٨٥، ٨٤،

١٤٩، ١٤٧، ١٤٣، ١٤٢، ١٤١، ١٤٠،

١٧٠، ١٦٣، ١٦٢، ١٥٩، ١٥٨—١٥٣،

١٩٣، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٣، ١٧٥، ١٧٣،

قرمونة: ١٨٨، ١٥٩—١٥٨، ١٥، ١٣،

قرناطة: ١٦٠

قسطلّة درّاج: ١٦٠

قسطنطينة: ١٤٣

قشتالة: ١٧٤، ١٦١، ١٠٩، ٨٥، ١٣، ١٢،

١٩٦

قشتيلة: ١٣٧، ١٠٩

القصر: ١٦١

قصر أبي دانس: ١٦٢—١٦١، ١٠٧،

القصرين: ١٩٨

قلب: ١٨٨، ١٦٢،

محرط : ١٣٥ ، ١٧٩ — ١٨٠	الكنيسة (بشقر) : ١٠٣
المحجة العظمى : ٥٦	كنيسة الغراب : ٢
المدائن : ٢١	(ل)
المدور : ١٤٣	لاردة : ١٦٨ ، ١٢٥ ، ٢٥
المدينة البيضاء (اسم سرقسطة) : ٩٦ ، ٩٧	لبلة : ١٢٩ ، ١١٠ ، ٨٥ ، ٣٥ ، ١٩
مدينة الجلندي : ٧٣	١٦٩ — ١٦٨
مدينة دقيوس : ٧٨	اللج : ١٣٧
مدينة بني راشد : ٧٩	لقنت : ١٧٠ ، ١٥٢ ، ٦٣ ، ٣١
مدينة سالم : ١٦٣ ، ١٩٣	لكة : ١٨٥ ، ١٧٠ — ١٦٩
مدينة ابن السليم : ١٦٢ ، ١٦٣	لماية : ١٧٠
مدينة الفتح : ١٢١	لورقة : ١٨٠ ، ١٧٣ — ١٧١ ، ٦٣
مدينة الفرج : ١٩٣	لوشة : ١٧٤ — ١٧٣ ، ١٦٥ ، ١٣٦ ، ٧٨ ، ٦١
مدينة المائدة : ١٣٢ ، ١٧٩	ليوزدال : ٢٨
مريلة : ١٨٠	ليون : ١٧٤ ، ٤٤
مريطر : ١٨٠ — ١٨١	(م)
المرج : ١٤٣	مارتلة : ١٧٥ ، ١٠٦ ، ٤٦
المرج (بشقر) : ١٠٣	ماردة : ١٢٢ ، ١١٥ ، ٦٦ ، ٤٦ ، ٢٠ ، ٦ ، ٥
مرج الأمير : ١٨٠	١٧٧ — ١٧٥ ، ١٦٤
مرج الحمار : ١٩٦	ماقدة : ١٧٩
المردقة : ١٣٤	مالقة : ١ ، ١٢ ، ٤٤ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٨
	١٧٩ — ١٧٧

منورقة: ١٩٨، ٣ (وانظر منيرقة)	مرسانة: ١٨١
منية نصر: ١٨٧	مرشني هاشم: ١٩١
مورور: ١٨٨، ١٦٢، ١٠٠	مرسية: ١، ٣٤، ٦٧، ٦٨، ١١٦، ١١٨،
مولة: ١٥٠، ٦٣	١١٩، ١٣٦، ١٥١، ١٧١، ١٨١-١٨٣،
ميرتلة: ١٩١	١٩٥
ميورقة: ١٩٨، ١٨٨، ١٨٥، ٦٨، ٢=١٩١، ١٩٨	مرشانة: ١٥
(ن)	المرية: ١، ٣١، ٣٧، ٣٩، ٥٣، ٧٧، ٨٤،
نربونة: ٥٦، ٤٣، ٤٢، ٢ (وانظر أربونة)	١٣٥، ١٨١، ١٨٣-١٨٤، ١٨٥،
نهر أرغون: ١١٤	مشكيجان: ١٦٨
نهر بوسة (بوطة؟): ١٦٢، ١٢٠	المعدن (حصن): ١٦، ٨، ١
نهر الزيتون: ٢٤	مغام: ١٣٣
نهر شقر: ١٩٤	مكادة: ١٣
النهر الكبير أو الأعظم: ١١، ١٩، ٥٦، ٥٧،	مليس: ١٨١
٨٥، ٥٨	المنار (حصن): ١٨٥
نهر مريلة: ٥٩	مندوجر: ١٨٥
(هـ)	منركة: ١٨٥، ١٨٨
هكل الزهراء: ٤٢، ٢	منزل ابن بدر (بقرطية): ٨٠
(و)	منزل عطاء (بيلنسية): ٥٣
وادي آش: ٢٣، ٤٤، ١١٢، ١٣٤، ١٨٠،	منزل نصر (بيلنسية): ٥٣
١٩٢-١٩٣	المنكب: ١١١، ١٨٦
وادي آنه: ١٩١	

وادة : ١٩٤	وادي البحر : ١٥١
وشقة : ١٦٨ ، ٦٤ ، ١٩٤ -- ١٩٥	وادي الحجارة : ١٣٤ ، ١٣٢ ، ١٣٠ ، ١٢٨ ،
وشكة : ١٩٥	١٩٣
وقش : ١٩٦ ، ١٣٥	وادي الرمل : ١٢٧
(ى)	وادي شلون : ٧٨
يابرة : ١٩٧ -- ١٩٨	وادي المسل : ٧٤ ، ٧٣
يابسة : ١٩٨ ، ١٨٩ ، ١٨٥ ، ٧٦	وادي لكه : ١٩٤ -- ١٩٣ ، ١٦٢ ، ٧٩ ، ١٤
يبورة : ١٩٨	وادي لماية : ١٧٠
يرنى : ١٥٩	والفر (عين) : ١٩٤
ينشتة : ١٩٨ -- ٢٠٠	والمير : ١٩٤

فهرس الأعلام الجغرافية غير الأندلسية

البحر المحيط : ٢٦ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٨٤ ،	(١)
١٠٠ ، ١١٥ ، ١٦٩	الأردن : ٨٩
البحر المظلم : ٢	الأرض الكبيرة : ٢٧
برطانية : ٣ ، ٢٩	آسفى : ١٨
بغداد : ١٢٥	الإسكندرية : ١٢٥ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٩٩
بلاية : ١٤٧	أشير : ١٩٠
بوصير : ١٧٨	أفريقية : ١٠٤ ، ٧٤ ، ٢٧ ، ٢١ ، ١٠ ، ٨ ، ٤ ، ١
بيت المقدس : ٥ ، ٢٠ ، ٤٢ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٧٧	١٠٩ ، ١٥٦ ، ١٩٢
(ت)	أقريطش : ٢٧
تراقيا : ١٤٩	إيلياء : ١٩ ، ٥ ، ١٧٧ ، ١٢٢
تلمسان : ٦٧	(ب)
توزر : ١٩٠ ، ١٩١	بجاية : ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٩
(ج)	البحر الأخضر : ٢٨
جزائر بنى مزغنى : ٥٦ ، ١٩٠	بحر الانقليشين : ٢
جزيرة رومة : ٢٦	البحر الرومى : ٢٨ ، ٦٢ ، ٨٣ ، ١٠١
جزيرة النعم : ١٧	البحر الشامى : ٢ ، ٢٦ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ،
(ح)	١٣٥
حصص : ٢١	

(ص)	(خ)
الصحراء: ٨٥، ١٩٠	الخالدات: ٢٩
صقلية: ٢٧، ١٥٢	(د)
(ط)	دمشق: ٢١، ٢٤، ٢٩
طنجة: ٨٣	(ر)
(ع)	رباط الفتح: ١٠٧
المدوة: ٣٨، ٥٦، ٦٨، ٧٤، ١١٨، ١٨٣، ١٨٨	رومية: ١٩، ١٣١
العراق: ٥٩، ١٣٣، ١٧٨	رومة: ٧، ٢٦، ٤٣، ١٧٦
عمرة: ١٩٠، ١٩١	(س)
عين التمر: ٤	سبنة: ٧، ٨، ٦٨، ٧٤، ٨٣، ٨٦، ٨٧
(غ)	١٣١، ١٤٦، ١٤٨، ١٩٩، ٢٠٠
غاليش: ٤٠	سجلماصة: ٢١
غوطة دمشق: ٢٤	سرذانية: ١٨٥، ١٨٨
(ف)	سلا: ١٣، ١٠٧، ١٤٧، ١٩٧
فاس: ٧٢	السوس: ١٤٧
فران: ١٩٣	(ش)
فلسطين: ٣٦، ١٠٠	شارحة الفتيوم: ٢٤
الفتيوم: ٢٤، ١١٢	الشام: ٢٨، ٨٣، ١٣٣، ١٧٨، ١٨٤

مرج الصفر : ٥٤	(ق)
المشرق : ١٤٥، ٧٦، ٢٧، ١٩	قرطاجنة إفريقية : ٧٤
مصر : ١٧٨، ١٧٢، ١٣٣، ١١٣، ٣٦، ٢٨، ٤	القسنطينية : ١٥٤، ٤٠، ٣
١٨١	قسنطينة : ١٩٠
المغرب : ١٢٨، ١١٤، ١٠٧، ١٠٦، ٨٣، ١٩	قصر مصمودة : ١٠٧
١٦٥، ١٣٧	قفصة : ١٩٠
مكة : ٥٩	القلعة (قلعة بني حماد) : ١٩٠
مليانة : ١٩٠	القليب : ٨٩
مليلة : ١١١	(ك)
(ن)	الكوفة : ٤
النيل : ١٨١، ١١٣، ٢٤	(ل)
(هـ)	لنقبرزية : ٢٦
الهند : ١٧٨، ١٤٨، ١٤٥، ٢٦	لويبا : ١٤٩
(و)	لوذون : ٢٧
الوشل : ١٨٨	(م)
(ي)	مازونة : ١٩٠
اليرموك : ٥٤	مرآ كش : ١٠٧، ٩٥، ٦٩، ٦٨، ٦٧، ١٣
اليمين : ١٩٩، ١٠٦	١٣٨، ١٣٧، ١٢٩، ١١٦، ١١٤، ١٠٨
	١٩٩، ١٩٧، ١٩٠

فهرس أسماء الرجال والنساء

(١)

١٢٧، ١٢٦، ٩٤، ٩٣، ٩٢، ٩١، ٩٠، ٨٩

أركليش : ١٤٨، ١٤٥

أبو إسحق بن مسعود الإلييري : ٣٠

إسماعيل بن موسى بن لبّ بن قسي : ١٦٨

إشبان بن طيطش : ١٢٢، ١٩، ٦، ٥، ٢

١٧٧

ابن أشرقي أبو علي : ١٣٦

أليطش : ٤٠

ألفنش : ١٦٧، ١٦٦، ٩١، ٢٢

ألفنش بن فرذلند = إذفونش

أكتبيان : ١٦٩

أمّ حكيم : ٧٣

أبو الأمان (السيد) : ١١٩

أميّة بن إسحق الأموي : ٩٩

(ب)

الباجي = سايمان بن خلف

باديس بن حبّوس الصنهاجي : ٢٣

ابن بُجَيْر : ١٩٣

ابن الأتار القضاعي : ٦٠، ٥٣، ٥٢، ٤٨، ٣٢

إبراهيم بن خالد الإلييري : ٣٠

إبراهيم بن يوسف الطرطوشي : ١٧١

أحمد بن إسحق الأموي : ٩٩، ٩٨

أحمد بن رميلة القرطبي : ٩٤، ٩١

أحمد بن زهير بن حرب : ٦٠

أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي : ٤٨، ٣٣

١٠٤، ١٠٣، ٥١، ٥٠، ٤٩

أحمد بن محمد بن عبد الله بن لبّ المافري

الطلمنكي : ١٤٨

أحمد بن محمد بن عبد ربه : ١٥

أحمد بن مسلمة : ٢٠

إدريس بن المنصور : ٥٧

إدريس المأمون الموحدي أبو العلي : ١١٨

أذريان قيصر : ٢٠

إذفونش : ١٠٩، ١٠٨، ١٣، ١٢

إذفونش بن فرذلند : ٨٨، ٨٦، ٨٥، ٨٤، ٨٣

ابن جامع أبو سعيد : ١١٦، ٦٧	بخت نصر : ١٧٧، ١٢٢، ٢٠، ٥
أبو جعفر بن وصّاح المرسى : ٢٥	بدر الحاجب : ١٥
الجلندى : ٧٤، ٧٣	البرشلونى الطاغية : ١٩١، ١٨٥
(ح)	بشيشان قيصر : ٢٠
حبّوس الصنهاجى : ٢٣	بقى بن مخلد : ٥٩
ابن حريق أبو الحسن : ٥٥	أبو بكر بن السيد أبي زيد : ٦٠
أبو الحسن بن أبي الفضل : ١١٩	أبو بكر بن عبد الله بن أبي حفص : ١٣٨
ابن حسّون : ١٧٩	أبو بكر بن القصيرة : ٩١
ابن حفصون : ٣٧	البلوى : ١١٩
الحكم بن عبد الرحمن الخليفة الأموى : ٨٠	(ت)
الحكم بن هشام الأموى : ١٨١، ١٦٩، ١٠١	تدمير بن عبدوس : ١٥٢، ١٥١، ٦٣، ٦٢، ٣٤
ابن الحلالة : ١٨٨	١٧١
حنش بن عبد الله الصنعانى : ٩٧، ٥١، ٢٩، ٤	التطلى الأعمى : ٦٤
ابن حيّان المؤرخ : ١٨٠، ١٣٢	تمام بن غالب ابن التّيتانى : ١٨٢
(خ)	(ث)
خالد : ٤	ثابت أبو قاسم بن ثابت : ٩٨
خشخاش : ٢٨	ثعلب : ٦٠
الخضر : ١٢٢، ٧٤، ٥	(ج)
ابن خفاجة الشاعر : ١٠٣، ٤٩، ٤٨	جابر بن مالك بن لييد : ١٨١
ابن أبي خيشمة : ٦٠	جاقمه ملك أرغون : ٤٨

ابن زيدان : ١٢٦	خيران العامري : ١٨٤
ابن زيدون أبو بكر الوزير : ٨٦	(د)
(س)	دخشوش : ٦
سحنون : ١٤٢، ٣٠	ابن درّاج القسطلّي : ١٦٠، ١١٥
ابن سعيد : ١٩٣	(ذ)
سميد بن حسان : ٣٠	ذو القرنين : ١٧٧، ١٧٥، ٨٣، ٦
أبو سميد بن أبي حفص الهتاني : ١١٦	(ر)
سميد بن حكم : ١٨٥	الرازي : ٤، ١
سميد بن المنذر بن السليم : ٢٠	راي مند بن بلنقيز بن برّيل : ٤٣، ٤٢
أبو سميد بن المنصور الموحدي : ٦٧	ردبيرت القومس : ٢٧
السلطين : ١٤٨	ردمير الملك : ٩٩
سليمان بن خلف الباجي أبو الوليد : ٣٦، ٣٤	ابن ردمير : ٩٨، ٢٤
سليمان بن داود : ١٢٢، ٥، ١٣١، ١٧٩	الرشيد عبد الواحد الموحدي : ١٩٩
سليمان بن عبد الملك : ١٣٢	الرصافي الشاعر : ٧٨
سليمان بن موسى الكلاعي : ٣٢	ركاردي بن لويلا : ٥٦
سليمان بن هود : ٤١	ابن الرّفق : ١٦١، ١١٤، ١٠٦
سند بن عنان الأزدي : ١٢٥	(ز)
السهيلى أبو القاسم : ١٨٠	أبو زكرياء أمير إفريقية : ١٠٤
(ش)	أبو زيد السيد : ٦٠
الشاشي أبو بكر : ١٢٥	

(ع)

ابن عات : ١٣٨

العادل = عبد الله بن المنصور

أبو العاصي بن أمية : ٤

عباد بن عباد : ١٧٨

عبد الله بن أحمد بن حنبل : ٦٠

عبد الله بن إسحق بن غانية : ١٨٩ ، ١٩٠

عبد الله الجيلي الأنصاري : ٤

عبد الله بن حبوس بن ماكسن الصنهاجي :

٨٦

عبد الله بن سليمان بن حوط الله الأنصاري

١٧٩

عبد الله بن فتوح بن عبد الواحد البونتي : ٥٦

عبد الله بن محمد الأموي : ٢٧ ، ٤٦ ، ١٨٧

عبد الله بن محمد بن عباد : ٨٩ ، ٩٢

عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن

المعروف بالبياسي : ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١١٨

١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٤

عبد الله بن مسلم بن قتيبة : ٦٠

عبد الله بن المنصور الملقب بالعادل : ٥٧ ،

٦٠ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١١٨ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،

١٦٥ ، ١٧٤

ششوت بن غيطشة : ١٠

الشلوين أبو علي : ١١١ ، ١١٩

الشهيد أبو زكرياء : ٦٠ ، ٧٠

(ص)

ابن صارة : ١١٢

صاعد بن أحمد : ١

صبيح : ٤

صفوان بن إدريس : ١٩٥

ابن صمادح : ٨٤

(ط)

طارق بن زياد : ٥ ، ٩ ، ١٠ ، ١٤ ، ٥١ ، ٧٣ ،

١٢١ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ،

١٩٣

طارق بن عبد الله بن وانمو الزناتي : ٧٥

الطرطوشي أبو الوليد : ١٢٥

طريف بن ملوك المعافري : ٨ ، ١٢٧

طلحة بن الشرق : ٢٠٠

طوبيل بن يافت بن نوح : ١٩

طيّطش : ٤٢

عبد الملك بن إدريس الجزيري : ١٢٥	عبد البر بن فرسان الواديآشتي : ١٩٣، ١٩٢
عبد الملك بن حبيب : ٣	عبد الجليل بن وهبون : ١١١، ٩٤
عبد الملك بن كليب بن ثعلبة : ١٧٧	عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجّاج : ٢٠
عبد الملك المصمودي : ٩٥	عبد الرحمن بن الحكم الأموي : ٥٩، ٢٠
عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر المظفر	١٨١، ٧١
سيف الدولة : ١٦٠	عبد الرحمن بن عبد الواحد الموحدى أبوزيد :
عبد المؤمن بن علي : ٧٨	٧٠
عبد الواحد أبو محمد صاحب إفريقية : ١٠٩	عبد الرحمن بن محمد الخليفة الناصر : ٢٠، ١٥
عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن : ٦٧،	١٥٤، ١٤١، ١٤٠، ٩٩، ٩٨، ٩٥، ٧٣
٦٨	١٨٣، ١٨١، ١٦٢، ١٥٩، ١٥٧
ابن عبدون اليابرى : ١٩٧	عبد الرحمن بن مروان الجليقي : ٤٦
عبيد الله بن آدم : ٨٥	عبد الرحمن بن معاوية الأموي الداخل : ٢٩
عبيد الله بن عثمان صاحب الأرض : ١٢٣	١٨٦، ٣٦، ٣٠
عبيد الله بن يحيى : ١٨٧	عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر : ١١٥
ابن عتبة الأشبيلي أبو الحجّاج : ٣١	عبد الرحمن بن موسى بن وجّان الهنتاقي :
عثمان بن أبي حفص : ٥٨	١٢٨، ٧٠، ٦٩، ٦٨، ٦٧
عثمان بن عفّان : ١٥٥، ٣	عبد الرحمن بن النظام : ١٢٤
ابن عساكر : ٣٧	عبد العزيز بن مروان : ٤
ابن المسّال : ٤٠	عبد العزيز بن موسى بن نصير : ٦٢، ٣٤
الملاء بن محمد بن عبّاد أبو هاشم : ٩٢	١٥٢، ١٥١

ابن عميرة = أحمد بن عبد الله	العلاء بن مغيث اليحصبي : ٣٦
ابن عوف أبو الطاهر : ١٢٥	علقمة بن عامر : ٤
ابن عياش أبو عبد الله : ٥٥	عليّ : ٤
عياض بن عقبة الفهرى : ٤	علي بن إسحق بن محمد بن غانية : ١٩٠، ١٩١، ١٩٢
عيسى بن الوكيل : ١٩٨، ١٩٧	علي بن جعفر بن همشك : ١٠٥
(غ)	أبو علي الجبائي : ٧١
ابن غانية : ١٤٨	علي بن رباح اللخمي : ٩٧، ٤
غرسية بن شانجه : ٥٥، ١٢	علي بن عيسى بن ميمون : ١٤٧، ١٤٨
غرسية بن لبّ : ٢٨	علي بن الغاني الميوري : ١٣٨
الغزالي : ١٢٥	علي بن القاسم بن عشرة : ١٩٧، ١٩٨
غنكيت الوزير : ٦٧	علي بن محمد بن شفيع البسطي : ٤٥
غيطشة : ١٠، ٦	أبو العلي الموحدي : ٦٩، ١٨٩، (وانظر إدريس)
(ف)	عمر : ٤
الفتح بن خاقان : ٨٠	عمر بن أسود : ٣٨
الفتح بن موسى بن ذى النون : ٢٨	عمر بن عبد العزيز : ١٠، ١٥٦
ابن الفخار : ١١٦	عمر بن عيسى بن أبي حفص بن يحيى : ٥٨
ابن فرج أبو جعفر : ١٦٦، ١٦٧	عمر بن وقاريط : ٦٩
(ق)	أبو عمرو الداني المعروف بابن الصيرفي : ٧٦
ابن قادس : ١٣٧	عمرو بن العاصي : ٤
قارله : ٢٧	

- مالك بن أنس : ١٤٢
 المتوكل عمر بن محمد بن الأقطس : ٩٠، ٨٦
 المتوكل (لقب محمد بن هود) : ١١٩
 مجاهد بن محمد أبو الجيش : ١٨٢
 ابن مُجَبَّر أبو بكر : ١٩٠، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٥
 محمد بن أحمد الوشكى : ١٩٥
 محمد بن أحمد الينشتى : ١٩٩
 محمد بن بلال : ٧٤
 محمد بن شخيص : ١٨٧
 محمد بن صمادح : ١٨٤
 محمد بن الطلاع : ٨٤
 محمد بن أبي عامر المنصور : ١١، ٨٢، ٨١، ٨٠
 ١٦٠، ١٥٧، ١٢٥
 محمد بن عبد الله بن أبي زمين : ٧٦
 محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموى : ٢٩
 ١٨٠، ١٧٩، ١٦٣، ١٤٣، ١٣٣، ١٢٨
 محمد بن عبد الرحمن بن خلصة البلنسى : ٤٨
 أبو محمد بن عبد الرحمن بن وِجَان : ٧٠، ٦٩
 محمد بن على بن غانية المسوفى : ١٨٨
 محمد بن محمد بن إدريس : ١٥٦
- قاسم بن أصبع البيّانى : ٦٠، ٥٩
 قاسم بن ثابت : ٩٨
 القسطلّ أبو الحسن : ١١٩، ١١٨
 القسطلّ = ابن درّاج
 قسطنطين : ٣٣، ٤٥، ٤٧، ١٢٦، ١٢٨، ١٤٣
 قسليان قيصر : ١٩١
 قلوديّه : ٢٧
 قلوطلد : ٢٧
 القمطيحة : ٨٤
 قيصر : ٩٦
 (ك)
 كعب الأحبار : ٣
 الكلاعى : ٣٣، ٣٢
 (ل)
 لنديق : ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٠٠، ١٠٤، ١٣٥
 ١٣٦، ١٦٩، ١٧٦، ١٩٣، ١٩٤
 لويان : ١٣٣، ١٣٤
 (م)
 ماردة بنت هرسوس : ١٧٦، ١٧٧

مواز : ٦٥	محمد بن هود : ١٢٠، ١١٩، ١١٦
موسى : ١٤٧، ١٤٥، ٧٤	محمد بن يزيد المبرّد : ٦٠
موسى بن شخيص : ١٤٧	محمد بن يوسف بن الأحمر : ١٢
موسى بن عمران المارتلى : ١٧٥	محمد بن يوسف المسكدالى : ٥٨
موسى بن نصير : ٧٣، ٥١، ٢٧، ٩، ٨، ٥، ٤	محمد بن يوسف بن هود : ٦٣
١٩٣، ١٣٢، ١٢٧، ١٢٢، ٧٥	مروان بن محمد : ١٧٨
ميسرة عامل جيان : ٧١	المستنصر العباسى : ١١٩
(ن)	ابن مسعود الكومى : ١٩٩
الناصر محمد بن يعقوب الموحّدى : ١٠٨، ٦٧	المصحفى أبو أحمد الحاجب : ٨٠
١٩٠، ١٨٩، ١٣٨، ١٣٧، ١٠٩	مصعب بن محمد الخشنى ، المعروف بابن أبى
نصير أبو موسى بن نصير : ٤	ركب : ٧٢
(هـ)	معاوية : ٤
هاشم بن عبد العزيز : ١٧٧	معاوية بن صالح الحمصى : ١٧٨
هرقلس : ١٤٥، ٣	ابن المعتز : ١٨٨
هشام بن أحمد الكنانى الوقشى : ١٩٦	المعتمد محمد بن عبّاد : ٨٦، ٨٥، ٨٤، ٨٣،
هشام بن الحكم الأموى : ١١٥، ٨٢، ٨٠	٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤،
١٥٧	١٢٧، ١١١، ٩٥
هلال بن مقدّم : ٦٩	المقتدر بالله ابن هود : ٤١
(و)	منذر الإفريقى : ٣
ابن وجّان = عبد الرحمن بن موسى	منذر بن سميد البلوطى : ١٤٠، ١٤١، ١٤٢،
	١٤٣

أبو يعقوب بن علي : ٦٩	نجاح : ١٩
يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن :	بن الجراح : ٧٤
١٢٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٤، ١٦٣،	بن عبد الملك : ١٠، ٨، ٤، ١٢٧، ٥٩
١٩١، ١٩٠، ١٧٥	(ي)
يليان : ١٣١، ٩، ٨، ٧	بن نوح : ٦٦، ٢٧
الينشتي أبو العباس : ٢٠٠، ١٩٩	٣٠ :
يوسف بن إبراهيم اليتاسي : ٥٩	ن إسحق بن محمد بن غانية : ١٩٢، ١٩٠
يوسف بن سليمان الشنمري الأعم : ١١٥	بن زكرياء : ١٩
يوسف بن عبد المؤمن : ١٩٠، ١١٤	بن علي : ٢٦، ٢٥
يوسف بن تاشفين : ٨٩، ٨٨، ٨٧، ٨٦، ٨٥	بن علي بن تاشا : ١٤٨
١٨٨، ٩٥، ٩٤، ٩٣، ٩٢، ٩١، ٩٠	بن محمد الناصر الموحدي : ٦٩
يوسف بن قادن : ١٦٣	بي صاحب ميورقة : ١٨٥
يوسف بن محمد بن المستنصر الموحدي : ٦٧	ب الحوارى : ١١٥
يوليش القيصر : ٣٦، ١٨	

فهرس أسماء القبائل والعشائر والأجناس

بكر بن وائل : ٤	(١)
(ت)	الأشبان والأشبانيون : ٢٧، ١٩، ٢
التوك : ٢٧	بنو الأصفر : ٥٤
(ج)	الإغريقيون : ١٤٥
الجلالقة : ٩٩، ٩٧، ٨٨، ٨٣، ٦٦، ٦٢، ٢٧	الأفارقة : ١٢٢، ٥
الجليقيون : ٦٧، ٦٦، ٤٢، ٢٨	الإفرنج والإفرنجية : ٨٨، ٥٥، ٤٢، ١٢، ١
(خ)	٩٨
الخزر : ٢٧	آلان : ٢٧
الخلط : ٦٩	بنو أمية : ٣٧
(ر)	الأندلس : ٤
الروذمانون : ٤٠	الأنديش : ٤
الروم : ٥٨، ٥٧، ٤٨، ٤٧، ٤٤، ٤٢، ١٣	الأنقلش : ٢٦
١٣٠، ١٢٨، ١٢٦، ٩٨، ٦٣، ٦١، ٥٩	الأنقليشيون : ٢
١٤٤، ١٤٣، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٦، ١٣١	(ب)
١٨٤، ١٧١، ١٦٢، ١٦١، ١٤٩	البربر : ١١٢، ٧٥، ٣١، ٢٩، ١٨، ٩، ٨
(ز)	١٧٨، ١٤٨، ١٢٧
زناقة : ٦٧	برجان : ٢٧
	البشكنش : ٢٦

فهرس أسماء الكتب المذكورة

(ر)	(١)
الروض الأنف لأبي القاسم السهيلي : ١٨٠	نحياء للفرزالي : ١٢٥
(ز)	علام لحروب الإسلام لأبي الحجاج
زاد المسافر لصفوان بن إدريس : ١٩٥	البياسي : ٥٩
(ش)	لاكتفاء في سير النبي والثلاثة الخلفاء
شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي : ٣٦	للكلاعي : ٣٢
(ط)	(ت)
طبقات الحكماء لصاعد بن أحمد : ١	أريخ ابن حيان : ١٨٠
(ف)	أريخ ابن عساكر : ٣٧
الفلاحة النبطية : ١٤٥	تعلقة في الخلاف للطرطوشي : ١٢٥
(م)	فسير منذر بن سعيد البلوطي على الكتاب
الملتص : ١٣٦	العزيز : ١٤٠
الموعب لابن التبان : ١٨٢	(ج)
(و)	جالي الفكر : ٢١
الوثائق المجموعة لعبد الله بن فتوح البونتي :	(ح)
	لحوادث والبدع للطرطوشي : ١٢٥
	(د)
	الدلائل لقاسم بن ثابت : ٩٨

فهرس الآيات المذكورة

(البسيط)

- ١٩١ : تَرْيِبُ
١٠٧ : بَدَا
٥٤ : تَمَسَّا
٦٠ : الْأَعَاصِيرِ
٤٨ : هَلَكُوا
٢٥ : غَيَّانِ

(الوافر)

- ١٠٥ : بَقَاءُ
٥٥ : وَغَرِبِ
٣٠ : نَحْنَا
١١١ : السَّوَارُ
٧٢ : الْجُبَانِ

(الكامل)

- ٤٠ : الصَّمَاءُ
٨٩ : الْعَجِيبِ
٤٨ : وَالتَّارُ

(الطويل)

- ١٩٣ : أَطْرَبُ
١٠٨ : لَنِّي
١٥ : تُنْجِ
٧٢ : وَصَادِي
١٠٧ : النَّصْرُ
١٨٧ : النَّصْرِ
١٤٧ : الْأَوَانِسِ
١٠٤ : بَلَّاقِعُ
١٩٧ : حَقَّقَا
٥٥ : لَزَهْرِكِ
١٤٢ : مَالِكُ
١١٢ : مُحَرَّمُ
٣٢ : الصَّوَارِمِ
١٩٢ : وَزَمَامِي
٦٤ : الْحَدَثَانِ
٧٢ : وَحِيرَانِ

العرب: ٧، ٨، ٩، ٢٩، ٣٨، ٧٥، ٧٩، ١٠٠،	(س)
١٠٦، ١٣٦، ١٣٨، ١٦١، ١٨٣، ١٩٠،	بنو سراج القضاعيتون: ٣٧
١٩٥، ١٩٤	بنو السليم: ١٦٢
بنو عشرة: ١٩٧	السودان: ٢٩
المالقة: ١٢٦، ١٣٠،	(ش)
بنو عيسى: ١١٨	الشبوتقات: ٦، ١٧٥،
(غ)	(ص)
بنو غانية: ١٨٩	الصحراويون: ٨٥، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢،
(ف)	الصدف: ٩
بنو فارس: ١١٨	الصقالبة: ٢٦، ٢٧، ١٥٠،
(ق)	بنو صناديد: ١١٨
القوق: ٦، ٥٦، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٧٥،	(ط)
١٩٤، ١٩٣	بنو طوبال: ١
(ل)	(ع)
اللوأكبرد: ٢٧	بنو العبّاس: ٣٦
(م)	بنو عبد المؤمن: ٦٠، ٦٦، ١٢١، ١٦٥، ١٧٣،
مأجوج: ٢٧	١٩٩، ٢٠٠،
المجوس: ٢٠، ٢٦، ٢٨، ٤١، ٧٣، ٧٥، ١٤٩،	العجم: ٣٤، ٣٧، ١٠٤، ١٣٠، ١٣١، ١٤٤،
١٨٣، ١٥٩، ١٥٠	١٦٩

هرغة : ٦٩	المرابطون : ١٤٨
مسكورة : ٦٩	بنو مردنيش : ١١٨
بنو هود : ٧٨	المصرية : ١٨١، ١٧٣
(و)	معاقر : ٥١
بنو وزير : ١١٨	الملثمون : ١٨٤، ١٧٩
(ي)	الموحدون : ١٧٩
يأجوج : ٢٧	(ن)
اليمانية : ١٨١، ١٧٣	النصارى : ١٩٤، ١٦٣، ١٥٨، ١١١، ٩٧، ٤
اليهود : ١٩٠، ٢٣، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ١٢٢،	١٩٥
١٣٤	نفزة : ٩
اليونانيون : ٣	(هـ)
	بنو هاشم : ٧٠

١٧٩ :	تَيْنَهَا	١٢٥ :	نَمِصِرِ
(المنسرح)		١١٩ :	الأَخْطَرَا
١٠٤ :	فَتَرُ	٥١ :	قَرَارُهُ
١٦٠ :	ثَنَابُهُ	٣٠ :	يَرَاكَ
(الخفيف)		١٦١ :	الْمَغْرَمُ
١١٩ :	الْأَيَّامُ	١٨٧ :	نَسِيمِ
١٠٣ :	عَصَاهَا	٣٩ :	الْبِلْدَانِ
(المقارب)		١٧٥ :	الْأَمَانَةِ
٣٣ :	الْوَاهِبُ	(الرمل)	
٩٢ :	الْأَوَارُ	١٩٥ :	طَحْلُبُ
١٣٦ :	أَيَّامِنَا	(السريع)	
٣٦ :	كَسَاعَةُ	١١٩ :	أَسْكَرُ
(المجثث)		٦٦ :	يَانْجَازِ
١٨٣ :	وَشِيحُ	٣٠ :	الْعَاقِلِ
		١٩٥ :	عَضُّهُ

General Agreement
1954



Washington (D.C.) 20540



1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100

